جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

الملك هنرى الرابع

الجزء الأول والثانى

ترجمة
الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة
الأستاذ محمد شفيق غربال   الأستاذ محمد بدران

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة

ألف شكسبير مسرحية هنرى الرابع عقب فراغه من تأليف مسرحية ريتشارد الثانى مباشرة . ومن ثم فإن صلة تاريخية تربط بين المسرحيتين ، ذلك أن الجزء الأول من هنرى الرابع يبدأ فوراً فى أعقاب ريتشارد الثانى . بل ما أكثر ما يشير ذلك الجزء إلى أحداث تلك المسرحية. وهكذا فإن الانتظارات والآمال التى تضمنها الجزء الأول من هنرى الرابع نراها كامنة ماثلة فى ريتشارد الثانى. ولما كان شكسبير قد ألف ريتشارد الثانى عام ١٥٩٦ فالمرجح الذى يرقى إلى مرتبة اليقين أنه كتب الجزء الأول من هنرى الرابع عام ١٥٩٧ .

وكانت المسرحية قد أطلق عليها أولا تاريخ هنرى الرابع فى جميع طبعاتها الأولى . — (وقد وضح الاختلاف بين كل الطبعات الأولى و بين الجزء الثانى عندما صدر الجزآن معاً لأول مرة فى طبعة الفوليو عام ١٦٢٣)— ولم تكن القصة فى طبعتها الأولى تدور حول تاريخ هنرى الرابع ليس غير ، فإنه يبدو أن شكسبير عندما كتب هذه المسرحية إنما كان مشغول الفكر بمسائل هامة أخرى. و بما أنه قد أردف الجزء الأول من المسرحية بالجزء الثانى منها و بمسرحية هنرى الخامس ، فإنه يتضح أنه كانت تدور فى خلده فكرة تأليف سلسلة من المسرحيات التاريخية تستمد أصولها من

أشخاص الروايـة

الملك هنرى الرابع :		King Henry IV.
هنرى (ولى العهد أمير ويلز) :		Henry, Prince of Wales
لورد جون لانكستر :	ابنا الملك	John of Lancaster
إيرل وستمورلند :		Earl of Westmoreland
سير ولتر بلنت :		Sir Walter Blunt
توماس برسى :	إيرل ووستر	Thomas Percy, earl of Worcester
هنرى برسى :	إيرل نورثمبرلند	Henry Percy, earl of Northumberland
هنرى برسى الملقب هوتسبر :	ابنه	Henry Percy, Hotspur
إدموند مورتيمر :	إيرل مارش	Edmund Mortimer, earl of March
ريتشارد سكروب :	رئيس أساقفة يورك	Richard Scroop
أرشيبالد :	إيرل دجلاس	
أدوين جلنداور :		Owen Glendower
سير ريتشارد فرنون :		Sir Richard Vernon

تاريخ حرب الوردتين وتكون مشابهة أيضاً لسلسلة المسرحيات التاريخية التى دارت حول هذه الحرب نفسها — وهى مسرحية هنرى السادس بأجزائها الثلاثة ومسرحية ريتشارد الثالث التى كان شكسبير قد ألَّفها قبل ذلك ببضعة أعوام . غير أنه بالرغم من أن الأسباب الرئيسية التى ثارت من أجلها المنافسة بين النبيلين لانكستر ويورك واحتدمت ، والتى نراها فى خلع ريتشارد الثانى ، فقد كانت النتائج المريعة . التى أسفرت عنها تلك المنافسة والتى كان أسقف كارلزل قد تنبأ بها (ريتشارد الثانى فصل ٤ البيت الأول) — كانت هذه الآثار قد أسدل عليها ستار من النسيان والزمن الطويل . كما أن الحرب لم تنشب لمدة نصف قرن وطوال هذه الفترة كان يسيطر ذلك الشبح البطولى لهنرى أمير مونماوث منقذ وطنه ومحرره ، (أو على الأقل منقذ عرش أبيه) باعتباره أمير ويلز ، ثم باعتباره الملك هنرى الخامس فاتح فرنسا وغازيها ، والذى تحاشى طوال سنى حكمه ما قد يمكن أن يسفر عنه عدم ولاء رعاياه له. وحول شخصية هنرى هذه تدور مسرحية هنرى الرابع بجزئيها ومسرحية هنرى الخامس . بل إن هذه القصة ليست مأساة تراجيدية مؤسية بل هى قصة بطولة انتصارية الخاتمة والنتائج ، وفضلا عن ذلك فقد تطلبت من شكسبير نهجاً مختلفاً عن نهجه ذاك الذى نراه فى مسرحية ريتشارد الثانى .

فالأمير هال إذن ، هو المركز الحقيقى والشخصية الرئيسية فى الجزء الأول من مسرحية هنرى الرابع ، كما أنه هو وحده الشخصية الأكثر

نشاطاً بين جميع عناصر الحبكة المسرحية . وإن إصرار شكسبير على أن يقدمه فى مسرحيتين (الجزء الأول من هنرى الرابع ومسرحية هنرى الخامس) بدلا من أن يقدمه فى مسرحية واحدة ، لدليل على أنه كان إصراراً يستند إلى ذلك الفيض من القصص بل الأساطير التى راجت عن شبابه العابث وهى القصص والأساطير التى امتلأت بها كتب التاريخ .

وهذا الأمير الشاب ، بطل معركة أجنكورت الذى كان أكثر ملوك إنجلترا فى العصر الوسيط تديناً وتمسكاً بتعاليم المسيحية — أضفت عليه كتب التاريخ شباباً عابثاً مستهتراً ضاع بين قرناء السوء . ولكن الأمير خلع كل هذا عنه لحظة دُعى إلى تولى العرش. والمرحلة الأولى من هذا التطور الغريب هى موضوع هذه المسرحية . . وهى بذلك تعد مقدمة للرؤيا المجيدة التى نراها عندما أصبح هذا الشاب هنرى الخامس بكل أمجاده .

ومع أن الفرق بين هذا الأمير الشارد وبين ذلك الملك العظيم ماثل أمامنا فى هذه المسرحية كما هو ماثل فى مسرحية هنرى الخامس ، إلا أنه مجرد فرق فى المظهر وليس فى الحقيقة . أما بالنسبة لشكسبير فإن هذا الأمير هو عينه ذلك الملك . والفرق عنده ليس بين أمير سيئ السيرة وملك طيب ، ولكنه بين حقيقة الأمير وطبيعته وبين سمعته ، بين ما يفعله الأمير عندما يدعوه الواجب إلى تأكيد نفسه وبين ما قد يفعله أو يكون عليه مظهره عندما يكون يُضيّع وقته سدى . ومن هنا فليس ثمة إصلاح

حقيقى . فإن الأمير يعرف دائماً ما هو صواب وهو يفضله على سواه. ولكن المظاهر وحدها هى التى تقف ضده . وللتوفيق بين هذين النقيضين فإن شكسبير يعمد إلى تفسير يخالف القواعد السيكولوجية كل المخالفة فيقول إن الأمير كان يتعمد انتظار أحسن الفرص لعلها تسنح فيظهر للناس من أى معدن كان ولكنه اكتفى بهذا القدر. ولكن الواقع أن المسرحية ضمناً ، تقدم سبباً آخر أكثر وجاهة وهو أن الأمير كان يتمتع بصحبة فولستاف . وهكذا فإنه من العسير بل ليس فى وسع أشد المتزمتين من دعاة الأخلاق أن يخالف هذا الاختيار .

والمسرحية بعد ذلك قصة واقعية أضفى عليها المؤلف كثيراً من فنه التراجيدى . ويقوم الجزء الأكبر منها على ما سرده الراوية هولنشيد عن حكم هنرى الرابع وهنرى الخامس . ولا شك أن شكسبير كان قد قرأ السيرة الأولى التى كان قد وضعها « هال » والتى يتفق هولنشيد مع الجزء الأكبر منها ، كما أنه قرأ دون شك — أيضاً القصيدة التى كان قد وضعها الشاعر صموئيل دانيال وعنوانها «الحروب الأهلية ١٥٩٥» . وتشيد هذه القصيده بالدور الذى قام به الأمير هال فى معركة شروزبرى كما تشير إلى قتاله مع هوتسبر . غير أن ثمة رواية قديمة أخرى عنوانها « أشهر انتصارات هنرى الخامس » كانت قد عالجت الموضوع فبدأت بحادث السرقة فى مكان يدعى « جادزهل » وانتهت بالزواج الفرنسى .

وطالما أن مصدرنا حول ذلك لم يكن سوى نسخة قديمة مشوهة طبعت عام ١٥٩٨ فإنه من العسير أن نقدر مدى استفادة شكسبير منها رغم أنه كان يعلم تماماً صحة ما ذهبت إليه . ولكن شكسبير لم يكن مؤرخاً . لقد كان كاتباً مسرحياً ومن ثم فلم تكن مهمته أن يعيد كتابة التاريخ بل أن يحوّل ما زوّده به التاريخ إلى مسرحيات . وعندما كانت الدراما الجيدة تتفق مع التاريخ كان شكسبير يقدم عرضاً جيداً للتاريخ وفق ما كانت مصادرة تسجله . أما حين كان التاريخ يتناقض مع الدراما فإن شكسبير كان يتجاهل التاريخ كلية أو يعيد صياغته لكي يحقق بذلك غرضه الدرامى . والمسرحية بسبب ذلك كله تربط تفاصيل تاريخية صحيحة كل الصحة مع تفاصيل أخرى خيالية كل الخيال . بل لقد كانت تلك التفاصيل التاريخية بالذات تتطلب تفاصيل خيالية . فشكسبير يتذكر مثلاً أن بولنبروك قد نزل فى ريفنسبرج وحلف يميناً فى دونكاستر ثم قابل هوتسبر فى قلعة بيركلى . ولكن عندما يقدم شكسبير الملك فى سن أكبر من سنه وهوتسبر أصغر مما كان ، فإنه لا يفعل ذلك جهلا بالحقائق التاريخية وإنما إحساساً منه بما يجعل مسرحيته أكثر وقعاً . وبدافع من غريزة المؤلف الدرامى فى التركيز واستمرار حركة الحدث ، كان شكسبير يعمد إلى إلغاء الفوارق الزمنية بين الفترات والمراحل المتوالية فى المسرحية لدرجة يبدو معها كل شىء وكأنه قد حدث فى بضعة أسابيع . مع أن الواقع فعلا أنه كان قد مر عام كامل بين هزيمة مورتيمر فى ٢٢

يوليو ١٤٠٢ وبين معركة شروزبرى فى ٢١ يوليو ١٤٠٣. أما عندما يصمت التاريخ أو يعجز عن تفسير السبب الذى حدا بالأمير إلى القيام بدور المجازف المتهور، وعن توضيح أية صورة كان يتخذها الأمير فى عبثه ولهوه، وأى نوع من الرجال كان هوتسبر – حين ذاك كان شكسبير يلجأ إلى استخدام خياله إذ ما أكثر ما كان التاريخ يضلله.

على أن تكوين المسرحية مع ذلك يمتاز فعلا بالبساطة كما أن الحبكة المسرحية والأحداث تتحرك فيها ببطء. فى المناظر الأولى تتجمع ثلاث قوى معارضة وهى: قوة الثوار والملك والحزب الموالى، وقوة هوتسبر والأمير، والقوة الناجمة عن سمعة الأمير السيئة ومزاجه المتكاسل وقيمة شخصيته الحقيقية التى كانت تعادل ثقلها ذهباً. ولكن كل هذه الأمور والقوى المتعارضة يتم حلها فى معركة شروزبرى. ولا تفعل المسرحية فى ذلك كله إلا أقل القليل، بل إنها لا تفعل سوى أنها تمضى قدماً نحو هدفها النهائى. على أن هذه المناظر المتعاقبة وهى تظهر واحدة أو غيرها من تلك القوى المتعارضة التى تمضى قدماً نحو اليوم الذى يُتخذ فيه قرار حاسم – هذه المناظر إنما تشحذ من قوى تلك المعارضات. وعند ما تقترب المعركة فإن المناظر المتتابعة تأخذ فى القصر، كما أن تلك القوى المتعارضة تأخذ فى الاندماج. كذلك فإن أحداث المعركة نفسها تقدم الجواب على كل الأسئلة.

فالولاء ينتصر على التمرد، كما ينتصر الأمير هال على هوتسبر وتنتصر

شجاعة الأمير وبسالته على كل الهواجس والشكوك .

والحبكة البسيطة فى هذه المسرحية (والتى تخلو من التعقيدات الحديثة العهد والتغييرات التى تطرأ على اتجاهات العاطفة والتى تجعل الحبكة فى مسرحية ريتشارد الثالث أكثر إثارة) — هذه الحبكة البسيطة — إنما تنتعش وتحيا بسبب تلك المهارة التى تتطور بها المناظر كل على حدة . فقصة السرقة فى « جادز هل » وهى عبارة عن سلسلة من المناظر التى يمكن أن ندعوها حبكة فرعية إذا لم تصل إلى نهايتها قبل أن تنتصف المسرحية ، يتضح أنها تجمع قوة الدفع كلما مضت فى تطورها حتى تصل قمتها . على أن بعض المناظر قد جرى تصميمها كما لو كانت مسرحيات صغيرة ؛ وخير مثل على ذلك هو المنظر فى بيت جلنداور . وهذا المنظر مفيد للحبكة المسرحية من ناحية واحدة هى أنه يظهر الثوار وهم يمضون قدماً فى حبك استعدادهم ويضعون تصميماً شريراً لتقسيم بريطانيا .

ولكن شكسبير يفرض الصيغة الدرامية بأن يخلق خصومة مؤقتة بين هوتسبر وبين جلنداور وتصل هذه الخصومة إلى درجة كبيرة قبيل اللحظة التى يتراجع فيها جلنداور . وهكذا فإن الفائدة التى يجنيها بهذه الخصومة (وهى ليست عظيمة القيمة) — فائدة قصيرة العمر لأن جلنداور يعمد إلى تجميد الموقف بأن يخلق الموسيقى التى كان قد وعد بها . والفرصة المؤدية إلى هذه الموسيقى تأتى فى أعقاب التطور الذى حدث من التناقض بين أنصار مورتيمر العاطفين وهم ضحايا حاجز اللغة وبين أنصار بيرسى . على أن

هذا الموقف ملئ بالتوتر الدرامى اللائق به ، ومن ثم يحقق شيئاً شبيهاً بالقرار الدرامى قبل نهايته . أما المنظر التالى وهو من منظر « الحان » والمنظر بين الملك والأمير ، فهو أيضاً يتضمن انعكاسات واضحة للموقف الذى كان فى المقدمة .

أما معارضة أنصار بيرسى للملك وهى الدعامة التاريخية للمسرحية فليس من شك فى أنها كفاح ساذج فى سبيل السلطان ولكنها من الناحية الدرامية تعد على الأقل شيئاً أكثر من ذلك ، لأن الموقف كله يتسم بالسخرية بسبب المطالبة السافرة التى يتقدم بها الملك بأحقيته فى العرش وإدراكه لعدم ثبات موقفه أو رسوخه . إن صورته كرجل أحنت السنون ظهره وأثقلته مقارعة الخطوب وأضعفته الأعباء صورة درامية وليست صورة تاريخية . فقد كان فى الواقع رجلا قوياً فى عنفوان رجولته إذ كان فى منتصف الثلاثين . ولكنه يتوق إلى شن حرب مقدسة للتكفير عن الخطأ والأذى الذى ألحقه بالملك ريتشارد . ومن ثم فهو ينظر إلى مقاومة الأمير باعتبارها سوط السماء لمعاقبته على سوء سلوكه . إن غموض مسلكه — بين عزمه على أن يتمسك بالجائزة التى حصل عليها و وخزات ضميره — أمر غير واضح أو مفهوم كما أنه لم يجسمه بصورة أو بأخرى ؛ بل إن ذلك يجعله أكثر إثارة ومدعاة للتفكير لأنه لم يتم تقديمه باعتباره سياسياً شريراً كما كان هوتسبر يعتقد .

على أن المنافسة بين الأمير و بين هوتسبر هى النبع الدرامى فى المسرحية ،

فإن الضربة القاصمة التى تقتل هوتسبر إنما تزود الأمير بشرف الفوز والتفوق ، كما أنها تقضى على ثورة الأمير وتؤكد ولاءه لأبيه الملك . وهذه الخصومة والعداء يعلنها المنظر الأول من المسرحية ثم تظل باقية بصورة أو بأخرى فى كل منظرآخر تقريباً . ولكنها مع ذلك مجرد خيال من اختراع المؤلف . فإن هوتسبر الذى لم يكن من شباب الشمال كان أكبر سناً من الملك أبى الأمير ، كما أنه بالرغم من أنه قُتل فعلا فى موقعة شروزبرى فإن أحداً لم يعلم على وجه التحقيق من الذى قتله .

والذى لا شك فيه أن شكسبير قد سعى جاهداً لكى يجعل الأمير يبدو شخصاً أفضل من حقيقته . أما مزاج هوتسبر المتقلب فيؤكده كل منظر يبدو فيه هوتسبر ، كذلك فإن جموحه أما يدعو إلى رثاء كل من أبيه وعمه (الفصل الأول المنظر الثالث) وزوجته (كما فى الفصل الثانى المنظر الثالث) .

كذلك فإن ورسستر وفيرنون يتحديان زعامته (الفصل الرابع المنظر الثالث) أما نفاد صبره إزاء أى ثناء على خصومه فإنه يهمل إهمالاً مضاعفاً . أما وداعه عشية المعركة فهو مزاج غريب بين البسالة والقدرية . على أن اللمسة التى تتوج هذا كله تضاف إلى غزله فى المنظر الذى يقسم فيه إنجلترا ويغالط فى تفاصيل التقسيم . والواضح أنه ليست هناك أية بادرة من التعاطف مع إنسان يتنكر لوطنه الأم . على أن الأمير من الناحية الأخرى ينال ما يبرره فى كل نقطة . فنحن نتأكد من اتزانه والثقة فيه

والاعتماد عليه فى المفاجأة التى ينطق بها فى نهاية أول منظر يظهر فيه . فالخزى والعار الذى يسفر عنه عبث انهماكه فى شهوات الشباب إنما ينتقل إلى فولستاف ثم ينتهى إلى الضحك .

وفى منتصف المسرحية نراه يؤكد لأبيه أنه أزرق فعلا بالرغم من المظاهر ومع أن مجرد الوعد بشىء يختلف عن تحقيقه إلا أن التحقيق يتم فى النهاية . فإنه يقدم التقدير الكامل لبسالة هوتسبر وسمعته ، كذلك فإن أعداءه يعترفون بشجاعته واعتداله (الفصل الرابع المنظر الأول البيت ٩٧ والفصل الخامس المنظر الثانى البيت ٥٢) . وفى اليوم الذى يتخذ فيه قراره نراه يفوز ويفتدى رأيه الضائع .

على أن كل هذا التقدير الدقيق لمختلف الموازين كثيراً ما ذهب هباء . فإن قراء المسرحية ومشاهديها على المسرح يصبحون من أنصار هوتسبر ، بل إنهم يرغبون فى تغيير الصورة إلى نقيضها . فإن عدم ولاء هوتسبر للبلد الذى يرغب فى تقسيمه لا لسبب سوى أطماعه الأنانية كثيراً ما يتجاوزه القراء والنظارة فى المسرح. فإننا نجد ثمة عطفاً يتسلل على الثوار ولاسيما فى قصة خيالية . والأمير ينظر إليه باعتباره منافقاً وذلك لأن إخفاءه طبيعة الملكية الصادقة إنما هو نتيجة للروية والتدبير ، كما لو لم تكن مثل تلك الروية والتدبير من أولى المهام بالنسبة لرجل يحسن تقدير الأمور ، وكما لو لم يكن التهور والانفعال ابتذالا وصورة من صور الفوضى والاضطراب .

أما ما اقترفه الأمير فيما بعد من رفضه فولستاف فى الجزء الثانى من هذه المسرحية ومن الزندقة والتظاهر بالتقوى فى مسرحية هنرى الخامس فهى كلها تعود بأثر رجعى وتضاف إلى الحكم الصادر ضده . على أن السبب الحقيقى فى قلب الحكم هو سبب مسرحى : إن الدور الذى يقوم به هوتسبر دور يتسم بالعدوان والحيوية طوال المسرحية بينما أن الأمير يجب أن يظل تحت الغطاء حتى النهاية تقريباً . على أن الميزة للممثل الذى يقوم بدور هوتسبر والخسارة التى تلحق بالممثل الذى يقوم بدور الأمير تبلغ كل منهما من الضخامة حداً كبيراً . ودور هوتسبر بلاشك هو أحسن الأدوار التى تمثل فى الجانب التاريخى من المسرحية . فإنه يحيرنا بصورة كاملة لدرجة أنه يجرد النقاد من أى سلاح . وطالما أن الأمر كذلك فإن شكسبير لا يمكنه التهرب من المسئولية ، ولكن يمكن أن يقال دفاعاً عنه إنه حشد فى الرواية كثيراً من العلامات المميزة التى تظهر لنا أى طريق يجب علينا أن نسلكه .

ومع ذلك فحتى هوتسبر نفسه تطغى عليه شخصية فولستاف الذى هو حقاً أعظم انتصار حققته المسرحية. وإلا فإذا اعتبرناها ملحمة رائعة من ملاحم المعارك فإن فولستاف فيها يحولها إلى شىء فريد يفوق العقل . ولقد صيغت شخصية فولستاف بسخاء ودقة . ومع أن مسرحية « الانتصارات الشهيرة » تتضمن شخصية مماثلة له إلا أنه حتى إذا كان دوره فى تلك الشخصية كما فهمه شكسبير أكثر إقناعاً مما هو لدينا فى هذه المسرحية ،

فإنه من المستحيل تقريباً أنه قدم لشكسبير أكثر من مجرد بداية . فليس ثمة شيء يقوله التاريخ سواء عن الشهيد سير جون أولد كاسل (كما كان فولستاف يدعى فى التمثيليات السابقة) أو سير جون فاستولف (الجزء الأول من هنرى السادس الفصل الثالث المنظر الثانى والفصل الرابع المنظر الأول) ليس شيئاً من هذا يمكن أن تُعْزَى إليه تلك الشخصية الخالدة التى خلقها شكسبير . إن فولستاف قد تمت صياغته موافقة كل الموافقة للدور المعين له بأقصى حدود الدقة والبراعة . فهو يصبح تجسيداً لانهماك الأمير فى شهوات الشباب.

إن فولستاف هو الذى يخلق جو الفقر والحرمان ويساهم الأمير فى ذلك ولكنه غير مسئول عنه بل يقف دائماً بعيداً عنه . ومن ثم فإن فولستاف ما هو إلا كبش الفداء فهو يأخذ على عاتقه تلك الشرور والآثام التى تلحقها الأسطورة بالأمير . وهو إذ يمضى قدماً فيبرئ ساحة الأمير فإن الشوكة تنتزع انتزاعاً من تلك الشرور والآثام ، وذلك بأن يقدمها ، ليس غير ، فى صورة مسرحية مصحوبة بالضحك وباعتبارها البراءة والطهارة الكاملة . إن أقوى درجات ضبط النفس والتحكم فى الذات هى وحدها التى تجعلنا بينما نضحك من مجون فولستاف ومزاحه نتذكر أنه كاذب فعلا وطفيلى ونهم وسكير عربيد ولص ، بل أكثر من ذلك كله إنه هو الذى نحتقره . إن شخصية فولستاف اختراع درامى ممتاز كعازل لشخصية الأمير .

إن التقليد الدرامى هو أن المهرج هو مصدر السخرية والأبله والمجنون

أو المدعى المحتال الذى يتفوق على نفسه فى النهاية ويُعرض علينا ليثير فينا عاصفة من الضحك السافر الذى مرده إلى ما لدينا من صدق الحكم والإدراك ، وهو فى ذلك يشابه فولستاف الآخر الذى نراه فى مسرحية زوجات وندسور المرحات. ولكن فولستاف مسرحية هنرى الرابع ، وبالرغم من كل الهزء الذى يطلقه عليه الأمير والآخرون والذى يتفاداه هو دائماً بمنتهى المهارة — فولستاف هذا قلما نراه وقد فضحته الأحداث أو قهرته أو دحرته أو أهانته. ذلك أنه يستطيع دائماً أن يربح شيئاً ما على الأقل وأن يحقق شيئاً ما من الانتصار . بل إننا نراه فى نهاية المسرحية فى صورة شخص يدّعى دعوى زائفة بأنه انتصر على هو تسبر. ولكننا إزاء هذا النجاح لا نملك شيئاً من السخرية . فالواقع أن مثل هذا النجاح ولو فى الخيال إنما يثير فينا شيئاً أعمق هو إلى شعور الشفقة والعطف أقرب. وهكذا يستحوز فولستاف على إعجابنا لوقاحته المتناهية . فنحن عندما نضحك معه إنما نضيع كل فرصة تسنح لنا بأن نجلس إزاءه على منصة القضاء . وهكذا فإن عجز قدراتنا العادية الانتقامية عجزاً تامًّا وإسنادنا إلى فولستاف دوراً هو خليط من التعاطف والحرمان ما هو إلا انتصار للخيال الكوميدى.

وفضلا عن ذلك فإن فولستاف الغامض الملتبس هو فولستاف الحقيقى . فهو لا يكون أبداً على صورة واحدة مرتين متتاليتين . بل هو سلسلة متصلة الحلقات من الشخصيات التى يقوم بتمثيلها . فهو فى ذلك ممثل كوميدى أصيل وكل إنسان آخر إن هو إلا أداة يجب أن ترتفع إلى

مستواه .

وأدواره عديدة يخطئها الحصر وكل دور منها يتبعه نقيضه : الرجل العجوز والشاب المرح الوثاب ، الرجل السمين والرجل النشيط (أو على الأقل الخيالى) ، الطفيلى والحامى العظيم لباردولف وأمثاله ، وهو الداعر الفاسق وهو المتزمت وناقد الأخلاق ، وهو الجندى الشهم الباسل وهو الجبان الرعديد ، أو على الأقل هو الذى يعرض تلك البديهية وهى أن التبصر خير سمات الشجاعة (الفصل الخامس المنظر الرابع البيت ١٢١) على أن أشهر أدواره هو الدور الذى يقوم فيه بالمراوغة المتقنة . فهو يقع ثلاث مرات على الأقل فى الحصار ولكن ليتلوى ويتملص فينجو بواسطة عملية ناجحة من المغالطة والمراوغة (ولكن الواقع أنه جبان فيما يتعلق بالغريزة فالأمير مدين له بحبه وحبه يقدر بمليون من الجنيهات أما هو فقد قدم لهوتسبر جرحاً فى فخذه) . على أن أعجب أدواره كلها هو دوره كثالب للشرف . وفى سطور المقدمة التى يبرهن فيها ذلك فقد تبدو كلمة واحدة وكأنها تنسف أساس جميع الأجزاء الجادة فى المسرحية . ولكننا فى ذلك الوقت نصبح وقد ألفنا ما يعمد إليه فولستاف من تشويه القضايا الحقة وتشويه الأمور الصادقة وتحويلها إلى أمور ضالة خادعة ، فنأخذها كما لو كانت قطعة أخرى من المنطق الكاذب مثل جدله ذاك الذى قال فيه إن السرقة ليست خطيئة إذا كانت حرفة الإنسان (الفصل الأول المنظر الثانى البيت ١١٧) . وهكذا فإن خلقه المتلون الختال يجعل المخاصمة والشجار

حول جبنه يبدوان كأنهما أمراً غير مقبول وفى غير موضعه مما جعل نقاد الأدب يصدقونه ويمضون فى تأييد هذا الرأى .

وبالطبع فإن فولستاف جبان عندما يهرب أو يصطنع الموت . ذلك أن الشخص الجرىء عندما يهرب أو يصطنع الموت يبدو مضحكاً . ولكن فى الوقت عينه فإن امتلاك النفس الذى ينفذ به هذه اللمحات من الحصافة والتمييز إنما تختلف اختلافاً كاملاً عما يعمد إليه جبان من تحطيم الأسنان أو الركل بل تجعل منه جباناً يختلف عن جميع الجبناء الآخرين ، كما تجعله أكثر سخرية وهزءاً . إن الضحك الذى تُقابل به نكاته فضلا عن أنها أكثر من مجرد كونها دلائل براعته — هذا الضحك ما هو إلا اعتراف سعيد بالحذق والبراعة اللذين يستخدمهما دائماً متظاهراً بأنه شىء ليس فى حقيقته ولا من طبعه أو أنه على الأقل لم يكن منذ دقيقة أو ساعة أو يوم . إن عينه البراقة وصوته المنقوع فى النبيذ وجسمه الذى لا يحسن استخدامه تسيطر كلها على كل موقف يجد نفسه فيه ، بل يجعلها جميعاً تتحول إلى طرب وسرور بأن يفترض أى دور يكون آخر ما ينتظره منه أى إنسان . إنه يعصف خلال المسرحية كلها مثل قهقهة عالية ويكاد يصل إلى حد يجعل معه مسرحية شكسبير عن تاريخ هنرى تتحول إلى ملهاة فولستاف .

حنا الياس

الملك هنرى الرابع

الجزء الأول

ترجمة الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال — الأستاذ محمد بدران

سير ميكل : من حاشية رئيس أساقفة يورك Sir Michael

إدوارد بوان : سيد من حاشية الأمير هنرى Poins

سير جون فولستاف : Sir John Falstaff

جاد شيل : Gadshill

بيتو Peto

باردولف : Bardolph

لادى برسى : زوج هوتسبر وأخت مورتيمر Lady Percy

لادى مورتيمر : ابنة جلندور وزوج مورتيمر
Lady Mortimer

السيدة كويكلى : صاحبة حانة رأس الحلوف فى إيست شيب
Mistress Quickly

لوردات — ضباط — مأمور — خادم — حاجب — سقاة — حمالان — مسافرون — أتباع

المنظر : إنجلترا

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن — القصر

الملك هنرى ومعه سر ولتر بلنت يقابلان وستمورلند وآخرين

الملك : أما من سبيل وقد زلزلتنا الإحن وأوهنتنا الهموم
أن نحمل السلام الذى طاردته حروبنا الأهلية على أن
يطمئن ويهدأ ويتنفس الصعداء من هذا الطراد الطويل ،
وأن يهمس فى عبارات لاهثة شائعات حرب جديدة
تشنها فى شواطئ سحيقة بعيدة عن ديارنا ،
كى لا تعود هذه الأرض الظامئة
إلى تدنيس أفواهها بشرب دماء أبنائها ،
ولترد يد الدمار عن حياضها التى أضرت بها الخنادق
والمتاريس ،
ولتكف سنابك الخيل المتحاربة عن إهلاك حرثها ونباتها ،
وليقف هؤلاء المتخاصمون من أبنائها الذين قطعتهم
الإحن واندلع بينهم لهيب الحقد

كما يندلع لهيب الشهب فى سماء ثائرة عاصفة ،
ليقف هؤلاء الأبناء الذين اشتبكوا أخيراً فى قتال
عنيف وحرب أهلية عاتية
أثخنت فيها الجراح وأزهقت الأرواح
مع أنهم جميعاً من جبلة واحدة تجمعهم أرومة مشتركة ،
ليقفوا صفاً واحداً على اختلاف نزعاتهم
ويسيروا معاً مؤتلفين إلى هدف مشترك ،
متناسين خلافاتهم وغير متنكرين لوشائج الدم والألفة
والجوار التى تربطهم ،
وهكذا يكف سيف الحرب عن أن يرتد فى نحر صاحبه
كما ترتد السكين التى لم يحسن صاحبها غمدها فى يده
فتجرحها .
فهيا بنا أيها الأصدقاء نجند قوة من الإنجليز
ونقودها إلى الأرض المقدسة حيث قبر المسيح
الذى نحن جنده الآن
والذى تعاهدنا وارتبطنا تحت الصليب المقدس أن
نحارب فى سبيله ،
هيا نقود هذه الحملة من الرجال

الذين خلقت أذرعتهم فى بطون أمهاتهم لطرد الوثنيين من الأرض المقدسة
التى وطئتها أقدام المسيح المباركة
الذى احتمل منذ أربعة عشر قرناً مرارة الصلب إيثاراً لسعادتنا ومصالحنا ،
ولقد كان إرسال هذه الحملة هدفنا ومرادنا منذ اثنى عشر شهراً ،
ولذلك فمن نافلة القول أن أناديكم بأننا سنذهب إلى هناك ،
فما لهذا اجتمعنا ، وإنما اجتمعنا
لأسمع منك يابن العم العزيز الكريم وستمورلند
ما قرره مجلسنا الخاص ليلة أمس
فى شأن إنفاذ هذه الحملة العظيمة الخطر .

وستمورلند : مولاى ، لقد كان إنفاذ هذه الحملة على الفور موضع البحث الجدى
واتخذت عدة من التدبيرات لمواجهة تكاليف الحملة وتعيين قوادها
ولكن أمس انقلب الأمر
حين وفد رسول من الغال يحمل أنباء سيئة

لعل أكثرها سوءاً أن مورتيمر النبيل
الذى قام على رأس حملة من رجال هيرفوردشير
لتأديب الثائر الوحشي جلندور
قد وقع أسيراً فى قبضة هذا الغالى الخشنة ،
وأن ألفاً من رجاله ذبحوا
ومثل بأجسادهم بعد الموت أشنع تمثيل .
وأن نساء الغال قمن بعملية التشويه هذه بوحشية وبلا تورع
مع أن مجرد ذكر هذا الحدث
أو رواية أخباره يتندى له الجبين خجلا .

الملك : يبدو إذن أن أنباء هذه المعركة
قد أرجأت إنفاذ مشروع حملتنا إلى الأرض المقدسة .

وست : أخشى أن الأمر كذلك يا مولاى الكريم ،
إذا أضفنا إلى هذه الأنباء أنباء أخرى غير سارة ولا مرضية
جاءت من الشمال مفاداها
أن المغوار هوتسبر الشاب
قد التقى فى عيد الحصاد الرابع عشر من شهر سبتمبر
عند هولدون بايرل دوجلاس الفارس الشجاع ،

هذا الإسكتلندى القدير المحنك
وأن معركة حامية دموية دارت بينهما هناك
كما يصفها الرسول الذى استنتج ذلك
مما سمعه من قصف المدافع المتبادلة بينهما ،
ولم يقطع الرسول بنتيجة المعركة ، ولا لمن كان فيها الغلب
لأنه امتطى صهوة جواده ليسرع إلينا بالأنباء
بينما المعركة على أشدها حامية الوطيس بين الفريقين .

الملك : ها هو ذا صديق عزيز صادق الحماسة دءوب
هو السير ولتر بلنت قد ترجل عن جواده لتوه
لم ينفض عنه غبار السفر الذى احتمله
فيما قطع من أراض مختلفة من هولدون حتى مقر ملكنا ،
وقد أفضى إلينا بأنباء سارة ومطمئنة ،
أنبأنا أن إيرل دوجلاس غلب على أمره ،
وأن عشرة آلاف من الإسكتلنديين الشجعان ومعهم اثنان وعشرون فارساً
قد تكدست أجسادهم غارقة فى دمائها
فى سهول هولدون وقد رآها سير ولتر بنفسه
ومن بين الأسرى الذين وقعوا فى أيدى هوتسبر مورديك إيرل فايف[1]

---

(١) Mordake the Earl of Fife.

والابن الأكبر للدوجلاس المغلوب وإيرل إيثول[1]
ومرى وانجوش ومنتيث [2]
أليست هذه غنيمة مشرفة وكسباً موفوراً ؟
أجل ماذا تقول يا ابن العم أليس الأمر كذلك ؟

ستمورلند : بلى وأيم الحق ،
إنه لغنم يحق لأمير أن يباهى به ويفخر .

الملك : صدقت ، ولشد ما يحزننى قولك هذا ويحملنى على أن أرتكب خطيئة الحسد ،
الحسد للورد نورثمبرلند
على أن يكون له مثل هذا الابن المبارك
الذى يلهج المجد بذكره ،
هذا النبت المستقيم العود وسط الأحراش الملتفة ،
هذا المجدود الذى اصطفته آلهة الحظ خليلا ، وجعلته موضع الاعتزاز والفخار ،
إنى لأقرأ آيات حمده بينما أنظر
لأرى ابنى هارى الشاب وقد تلطخت صفحته بالشقوة والعار ،

---

(١) Athol.
(٢) Murray, Angus, Menteith.

أواه ليته كان فى الإمكان أن نثبت
إن جنية من خاطرات الليل قد استبدلت
ابنه بابنى وهما فى قماط الطفولة حيث يرقدان
وسمت فتاى برسى وابنه بلانتيجينت (١) !
إذن لأخذت ابنه هارى ولأعطيته ابنى ،
ولكن ما يجدى هذا فلأباعد بينه وبين سانحات
خواطرى ! وبعد يا ابن العم ،
ما رأيك فى هذا المجد الذى أحرزه برسى ؟
إن الأسرى الذين غنمهم فى هذه المغامرة
قد استبقاهم لنفسه لينتفع بهم ، وبعث إلىّ برسالة
يقول فيها
إنه لا حق لى فى أحد منهم ، اللهم إلا إيرل فايف . .

وستمورلند : هذه تعاليم عمه ورستر ،
هذا الكوكب النحس الذى يترصدك فى كل اتجاهاته ،
إنه هو الذى يغريه أن يسوى ريشه ويرفع عرفه كما يفعل
الصقر حين يبدأ الطراد
وأن يتحدى بشبابه جلالك ووقارك .

الملك : ولكنى بعثت إليه أستجوبه فى هذا الموقف ،

---
(١) Plantagenet.

ولهذا أرى أن نرجئ
حملتنا المقدسة إلى أورشليم حيناً من الزمن ،
ولنجتمع أيها العزيز بمجلسنا يوم الأربعاء القادم فى وندسور ،
فأبلغ ذلك إلى اللوردات
وعد إلينا من فورك ثانية ،
فلا يزال لدينا مزيد مما يجب أن نقوله ونفعله فى هذا الشأن ،
ومن الحكمة أن نتدبر ذلك فى هدوء لا أن نبت فيه ونحن فى ثورة من الغضب

وستمورلند : سأفعل يا مولاى .

(يخرجون)

المنظر الثانى

(لندن — غرفة فى بيت ولى العهد أمير ويلز ، حيث يرقد سير جون فلستاف على مقعد فى أحد الزوايا وهو يغط فى نومه . يدخل ولى العهد ويوقظه)

فولستاف : (وهو يستيقظ) هيه يا هال فى أى ساعة من النهار نحن يا فتى ؟

الأمير : يا لك من غبى تبلد ذهنك من طول معاقرتك للنبيذ المعتق ، وحل إزارك بعد العشاء ، ونومك على المقاعد بعد الظهر ، فأنساك هذا أن تسأل عما تريد أن تعرفه . فيا للشيطان ، أى شأن لك أنت بالنهار ، حتى تعنى بالسؤال عن الوقت فيه ، اللهم إلا أن تكون ساعاته كئوساً من النبيذ ، ودقائقه ديكة سمينة ، وعقاربه ألسنة العاهرات ، وميناؤه لافتات للمواخير والحانات ، وإلا أن تكون الشمس المباركة نفسها امرأة لعوباً من بنات الهوى ، تتبختر فى ثيابها الإرجوانية الصارخة . مهما يكن الأمر فلست أرى سبباً يدعوك إلى أن تكلف نفسك مشقة السؤال عن ساعات النهار فى غير ما حاجة .

فولستاف : لقد أصبت الهدف حقًّا ، وكدت تفهمنى الآن يا هال ، فنحن الذين نسرق الأكياس ، لا نعمل إلا فى ضوء القمر ، ولا نحسب أوقاتنا إلا به وبالنجوم السبعة ، ولا نسير قط فى ضوء الشمس ، « هذا الفارس الجميل الجوّال فى كبد السماء » ، ولذلك أتوسل إليك يا فتاى العزيز حين تصبح ملكاً ، حفظ الله ملكك يا صاحب السماحة ، لا بل يا صاحب الجلالة ، فهذا ما ينبغى أن أقول لأن السماحة لن يكون لك منها نصيب .

الأمير : ما هذا الذى لن يكون لى منه نصيب ؟

فولستاف : أقصد وأيم الحق أنه لن يكون لك نصيب كاف يعادل ما فى الدعاء الذى يقال قبل وجبة من البيض والزبد .

الأمير : ماذا تعنى بهذا ؟ أفصح عما تريد وتكلم بوضوح فى الموضوع .

فولستاف : اسمح إذن أيها الفتى العزيز عندما تصبح ملكاً ، لا تدع أحداً يلقبنا — نحن فرسان الليل ورجال الطريق — بالمتسكعين المفسدين بهجة النهار ، السارقين جماله ، بل لنكن حاشية ديانا الصائدة ، سادة الليل وعشاق القمر ، ودع الناس يقولون عنا إننا رجال حسنو السلوك ، فنحن كالبحر تحكمنا سيدتنا النبيلة العفة

٣٣ آلهة القمر ، وفى ظلها نعمل وتحت وجهها نسرق .

الأمير : لقد أحسنت القول وأجدت التشبيه ، فإن حظوظنا نحن حاشية القمر كالبحر تارة فى مد وتارة فى جزر ، والقمر يتحكم فى مصائرنا كما يتحكم فى حركة البحر ، والدليل على ذلك حاضر الآن ، فكيس الذهب الذى ينتهب فى إصرار وعزم مساء الاثنين ، ينفق فى يسر وسرف صباح الثلاثاء، إنه يُنتَهب بصب اللعنات على رؤوس الرحالة والمسافرين وأمرهم بالوقوف وتسليم ما معهم من النقود ، ويُنفق بالصيحات المتكررة على صاحبة الخان ، هات لنا مزيداً من النبيذ، إننا فى بحر الحظوظ هذا تارة فى غيض نقف عند أسفل سلم المشنقة ، وتارة
٤٣ فى فيض يبلغ بنا أعلاها .

فولستاف : تالله ، لقد قلت صدقاً يا فتى ، ولكن أليست صاحبة الخان امرأة غاية فى الملاحة ، تستحق أن يصرف عندها
٤٦ كيس الذهب ؟

الأمير : حلوة كعسل هيبلا [1] أيها العجوز العربيد (أولد كاسل) يا ربيب الحانات، ولكن أليس قميص السجن الخشن

---

(١) Hybla بلد فى صقلية .

لباساً متيناً يستحب معه الحبس من أجل دين صاحبة
٤٩ ألحان ؟

فولستاف : وى ، وى أيها الحبيب المجنون ، ماذا تعنى بهذه التوريات
٥٢ والإيماءات ؟ أى شأن لى بقميص السجن ؟
٥٤ الأمير : وى ، ويا للجدرى يا رجل ! أى شأن لى بصاحبة الحان ؟
٥٦ فولستاف : لقد طلبتها مراراً وتكراراً لتسألها الحساب .
الأمير : وهل طلبت إليك مرة من المرات أن تدفع نصيبك من
الحساب ؟
فولستاف : كلا ، ومن واجبى أن أقر لك بحقك ، فأقول إنك
٦٠ دفعت جميع الحساب هناك .
الأمير : بل هناك وفى كل مكان آخر كنت أدفع ما أسعفتنى
النقود ، أما إذا لم تسعفنى ، فقد كنت
٦٣ أضيفها ديناً علىّ .

فولستاف : قد أسرفت فى الديون على هذا النحو ، ولولا أنك ولى
العهد لكان إشهار إفلاسك هو المنتظر ، ولكن أتوسل
إليك يا فتاى العزيز أن تجيبنى ! هل ستُنصب المشانق
فى بريطانيا عندما تصبح ملكاً ؟ وهل ستستلب من
الجسارة ثمرة إقدامها ، كما هى الحال فى ظل القانون
العتيق المضحك الذى انقضى إبانه ، أتوسل إليك

ألا تفعل ذلك يا فتاى . . ولا تقدم على شنق لص
٧٠ عندما تصبح ملكاً .

الأمير : لا ، لن أفعل ذلك ، ولكن أنت الذى ستفعله .

فولستاف : أسيكون ذلك لى ؟ يا لك من رجل عديم النظير ، بالله
٣٧ لأكونن قاضياً فذّاً .

الأمير : لقد أسأت فهم إشارتى أيها القاضى المزيف ، إنما عنيت
أنك ستأخذ على عاتقك شنق اللصوص ، وبذلك
٧٦ تصبح جلاداً عديم النظير .

فولستاف : حسناً يا هال ، إن هذا يتفق نوعاً ما مع ميولى ، وأنا أحبه
حبى لملازمة القصور تماماً ، وأؤكد لك ذلك .

٨٠ الأمير : بل تحبه لتفوز بالخلع والملابس . . أليس كذلك ؟

فولستاف : بلى ، للفوز بالخلع والملابس ، فالجلاد ليس قليل الحظ
من الستر والملابس ، فهو يستولى على ملابس ضحاياه
من المشنوقين ؛ بحق السماء لقد ضقت صدراً بهذا
الحديث عن المشانق والجلادين وأصبحت محزون النفس
كالقط الذكر أو الدب المقيد فى السلاسل تنبحه
كلاب الصيد .

٨٤ الأمير : بل قل كأسد هرم أو كقيثارة محب !

فولستاف : بلى ، أو كأنغام موسيقى قرب لنكولنشير المملة .

٨٨ الأمير : وماذا تقول فى الأرنب المحزون وفى القليب المرحل المقبض؟

فولستاف : إنك تفيض بالتشبيهات القذرة الدنيئة ، ولأنت بحق أيها الأمير العزيز معين لا ينضب من الاستعارات والتشبيهات البغيضة ، ولكن أرجوك يا هال أن تكف عنى غرورك وشقوتك ، ولوددت أن أضرع إلى الله أن يهدينى وإياك إلى مكان نستطيع أن نلتمس فيه مدداً من الكلمات الطيبة فنشتريه لأنفسنا ، لقد لامنى فيك بالأمس أحد السادة اللوردات من أعضاء المجلس ، وعنفنى فى الطريق العام من أجلك يا سيدى ، ولكنى لم ألق إليه بالا ، رغم أن حديثه كانت تنطق الحكمة من جوانبه . أجل لم آبه به وإن نطق بالحكمة وألقى بها فى عرض

٩٨ الطريق أيضاً .

الأمير : لقد أحسنت صنعاً ، فالحكمة تستصرخ الناس فى

١٠٠ الطريق ، ولكن أحداً لا يأبه لها ولا يصيخ لدعوتها .

فولستاف : إن لك لقدرة ماجنة على ترديد عبارات الكتاب المقدس وتقطيعها بما يجلب عليك اللعنة ، وفى الحق إنك قمين أن تفسد العابد الناسك ! لقد أغويتنى وقدتنى إلى كثير من المهالك والآثام يا هال ، وأسأل الله أن يغفر لك هذه الزلة . . لقد كنت بريئاً قبل أن أعرفك يا هال ،

لا أدرى من المفاسد شيئاً ، والآن أصبحت ، إذا كان لإنسان أن يقول الحق ، أقرب ما أكون إلى الأشقياء الملعونين . لابد لى أن أرتدع عن هذا الغى ، وأثوب عن هذه الحياة ، لأنفضن يدى منها ، وتا لله لئن لم أنته عنها ، فما أنا إلا شقى مجرم ، ولتحلن بى اللعنة كما لم تحل بابن ملك فى العالم المسيحى .

١١١ الأمير : أين نستولى على كيس من الذهب غداً يا جاك ؟

فولستاف : فى أى مكان تشاه يا فتى ، وسأسلب كيساً ، ولئن لم أفعل فلك أن تدعونى مجرماً وأن تمتهن قدرى .

الأمير : إنى لأرى فيك توبة طيبة وتحولا حسناً ، فمن الصلاة والابتهال إلى السرقة وانتهاب أكياس النقود .

١١٧ فولستاف : ويلك يا هال ، إنها مهنتى يا هال ، وليس آثماً من يعمل فى مهنته .

(يدخل بوان) ، اسمع يا بوان ، أيمكن أن تعرف هل رسم اللص جادشيل لنا خطة لمغنم جديد (مشيراً إلى الأمير) يا لله إذا كان الناس تنقذهم فضائلهم وأعمالهم فأى طاقة من حميم فى جهنم يمكن أن تتسع له ، إنه أقدر مجرم عرفته اللصوصية ، وأكثر الناس إقداماً على سرقة الشرفاء .

١٢٢ الأمير : أسعدت صباحاً يا ند [١] .

بوان : أسعدت صباحاً يا هال العزيز . ماذا يقول السيد المؤنب الضمير ؟ ماذا يقول السير جون العجوز الغارق فى النبيذ والسكر ، اسمع يا جاك فيم كان اتفاقك مع الشيطان بشأن روحك ؟ حتى بعته روحك فى يوم الجمعة الحزينة

١٢٩ السابقة مقابل كأس من نبيذ ماديرا وفخذ ديك باردة ؟

الأمير : إن سير جون وفى بعهده ، وسيفوز الشيطان بصفقته ، فما عرف عن السير جون أنه يعارض الأمثال أبداً ، ولذلك فهو سيعطى الشيطان حقه .

١٣٠ بوان : إذن فأنت ملعون يا سير جون لاستمساكك بوعدك حتى مع الشيطان .

الأمير : إنه ملعون على أى حال لأنه إن لم يلعن لوفائه للشيطان ، فسيلعن لخداعه إياه .

بوان : خلنا من هذا الحديث ، واسمعوا أقول لكم يا فتيان ، ستجدون غداً صباحاً فى الساعة الرابعة مع البكور فى جادزهيل حجاجاً فى طريقهم إلى كانتربرى ، وقد حملوا معهم قرابين ثمينة ، كما تجدون تجاراً مسافرين إلى لندن وقد ورمت أكياسهم من النقود . . لقد أعددت

---

(١) Ned.

لكم جميعاً أقنعة تستخفون بها ، وما عليكم إلا أن
تعدوا خيولكم وتتجهوا إلى جادزهل وجادشيل يبيت
الليلة فى روشستر ، وقد هيأت لكم عشاء غداً مساء
فى إيست شيب ، وفى مكنتنا أن نقدم على هذا العمل
مطمئنين اطمئناننا إلى النوم ، فإن جئتم فأنا كفيل أن
أملأ لكم جيوبكم ذهباً ، أما إذا لم تجيئوا فقروا فى
١٤٧ : بيوتكم ولتتخطفكم المشانق .

فولستاف : اسمع يا إيوارد: إن أنا بقيت فى بيتى ولم أذهب إلى
١٥٠ جادزهل ، لأتسببن فى شنقك جزاء على تركك إياى

بوان : أذاهب أنت يا ذا الخدين المنتفختين .

فولستاف : ألا تصاحبنا يا هال ؟

الأمير : من ؟ أنا . . أنا أسرق ؟ أنا أصير لصاً ؟ . . ما أنا
١٥٤ بالذى يفعل ذلك وأيم الحق .

فولستاف : لئن لم تأت معنا فأنت مجرد من الأمانة والرجولة وحق
الصداقة عليك ، منكر لأصالتك ، مثبت أنك
لم تنحدر من دم ملكى ، بل أنت أدنى من الملوكى [1]
قيمة لأنك لاتستطيع أن تقاتل من أجل عشرة شلنات .

(بوان يقوم بإشارات من وراء ظهر فلستاف موجهة للأمير)

---

(١) الملوكى عملة إنجليزية تساوى عشرة شلنات .

الأمير : إذن لأكونن ماجناً مرة فى حياتى .

فولستاف : بخ بخ . . لقد أحسنت القول .

الأمير : بل لأقبعن فى بيتى مهما تكن الأمور .

فولستاف : تالله لئن فعلت لأخوننك حين تلى الملك .

الأمير : لست أبالى .

بوان : أرجوك يا سير جون أن تخلى بينى وبين الأمير ، فسأذكرن له من الأسباب ما سوف يغريه بالذهاب معنا .

فولستاف : أدعو الله أن يهبك قوة الإقناع ، وأن يهبه أذناً واعية حتى تؤثر كلماتك فيه ويؤمن هو بما يسمع ، ويرضى وهو الأمير الصادق أن يلبس ولو على سبيل المرح مسوح اللص المزيف ، فإن مساوئ العصر الصغيرة أحوج ما تكون إلى من يرعاها ويشجعها ، وداعاً وستجدنى إن شاء الله فى بيت أيست تشيب .

الأمير : وداعاً أيها الربيع المولى ، وداعاً يا صحوة صيف فى الشتاء [١] .

(يخرج فولستاف)

---

(١) الشتاء لا يبدأ حقيقة فى ٢١ ديسمبر كما يعلم التلاميذ خطأ ٢١ دسمبر قلب الشتاء فى النصف الشمالى لأن الشمس فى هذا اليوم تتعامد على مدار الجدى ثم تبدأ متجهة نحو خط الاستواء فمدار السرطان إلخ .

بوان : والآن يا أميرى المحبوب ، اركب معنا غداً ، فإن لدى مزحة أريد أن أنفذها ولكنى لا أستطيع أن أقوم بها وحدى . سنترك فولستاف وباردولف وبيتو وجادشل يسرقون هؤلاء الرجال الذين أعددنا لهم كميناً من قبل ، أما أنت وأنا فلن نكون معهم ، فإذا ما استولوا على الغنيمة ولم نستطع أنا وأنت أن نسلبهم إياها ، فلك أن

١٨٥ تقطع رأسى هذا من فوق كتفى .

١٨٨ الأمير : وكيف نفترق عنهم عندما نبدأ العمل ؟

بوان : نتحرك قبلهم أو بعدهم ونحدد لهم مكاناً للقاء وموعداً ، ولنا أن نخلف هذا الموعد حسب ما يتراءى لنا ، وعندئذ لا يجدون هم مناصاً من الانقضاض على الغنيمة وحدهم ،

١٩٤ وما أن يفوزوا بها حتى ننقض عليهم نحن فنسلبهم إياها.

الأمير : ولكن من المحتمل جداً أن يعرفونا بخيولنا وأن يميزونا

١٩ بملابسنا وبكل ما عدا ذلك من سماتنا .

بوان : دع عنك هذا ، فخيولنا لن يروها ، فسأربطها فى الغابة أما أقنعتنا فسنغيرها ونلبس أقنعة أخرى حالما نفارقهم ، وأن لدى يا فتاى ستراً من التيل الخشن المقوى بالغراء معدة لهذا الغرض ، ونستطيع أن نخفى به مظهرنا

٢٠٢ المعروف لهم .

الأمير : ولكني أخشى أننا لسنا نداً لهم في القوة؛ وأننا سنلاقى من أمرنا عسراً معهم .

بوان . : لا عليك يا سيدى ، فاثنان من الثلاثة أعرف أنا حق المعرفة أنهما مطبوعان على الجبن والفرار بما يفوق طبع أى جبان ، أما الثالث ، فإذا قاتل أكثر مما تمس إليه الحاجة فلأهجرن سلاحى وأعتزل القتال ما حييت . وخير ما فى هذه المزحة ، الأكاذيب الضخمة التى لا حصر لها والتى سيقصها علينا هذا الوغد السمين المترهل عندما يلقانا فى العشاء ، كيف يبالغ وكيف يقول إن ثلاثين رجلا على الأقل قاتلوه ، وإنه اتقى بعديد من نقط الحراسة ، وما أكثر ما احتمل من ضربات ، وما أشد ما صبر على ما لا يصبر عليه من آلام جاوزت الحد ، على أن طلاوة هذه المزحة وحلاوتها هى فى تفنيد
٢١٣ هذه المزاعم .

الأمير : ليكن . لأذهبن معك ، فأعد لنا كل ما تراه لازماً ، ولاقنى غداً مساء فى إيست تشيب حيث أتناول العشاء ، وإلى اللقاء .

بوان : إلى اللقاء يا سيدى .

(يخرج بوان)

الأمير : إنى لأعرفكم جميعاً وأعرف سلوككم وسأسكت فترة ما
على هواكم الجامح ، ونزواتكم الشقية التى هى وحى
الفراغ والدعة .
ولكنى بسكرتى هذا أقلد فى صنيعى الشمس
التى تسمح للسحاب الوضيع الضار
أن يحجب جمالها عن الوجود ،
حتى إذا ما بدا لها أن تستعيد ضياءها ،
وكلما أحست بحاجة الناس إليها ، زاد إعجاب الناس بها
حين تنفذ بأشعتها خلال سحب الضباب القاتمة القبيحة
التى خيل إلى الناس حيناً أنها خنقت نورها وكسفت
ضياءها .

لو استحالت أيام السنة كلها مراتع للهو ،
لكان اللهو مملا كالعمل ، ،
أما إذا كان هذا اللهو لا يجىء إلا نادراً فإن الرغبة فيه
تشتد

وليس أدعى للسرور من الحوادث النادره التى تأتى غباً .
ولذلك فإنى حين أخلع عن نفسى هذا المسلك الماجن
وأؤدى الدين الذى لم أعد به أبداً ،

ليكونن لفعالى وقعاً أشد أثراً فى النفس مما لو اقتصرت
على مجرد القول ،
وبهذا أخيب ظن الناس فى ،
وأبرهن على أن تقديرهم لشأنى لم يكن له أساس من
الصحة ،
وهكذا يحجب ضياء صلاحى الباهر ظل خطيئتى ،
ويحيل هذه الظلال القاتمة نوراً ويجعلها أكثر إشراقاً
وبهاء
كالمعدن النفيس البراق يزيده لمعاناً وإشعاعاً وجودة على
أرضية داكنة ، والضد يظهر حسنة الضد .
وهكذا تبدو صنائعى أكثر جمالا وأقوى جاذبية للعيون
من الصنائع التى لا إثم لها يجليها ،
ولأقترفن الخطيئة بحيث أجعل من الذنب حذقاً ومهارة
وأعوض بذلك عن زمن أضعته وذلك فى وقت لا يكاد
الناس فيه يصدقون أنى فاعل .

المنظر الثالث

وندسور — قاعة المجلس

(يدخل الملك ونورثمبرلند ووستر وهوتسبر وسير ولتر بلنت وغيرهم)

الملك : هأنتم أولاء ترون أنى هادئ الأعصاب لم يغل الدم فى عروقى
ولم تستثرنى هذه التصرفات الشائنة التى تنم عن تنكر للولاء ،
وفى الحق لقد استغللتم صبرى عليكم ، ولكنى من الآن فصاعداً
أوثر أن آخذ نفسى
بما يقتضيه مكانى
فأكون قوياً مهيباً من أن أصبح لما تمليه على طبيعتى المسالمة
فأكون هادئاً كالزيت أو ناعماً كالزغب .
وبذلك أفقد حقى فى الولاء الذى يفرضه مقامى على رعاياى
والذى قلما تؤديه النفوس المتكبرة إلا قسراً لمن هو أشد منها أنفة وكبرياء .

ورستر : إن بيتنا يا مولاى الملك ما كان ليستحق بحال
أن تسلط عليه العظمة سياط نقمتها
لا سيا إذا كانت هذه العظمة من صنع أيدينا ،
ونحن الذين عاونا على أن نزيدها مهابة وجلالا .

نورثمبرلند : مولاى .

الملك : اخرج من هنا يا ورستر ،
فإنى أرى فى عينك وميض الخطر والعصيان ،
أجل يا سيدى إن بقاءك فيه جرأة وتطاول على جلال الملك
الذى ما ينبغى أن يحتمل بحال
مظهر تهديد أو قتامة غضب تبدو على جبين خادم من رعاياه .
لقد أذنت لك أن تفارقنا ، وحين نحتاج إلى خدماتك ومشورتك
فسنبعث فى طلبك (يخرج ورستر) ، (مخاطباً نورثمبرلند)
لقد كنت على وشك أن تتكلم .

نورثمبرلند : أجل يا مولاى الكريم ،
إن هؤلاء الأسرى الذين أخذهم هارى برسى فى موقعة هولمدن
والذين طلب إليه تسليمهم باسم جلالتك ،

لم يحدث قط أن أصر فى عناد على رفض تسليمهم على
حد قوله
كما أبلغ الأمر إلى مسامع جلالتك .
وابنى ليس مذنباً فى هذا الأمر ، وإنما الذنب ذنب
الذى زيف الأنباء التى بلغت مسامعكم ،
إما عن حقد وموجدة وإما عن سوء فهم غير مقصود
لمرامى ابنى .

هوتسبر : مولاى ، إنى لم أمنع عنك أى أسير ،
ولكن الذى أذكره أنه عندما انتهت الواقعة
وبينما أنا ألهث من ثورة النفس وإرهاق العمل ،
وقد بلغ منى الوهن كل مبلغ وتقطعت منى الأنفاس ،
وبينما كنت أتوكأ على سيفى مستنداً إليه ،
إذ جاءنى سيد من اللوردات يتخطر فى رشاقة وأناقة
وحسن هندام وجمال بزة
كأنه العروس يوم جلائه ، قد فرغ لتوه من تصفيف
لحيته ،
فبدت كأنها حقل القمح بعد الحصاد
يفوح منه العطر كأنه بائع قفازات ميلان المعطرة ،
وأمسك بين سبابته وإبهامه علبة السعوط

يقربها من أنفه ثم يباعدها فى حركة رتيبة عاجلة ،
فإذا ما باعد بين أنفه وبين السعوط
بدا عليه الغضب بحرمانه من رائحته، فإذا ما أعاده إليه ،
ملأ به معاطسه ، وهو فى أثناء ذلك كله يبتسم ويتحدث.
وينعت الجنود وهم يحملون جثث المرتى لينقلوها بعيداً
بالأوغاد الذين لا يعرفون التهذيب ولا التربية ،
لأنهم جلبوا هذه الجثث المتحللة الكريهة
بين نبالته وبين الريح ،
وفى عبارات تذوب رقة ونعومة
حملنى على مبادلته الحديث ، وكان من بين ما قاله لى
أن طلب إلى أن أسلمه أسراى باسم جلالتكم ،
ولما كنت حينئذ فى أشد الشعور بالألم من جروحى التى
بدأت تبرد
وأحس أوجاعها بحيث لم أكن لأطيق أن أرمى فوق ما بى
بهذا الببغاء الثرثار ،
ومن ثم فإن آلام جروحى وضيق صدرى بهذا البلاء
جعلانى أجيبه بلا وعى ولا روية ، ولست أعى ما قلته له
أكان رفضاً أم قبولا ، فقد أخرجنى عن صوابى أن أراه
وضاء يخطف الأبصار بأناقته ، معطراً يملأ الجو بشذاه،

رقيقاً فى حديثه كأنه وصيفة من وصيفات القصور ،
يتحدث فى نعومة عن المدافع والطبول والجروح بلهجة
تبعث على الزراية ، وقى الله الصليب كل مكروه ،
ثم انثنى يحدثنى عن أن البلسم
هو أنجع علاج على الأرض لشفاء الجروح الداخلية
ثم ارتد يلعن ملح البارود ويقول
إنه لشيء يؤسف له كل الأسف ، وفى الحق لقد كان
حديثه يبعث الأسف ،
أن يستخرج هذا الملح الملعون من جوف الأرض المسالمة .
ليحطم عدداً كبيراً من الرجال الشجعان
ويقضى عليهم فى جبن ونذالة ،
ثم يمضى ليخبرنى أنه لولا هذه المدافع الخئون الغادرة
لآثر هو نفسه أن يكون جندياً .
هذا الحديث التافه المقطع الأوصال يا مولاى
حملنى على أن أجيبه بلا تمعن وعلى غير هدى كما قلت ،
ولذلك أتوسل إليك يا مولاى
ألا تأخذ أقواله على ظاهرها وتتقبلها على أنها صادقة
فى اتهام ولائى لجلالتك يا مولاى المعظم .
بلنت : لقد محصت المسألة يا مولاى ،

والمرجو أن تنسى كل ما قاله اللورد هارى برسى عندئذ
لهذا الشخص فى ذلك المكان ، وفى ذاك الزمان ،
المرجو أن تنسى هذا جميعه مع كل ما قيل غيره
وألا يثار هذا القول وألا يتخذ سبباً
فى الإضرار به أو الانتقاص من قدره
ما دام هو ينكره الآن .

الملك : عجباً ، إنه لا يزال يمنعنى أسراه ،
فهو يتحفظ ويشترط ،
يشترط لتسليمهم أن نقوم فوراً من جانبنا وعلى نفقتنا
بافتداء أخ زوجه مورتيمر الأحمق
ذلك الذى غدر عامداً
بحياة أولئك الذين قادهم فى المعركة
التى شنها ضد الساحر العظيم جلندور الملعون ،
الذى سمعت أن هذا الإيرل مارش
قد تزوج ابنته أخيراً ، فهل نفرغ خزائننا
لنخلص خائناً ونعيده إلى الوطن ؟
وهل يستقيم أن نشترى الخيانة بأموالنا أو أن نتفاهم مع الجبناء
من أمثال مورتيمر الذى أضاع جنده وخدعهم بجبنه ؟

كلا وأيم الحق . . دعوه يهلك جوعاً فوق الجبال القاحلة
ولن أعد الذى يطالبنى بأن أنفق مليماً واحداً
لفدية هذا الثائر مورتيمر وإعادته إلى الوطن ،
لن أعده صديقاً لى أبدا .

هوتسبر : الثائر مورتيمر !
إنه لم يثر أبداً ولا انحاز للأعداء قط يا مولاى الملك
ولكنها الحرب وصروفها . ويكفى للتدليل على صدق قولى
أن تنطق هذه الجروح التى أثخن بها فى المعركة ، يكفى
أن نعيرها لساناً واحداً ،
إن هذه الجروح تفتح أفواهها شاهد صدق على
ما أصاب هذا الرجل الأمين
وهو يحارب بجدارة عند أعشاب شاطئ نهر سيفرن الهادئ
ويلتحم وجهاً لوجه فى نزال عنيف مع جلندور العظيم
ويمضى معظم ساعة فى مبادلته الطعنات الثخينة ،
وفى خلالها يتفقان ثلاث مرات على هدأة يجمعان فيها
أنفاسهما ،
وثلاث مرات أخرى يشربان فيها من ماء النهر المندفع ،
ذلك النهر الذى ما كاد يرى وجهيهما الداميين
حتى روع واندفع

يحث أمواجه من الخوف وسط الأحراش المرتجفة المرتعدة
ويخفى رؤوس أمواجه الملتفة فى جوف الشاطئ
الذى اصطبغ بدماء هذين المحاربين الكريمين .
وما كان للخداع السافر البغيض أن يخفى أساليبه المقيتة
بمثل هذه الجروح الدامية القاتلة .
وما كان موريتمر الشريف النبيل ليلقى كل هذه الطعنات الكثيرة
ويحتملها كلها عن رضى وطواعية رياء وخداعاً ،
أما والحال ما ترى فلا تدع يا مولاى موريتمر يرمى زوراً وبهتاناً بالخيانة والغدر .

الملك : إنك تعزو إليه ما لم يعمل ، وتمدحه بما لا يستحق يا برسى ،
فهو لم ينازل جلندور ولم يلتحم معه ،
وأؤكد لك ذلك ،
ولأهون عليه أن يلقى الشيطان وحيداً
من أن يختصم جلندور ويناصبه العداء ،
ألا تستشعر الخجل من موقفك هذا ؟ فلا تدعنى من الآن فصاعداً
أسمعك يا هذا تذكر موريتمر أمامى أو تدافع عنه ،

ووافنى بأسراك بأسرع وسيلة فى طوقك
وإلا فلا تلومن إلا نفسك ،
إن سمعت منى ما تكره . وأنت يا لورد نورثمبرلند . .
لقد أذناك أن ترحل مع والدك ،
وابعث إلينا بأسراك ، وإلا فستسمع منا ما تكره .
(يخرج الملك هنرى ومعه بلنت والحاشية) .

هوتسبر : لن أرسلهم ولو جاءنى الشيطان
ودوى فى أذنى بصرخاته مطالباً بهم . سألحق به فوراً
وأبلغه ذلك حتى يسكن جأشى
ولو تعرض رأسى للمخاطر .

نورثمبرلند : ويلك . . هل أخرجك الغضب عن وعيك ؟ قف وتمهل قليلا ،
وها هو ذا عمك قادم . (يعود ورستر) .

هوتسبر : أتتكلمون عن مورتيمر ،
تا لله لأتكلمن عنه
ولأطلبن الغفران لروحى إذا لم أنضم إليه ،
أجل لأفرغن من أجله هذه الدماء التى تمتلىء بها شراييني ،
ولأطلن دمى الغالى قطرة قطرة ليختلط به تراب الأرض

أو أرفع ذكر هذا المضطهد مورتيمر
عالياً فى الأفق ليطاول هذا الملك الجحود
هذا الناكر للجميل ، بولنبروك الخبيث .

نورثمبرلند : (إلى ورستر) أخى لقد أثار الملك ابن أخيك حتى كاد يجن .

ورستر : من ذا الذ أوقد هذا اللهب بعد خروجى ؟

هوتسبر : إنه يريد وأيم الحق أن يستولى على جميع أسراى ،
وحين حاولت أن أحثه مرة أخرى
على افتداء أخى زوجى اصفرت وجنتاه
وأرسلت عيناه فى وجهى شواظاً يتهددنى بالموت ،
وطفق يرتعد غضباً لمجرد ذكر اسم مورتيمر أمامه .

ورستر : لست ألومه على ذلك .
ألم يعلن الملك الراحل ريتشارد مورتيمر خليفة له ؟

نورثمبرلند : نعم أعلنه ، وقد سمعت الإعلان بنفسى ،
وكان ذلك عندما بدأ الملك التعيس
ـــ تجاوز الله عن خطاياه نحونا ـــ
حملته إلى إيرلندا ،
تلك الحملة التى أوقفها وعاد منها

ليواجه العزل وليلقى بعد قليل حتفه .

ورستر : أجل حتفه الذى نعيش بسببه
مجللين بالعار تنهشنا ألسنة العالم .

هوتسبر : ولكن مهلا أتوسل إليكما أن تقولا لى أحقاً أعلن الملك ريتشارد حينئذ
أخى أدموند مورتيمر
ولياً للعهد ؟

نورثمبرلند : أجل أعلن ذلك ، وقد سمعت الإعلان بنفسى .

هوتسبر : لا عجب إذن وليس لى أن ألوم ابن عمه الملك
إذا تمنى له أن يهلك جوعاً فى الجبال القاحلة ،
ولكن أيليق بكم أنتم الذين وضعتم التاج
على رأس هذا الإنسان الجاحد ،
ووصمتم أنفسكم من أجله بهذه الوصمة الكريهة
وصمة الاشراك فى جريمة قتل ،
أيليق بكم أن تتعرضوا للعنات العالم
باعتباركم فاعلين أصليين لهذه الجريمة أو أدوات ثانوية
حقيرة فى ارتكابها .
فكنتم الحبل والسلم ، أو حتى الجلاد ؟
أوه ، اغفروا لى انحدارى إلى هذا المستوى الوضيع

لأكشف لكم عن الدرك الذى انحدرتم إليه
تحت سطوة هذا الملك الجبار .
أيليق ، ويا للعار ، أن تلوك الألسنة فى هذه الأيام
وأن تمتلىء صفحات التاريخ فيما يقبل من زمان
أن رجلين لهما مثل محتدكما النبيل ونفوذكما القوى
يقيدان أنفسهما ويسخران مكانتهما ونفوذهما للدفاع
عن قضية ظالمة
كما فعلتما أنتما الإثنان ، سامحكما الله ،
حين نزعتما ريتشارد ، هذه الوردة الجميلة الفياحة
وزرعتما مكانه هذا الحسك ، هذا النبت الشيطانى
بولنبروك ؟
وهل يليق أن تتحدث الألسنة ، ويا للعار المزدوج ،
أنكما رغم ذلك قد خدعتما ونحيتما وأبعدتما ،
نحاكما هذا الذى تحملتما هذا العار من أجله ؟
كلا . . فلا يزال فى الوقت متسع
لتستعيدا شرفكما المسلوب وتستردا مكانتكما الضائعة
فى نفوس العالم مرة أخرى
ولتنتقما من الاحتقار المهين الساخر الذى صبه عليكما
هذا الملك المتعجرف ،

الذى يعمل دائباً ليل نهار
على أن يتخلص مما لكما فى عنقه من دين ،
ولو كان فى ذلك الخلاص ، الخلاص الدامى من حياتكما ،
ولذلك دعونى أقول لكما . .

ورستر : اهدأ يا ابن العم ولا تزد ،
فسأكشف لك الآن سراً مطوياً ،
وسأقرأ عليك أمراً خطيراً بعيد الأثر
حف بالمخاوف وامتلأ بروح المغامرة
حتى ليحتاج إلى من يستطيع أن يعبر البحر الخضم الثائر
على صراط كالسيف حدة وضيقاً .

هوتسبر : فإذا ما سقط فعلى الدنيا السلام ، فليغص أو فليسبح .
ابعث الخطر من الشرق للغرب ،
وليأت النيل من الشمال إلى الجنوب ، وعندئذ فليلتقيا
أواه إن الدم يندفع فى عروقى بشدة
أحرى بها أن تستنفر أسداً فى طراد من أن تروع أرنبا .

نورثمبرلند : إن تعلق خياله بمغامرة عظيمة

يدفعه إلى ما يجاوز حدود الصبر .

*هوتسبر : بحق السماء إنى لأراها قفزة سهلة
أن أرقى إلى القمر الشاحب الوجه فأنتزع منه الشرف
الوضاء ،
أو أن أنقض إلى أعماق البحر
لأغوص إلى غور سحيق لا تبلغه المسابير
فسأستنقذ الشرف الغريق وأرفعه من جدائله
وعندئذ يستطيع هذا الذى خلص الشرف واستنقذه
أن يتحلى بكل فضائله غير منازع . .
ألا بعداً وسحقاً لحال مهين تقتسم فيه فضائل الشرف
وتوزع بين الطامحين .

ورستر : إنه يتيه فى دنيا من الخيالات والأوهام
لا صلة لها بالموضوع الذى فى أيدينا ، والذى يجب أن
نتعهده ،
يا ابن العم ألا تعرنى سمعك لحظات ؟

هوتسبر : أسألك المعذرة .

ورستر : إن هؤلاء النبلاء الإسكتلنديين أنفسهم
الذين هم فى إسارك . .

هوتسبر : سأحتفظ بهم جميعاً ،
وأقسم لك أنه لن ينال قلامة ظفر من واحد منهم ،
لا لن يأخذ واحداً منهم حتى ولو كان استنقاذ روحه
معلقا على أخذه ،
سأحتفظ بهم جميعاً وحق هذه اليد .

ورستر : لقد جمحت ثانية
ولم تعرنى سمعك لتسمع إلى معانى أقوالى ،
إن هؤلاء الأسرى سوف تحتفظ بهم .

هوتسبر : أجل لأحتفظن بهم ، ولكن هذا كلام معاد ،
لقد قال إنه لن يفتدى مورتيمر
وأمرنى أن أكف لسانى عن الكلام فى شأنه ،
ولكنى سأبحث عنه وهو نائم
وأصرخ فى أذنه باسم مورتيمر
وسأعلم ببغاء ناطقة أن تردد اسم مورتيمر
ولا شيء سواه
وأهديه إياها حتى تؤرقه
ولا تسمح لغضبه أن يسكن جأشه .

ورستر : اسمعنى يا ابن العم أقول لك كلمة .

هوتسبر : كل كلام فى هذا الشأن قد أقسمت على أن أطرحه

ورائى ، ولا آبه له ،
ما لم يكن مؤدياً إلى إغاظة بولنبروك هذا وتعكير صفوه ،
أما هذا الأفاق قاطع الطريق ولى العهد ،
فلولا ما أظنه من أن أباه لا يحبه
بل ويسره أن يلقى بعض العنت والضيق
لسممته بدن من الجعة .

ورستر : وداعاً يا ابن العم ، وسأتحدث إليك فى وقت آخر
يكون مزاجك فيه أكثر استعداداً لسماع ما أقول .

نورثمبرلند : عجباً . . يا لك من مندفع قليل الصبر كأنما لدغك زنبار .
أراض أنت عن أن تتخلق بخلق النساء
فتطوى أذنك وتصمها عن أن تسمع لغير لسانك وحدك .

هوتسبر : ألا ترى أنى حين أسمع بنبأ هذا المخادع الحقير بولنبروك
فكأنما أحس أن العذاب قد سلط على فانهالت العصى
على تجلد جسدى وتفرى لحمى
والأشواك تخزنى والنمال تلسعنى ، وتهرأ جلدى ، وتستثيرنى .
لقد كانت أول مرة انثنت فيها ركبتاى
لهذا الملك المرائى ، هذا البولنبروك ،

في عهد ريتشارد في مكان لست أذكره الآن .
فماذا كنتم تسمونه ،
ألا فليحل عليه الوباء ، إنه في جلوسترشير
حيث كان يعيش الدوق يورك عمه المغامر البوهيمي ،
حينما عدت أنت وهو من ميناء رافنسبرج .

نورثمبرلند : عند قلعة بركلي .

هوتسبر : لقد قلت حقاً . . وما الذي حدث عندئذ ؟
لقد كان حديثه معي يتساقط شهداً من رقة المجاملة
التي حباني بها هذا الكلب المتملق .
فهو يقول « انتظر حتى يبدأ نجمه يتألق »
ويقفي بقوله « أي هري برسي » و « ابن العم الشفوق » .
أواه ليت الشيطان يتخطف هؤلاء الأقارب الأدعياء
النصابين . ألا فليغفر لي الله
أيها العم الطيب ، هات ما عندك فقد انتهيت .

ورستر : بل عليك بالحديث إذا لم تكن أنهيته ،
وسأتلمس أوقات فراغك وهدوء نفسك لأحدثك حديثي .

هوتسبر : لقد انتهيت حقاً .

ورستر : إذن لنعد مرة أخرى إلى حديث أسراك الإسكتلنديين ،
أطلق سراحهم فوراً دون انتظار للفدية .

وأمسك عليك ابن دوجلاس واجعله وسيلتك
لإحراز قوات فى إسكتلندا وتجنيد القوى فيها إلى جانبك،
وستنال بغيتك بسهولة . وعندى من الأسباب المتعددة
التى سأبعث بها إليك كتابة ما يكفى لتأييد ذلك
وتأكيده . (إلى نورثمبرلند) أما أنت يا سيدى اللورد
فنى الوقت الذى يشتغل فيه ابنك بتعبئة القوى فى
إسكتلندا ،
حاول أن تكسب سراً
ثقة ذلك الراعى النبيل
الأسقف المحبوب وتأييده .

هوتسبر : أتعنى أسقف يورك ؟ أليس كذلك ؟

وستر : بلى . . هو الذى عنيت ، فهو ممتلىء حفيظة
لموت أخيه اللورد سكروب فى برستول ،
ولست أقول ذلك رجماً بالغيب
أو تخميناً لما أحسبه سيقع ، بل أقول عن علم ويقين
بما يجول فى خاطره ، وبما يدبر ويقدر
وبما يرسم من خطط تنتظر الفرصة السانحة
لتسفر عن وجهها وتخرج للوجود .

هوتسبر : إنى لأشم ريحها ، وبحياتى لتكونن خيراً لنا .

نورثمبرلند : إنك دائماً تطلق الكلاب قبل أن يبدأ الطراد .
هوتسبر : إنها لن تكون إلا خطة نبيلة ،
تنضم فى تنفيذها قوات إسكتلندا وقوات يورك
إلى قوات مورتيمر ، أليس كذلك ؟
ورستر : هذا ما سيكون بلا ريب .
هوتسبر : إنها وأيم الحق خطة أحسن إحكامها وتسديدها .
ورستر : على أن ما يدعونا إلى المبادرة ليس أمراً هينا .،
إذ ينبغى علينا أن نجند جيشاً كيما ننقذ رؤوسنا ،
فهما بالغنا فى الكتمان الذى سنحيط به خطتنا ،
فإن الملك سيظننا على الدوام أصحاب حق عليه ،
ويرى فى سكوتنا أننا نطوى أنفسنا على عدم الرضا ،
فيحيط بنا حتى تسنح له الفرصة فيأخذنا أخذ عزيز مقتدر ،
وها أنت ذا ترى كيف بدأت نواياه نحونا تظهر
فى تغاضيه عنا وإنكاره إيانا وحرماننا عين الرضا والمحبة .
هوتسبر : هذا ما يفعله ، هذا ما يفعله ولننتقمن منه شر انتقام .
ورستر : وداعاً يا ابن العم ولا تخط خطوة فى هذا الأمر
حتى أزودك برسائلى التى سترسم لك الطريق وتحدد الهدف .

وحين تنضج الأمور ويواتى الزمان ، وسيكون ذلك سريعاً ،
سأسر إلى جلندور ولورد مورتيمر فى الحال
بالمكان الذى ستلتقى فيه أنت ودوجلاس وجميع قواتنا على أحسن حال
وفق الخطة التى سأرسمها
كيما نمسك أزمة أمورنا بأيدينا ،
ونقرر مستقبلنا الذى لا يزال حتى الآن قلقاً غير مأمون العواقب .

نورثمبرلند : فى رعاية الله أيها الأخ الطيب وتوفيقه ، فإنى على تمام الثقة أننا سنوفق ، وسننجح فى مسعانا .

هوتسبر : مع السلامة أيها العم ، وليت الساعات تدنو ، والزمن يجرى
حتى تشهد الميادين جهادنا وتسجل الطعنات والصيحات أمجادنا .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

(روشستر — فناء فندق — يدخل حمال وفى يده مصباح)

الحمال(١) : يا أيها النوام ويحكم هبوا ، إن لم تكن الساعة الرابعة وقد أوشك النهار أن يطلع فاشنقونى ، إن الدب الأكبر قد أصبح فى سمت المدخنة الجديدة، ومع ذلك فجيادنا لم تسرج بعد ، ويلك أيها السائس .

السائس : (وهو يتساقط من النعاس من الداخل) هأنذا قادم على الفور :

الحمال(١) : أرجوك يا توم أن توازن أحمال حصانى لتخفف عليه العبء وضع بعض خصلات الصوف تحت السرج حتى لا يحتك بجلده ، يا للحصان المسكين لقد هرأت جلده هذه البرذعة وأصابته بجراح كثيرة لا حد لها .

(يدخل حمال آخر)

الحمال(٢) : إن الفول والبازلاء هنا قد أفسدتهما بسرعة وعنف شدة البرد والرطوبة فلم يعودا يصلحان للأكل وتناولهما على هذه الصورةهو أقصر طريق لإصابة هذه الخيول المسكينة

بالديدان ، إن هذا الفندق قد انقلب رأساً على عقب بعد وفاة روبن السائس .

الحمال(١) : يا للمسكين ، إنه لم يلق ما يسره منذ ارتفع ثمن الشوفان، لقد كان في ذلك القضاء عليه .

الحمال(٢) : يخيل إلى أن هذا الفندق هو أقذر فندق فى كل الطرق المؤدية إلى لندن ، إنه ملىء بالبراغيث ، لقد أشبعتنى قرصاً ولدغاً كما تشبع الطفيليات السمك المرقش وخزاً

الحمال(١) : كالسمك المرقش بحق القربان ما من ملك فى دولة المسيح قد ذاق من عذاب القرص مثل الذى ذقت منذ لما صاح الديك صياحه الأول

الحمال(٢) : اسكت ويحك إنهم لم يسمحوا لنا بالمبيت فى غرفة أبداً، وعندئذ نضطر أن نتسرب إلى المدفأة ، وهذه المنامة تنسل البراغيث كأنها سمك البرغوث الذى يعج بالبراغيث والقمل .

الحمال(١) : ماذا بك أيها السائس ، تعال هنا ، أقبل وليتخطفك الموت تعال .

الحمال(٢) : إن معى لحم خنزير مقدداً ودرنتين من الزنجبيل على أن أوصلهما إلى تشيرنج كروس .

الحمال(١) : يا لله ، إن الديكة التى فى سلتى تكاد تهلك جوعاً .

ماذا بك أيها السائس ، أسرع تخطفك الطاعون ،
أليس لك عين فى رأسك ترى بها ؟ ألا تسمعنى ؟ لئن
لم يكن كسر رأسك عملا طيباً كالشراب فما أنا إلا شقى ؟
٣٥ أقبل تخطفك الموت ، أليس بك ذرة من إيمان ؟

(يدخل جادشيل)

جادشيل : أسعدتم صباحاً أيها الحمالون ، كم الساعة الآن ؟

الحمال(١) : أظنها الثانية .

جادشيل : أرجو أن تعيرنى مصباحك لأرى حصانى فى الإسطبل .

الحمال(١) : كلا ، مكانك يا سيدى فوأيم الحق لست غراً إلى هذا الحد ، فقد أعرف من الحيل ما هو أشد مكراً من حيلتك . نعم وأيم الله .

جادشيل : (إلى الحمال) أتوسل إليك أن تعيرنى مصباحك .

الحمال(٢) : أراغب أنت فى مصباحى حقاً ؟ ويلك يا سيدى ؟ إنك لن تناله قبل أن أراك تشنق .

٤٦ جادشيل : قل لى أيها الحمال متى تنتوى الوصول إلى لندن ؟

الحمال(١) : فى ساعة ما فى هذا المساء ، أؤكد لك يا سيدى ، هيا ياصديق « مجز » ننادى السادة لنرحل فى ركابهم ، إن معهم صحبة كبيرة تسافر معهم لأنهم يحملون مالا كثيراً .

(يدخل الحمالون إلى الفندق)

جادشيل : يا من هنا ، اسمعنى يا نذل أين أنت ؟

الخادم : (من الداخل) حاضر طوع يمينك كما يقول النشال .

جادشيل : الأمر يستوى أن يقوله النشال أو أن تقوله .أنت يا خادم الفندق ، فأنت لا تختلف كثيراً عن النشال إلا فى أنك تقوم بالتدبير ورسم الخطة وهو يقوم بالعمل والتنفيذ . ٥٧

(يدخل الخادم قادما من الفندق)

الخادم : صباح الخير أيها السيد جاد شيل ، لقد صح عندى ما أنبأتك به بالأمس فإن سيداً من الملاك فى مرتفعات كنت قد قدم ومعه ما يعدل مائتى مارك[1] ذهب ، وقد سمعته يقول ذلك على العشاء ليلة أمس لواحد من جماعته ، إنه أحد رجال الخزانة المحاسبين وهو الآخر يحمل مالا كثيراً لا يعلم مقداره إلا الله ، ولقد استيقظوا جميعاً وطلبوا إفطارهم بيضاً وزبداً ، وسيرحلون لتوهم . ٦٦

جادشيل : اسمع يا غلام ، إذا لم يلقهم رجال القديس نيقولا[2] فى عرض الطريق فلك عنقى هذا .

الخادم : لا لن أمس شعرة منه أبداً ، وأرجو أن تحتفظ به

---

(١) عملة إنجليزية قديمة تعادل ١٣ شلناً وأربعة بنسات .

(٢) كناية عن النشالين وقطاع الطرق .

للجلاد فأنا أعرف أنك ممن يدينون بعبادة القديس نيقولا بإخلاص لا يبزك فيه أحد من رجال السوء .

٧٢ جادشيل عجباً أتتحدث إلى عن الجلاد ؟ رويدك يا رجل ، فلو أنى شنقت لاقتضى ذلك إعداد مشنقة أخرى غليظة ، فلو أنى شنقت لشنق معى السير جون العجوز ، وسير جون ليس رجلا هيناً كما تعرف ، صه إن وراءنا رجالا آخرين يشاركوننا فى أعمالنا لا تحلم بهم ، إنهم يعملون معنا بدافع من حب المخاطرة والرياضة فحسب ، وهم قانعون بهذا ، ومن ثم فهم يضفون على هذه المهنة بعض الرعاية ، وهذا معناه أن الأمور إذا انتهت إلى أن تكون موضع التحقيق ، فإنها ستسوى حفاظاً على سمعتهم إننى لا أعمل مع أوشاب من اللصوص المتجولين ، ولا مع جماعة من النشالين الخطافين الذين يتصيدون الفقراء ويسرقون الملاليم ، ولا مع عصابة من السكارى ذوى الوجوه الحمر والشوارب الطويلة من حثالة اللصوص المعربدين ، بل إننى أشارك سادة مترفين من ذوى اليسار والجاه ، ورجال الخزانة العظام ، والأعيان المأمونين الحريصين ، الذين لا يثرثرون ، والذين يؤثرون الضربات على الكلمات ، والذين يفضلون صيحات

الطريق أخرج ما معك ، على صبحات الحانة هات الشراب ، والذين يفضلون الشراب على الصلاة ، بل لقد أسرفت فى هذا وأيم الله فهم دائبو الصلاة قرباً لقديسهم وهو الحكومة وإن شئت الحق فهم لايتعبلونها وإنما يستعبلونها ، فهم يتخذون منها مطية لأغراضهم وينتعلونها ليبلغوا مطامعهم .

الخادم : وى . . أينتعلون الحكومة لتحقيق مطامعهم ، أو تستطيع الحكومة أن تقيهم العوادى إذا جد الجد وحاق بهم الخطر ؟

جادشيل : أجل إنها تقيهم وترد عنهم ، فقد حصنتها العدالة وأدمنتها بالشراب الذى يرد عنها الريب ، إننا نسرق ونحن مطمئنون كأنما نسرق فى قلعة محصنة يحوطنا الأمن المطلق ونسير فلا يرانا أحد كأنما نحمل حبوب الإخفاء فى جيوبنا .

الخادم : كلا وأيم الحق إنكم تدينون لليل بسيركم مختفين لا يراكم أحد لا لحبوب الإخفاء .

جادشيل : هات يدك ، ليكونن لك نصيب فى غنيمتنا الليلة ،
: أقول هذا كما يقول الرجل الشريف .

الخادم لا بل قلها كلص خبيث ، وهو ما أنت فى الواقع .

جادشيل : إليك عنى ، فالإنسان اسم عام لجميع البشر شرفاء
وغير شرفاء ، مر السائس أن يخرج جوادى من
١٠٦ : الإسطبل ، ووداعاً أيها الوغد المتبلد الإدراك .

(يخرجان)

المنظر الثانى

(ممر ضيق بالقرب من قمة جادزهل . على بعد ميلين من روشستر أدغال وأشجار وليل ساكن مظلم . الأمير وبيتو و باردولف يصعدون التل ، وبوان يجرى فى أثرهم) .

بوان : تعال . . اختف . . اختف ، فقد نقلت حصان فلستاف من مكانه إلى موضع آخر وهو يهتز ويرتعد كما تتموج القطيفة المصمغة الرعاشة .

الأمير : تنح . . اختف . .

(يختبئ بوان وراء دغل ويصعد فولستاف مقطع الانفاس)

فولستاف : بوان . . بوان . . أين أنت تخطفتك المشانق ؟

الأمير : الهدوء . . الهدوء أيها الوغد المكتنز شحماً ، ما هذا الضجيج الذى تحدثه .

فولستاف : أين بوان يا هال ؟

الأمير : لقدصعد إلى قمة التل، وسأذهب لأبحث عنه (ينضم لبوان)

فولستاف : إنى لملعون أن سرقت مع عصابة هذا اللص . لقد نقل هذا الوغد حصانى من مكانه وعقله فى مكان آخر لا أعرفه . أواه لو أنى مشيت أربعة أقدام عداً بالمقاس

سيراً على قدمى إذن لخمدت أنفاسى وذهبت ريحى ، ولست أشك فى أن بوان سيكون السبب فى مصرعى ، ولكنى مع ذلك أنتوى أن أجعلها نهاية شريفة إذا أفلت من الشنق لقتلى هذا الشقّ . لقد لعنت صحبته فى كل ساعة طوال هذه الاثنتين والعشرين سنة ، ولكن عصابة هذا الشقّ ما فتئت تسحرنى . ألا فليكن الشنق مصيرى إن لم يكن هذا الوغد قد أعطانى جرعة مسحورة تحملنى على حبه ، ولا يمكن أن يكون الأمر على خلاف ذلك ، أجل لابد أنى شربت جرعة الحب المسحورة . بوان . . هال أين أنتما تخطفكما الطاعون ، أى باردولف أى بيتو ، إشهدا أنى سأهلك إن تقدمت خطوة أخرى للسرقة ، ولو لم يكن عملا طيباً كالشراب أن أستحيل رجلا شريفاً وأن أهجر هؤلاء الأشقياء لما كنت إلا أشد أهل الأرض جميعاً شقوة ونذالة . إن مسير ثمان أذرع على القدم فى هذه الأرض الوعرة ليعدل سبعين ميلا بالنسبة لى ، وهؤلاء الأوغاد القساة الذين قدت قلوبهم من الحجارة يعلمون ذلك حق العلم . ألا فليحل الطاعون بأهل الحرفة جميعاً ، ما دام اللصوص لا يتعاطفون فيما بينهم ، ولا يخلص الواحد

منهم للآخر . (يصفرون)
ويحكم ، فلينزل بكم الطاعون جميعاً ردوا إلى حصانى أيها الأشقياء ، ردوا إلى حصانى ، ولتتخطفكم المشانق بعد ذلك .

الأمير : (متقدم) الهدوء أيها البطن المكتنز ، ارقد على الأرض وأصخ السمع بأذنك بعد أن تلصقها بالأرض وقل هل تسمع وقع اقدام المسافرين ؟

فولستاف : وهل لديك روافع تقيمنى من الأرض بعد أن أرقد ؟ تا لله إنى لا أكاد أستطيع حراكاً ولن أحمل جسدى خطوة أخرى ولو أعطيت خزائن أبيك كلها ثمناً لذلك . أى بلاء حملكم على أن تخدعونى وتسخروا منى على هذا النحو ؟

الأمير : إنك تكذب فما خدعت ولكن فقدت حصانك .

فولستاف : أتوسل إليك أيها الأمير الطيب هال ، يا ابن الملك الأكرم ، أن تعيننى على أن أمتطى جوادى .

الأمير : بعداً لك أيها الشقى أتريدنى على أن أكون سائسك ؟ .

فولستاف : اذهب واشنق نفسك فى ربطة ساقك يا ولى العهد ، تا لله لو قبض على لأفشين سرهذا الأمر ، وإذا لم أجعل اسمك مضغة فى أفواه المغنين يشهرون بك فى أغانيهم

ويترنمون بهذه الأغانى على الألحان الساقطة البذيئة فليكن هذا الكأس من النبيذ سماً ناقعاً يقضى على حياتى ، إنى أكره المزاح إذا زاد على حده ، وخرج من القول إلى العمل .

(يقترب جاد شيل وهو ينزل من أعلى التل)

جادشيل : قف . . .

فولستاف : هأنذا واقف على الرغم منى . (يتقدم بوان و بارد ولف و بيتو)

بوان : إنه مرشدنا عرفته من صوته .

باردولف : ما وراءك من أنباء ؟

جادشيل : تخف . . تخف . . ضع القناع على وجهك ، إن أموالا للملك فى طريقها إلى الخزانة منحدرة من فوق التل :

فولستاف : إنك تكذب أيها الشقى ، إنها فى طريقها إلى الحانة .

جادشيل : إن فيها ما يكفينا جميعاً .

فولستاف : وما يكفى لشنقنا جميعاً .

الأمير : أيها السادة ، إن عليكم أنتم الأربعة أن تواجهوهم فى الممر الضيق ، على حين أسير أنا وبوان إلى موضع سفلى ، حتى إذا استطاعوا أن ينجوا من مواجهتكم نزلوا إلينا .

بيتو : ترى كم عددهم ؟

جادشيل : حوالى ثمانية أو عشرة .

فولستاف : يا لله ، ألا يسرقوننا هم ، وهم أكثر منا عدداً ؟

الأمير : ماذا تقول ، أجبان أنت يا سير جون الضخم البطن ؟

فولستاف : فى الحق أنا لست سير جون النجيل جدك ، ولكنى مع
٧١ هذا لست جباناً يا هال.

الأمير : فلندع هذا الآن فمحكه التجربة .

بوان : اسمع يا جاك ، إن حصانك يقف وراء السور ، فإذا
٧٥ احتجت إليه فستجده هناك وداعاً واصمد فى مكانك .

فولستاف : ألا سبيل إلى أن أدق عنقه إذا كان لابد أن أشنق ؟

الأمير : أين أقنعتنا التى سنتخفى بها يا ند ؟

بوان : إنها حاضرة فى مكان قريب جداً ، اختف . .

(ينسحب الأمير وبوان مبتعدين)

فولستاف : والآن أيها السادة ، أرجو أن يحالفنا الحظ جميعاً
٨١ مهما تكن الأحوال وليقم كل منكم الآن بواجبه .

(يسمع صوت المسافرين وهم ينزلون من التل)

المسافر (١) : هيا يا رفيقى نتمشى قليلا على أقدامنا لنريح أرجلنا من مشقة الركوب وسيقود الغلام خيولنا إلى أسفل التل .

اللصوص : قف مكانك .

المسافرون : رحماك يا رب .

فولستاف : اضرب ، أجهز عليهم ، قطع رقاب هؤلاء الأوغاد

الأدنياء العالة على المجتمع ، الذين أكلوا أمواله بالباطل ، الذين اكتنزوا شحماً ولحماً من أكل خيرات الأرض . إنهم يكرهوننا نحن الشباب ، أسقطوهم وجردوهم من أموالهم .

المسافرون : يا ويلتاه . . لقد ضعنا . . ضعنا وضاعت أموالنا إلى الأبد .

فولستاف : مكانكم أيها الأوغاد الضخام البطون . هل ضعتم حقاً ؟ كلا ! يا أيها الممتلئون شحماً ومالا . وددت لو كانت خزائنكم معكم هنا . عليكم بهؤلاء القرويين السمان . عليكم بهم ، ماذا تريدون أيها الأوغاد ؟ إن من حق الشباب أن يعيشوا مثلكم ، وأن ينعموا بالحياة . إنكم

٩٧ سراة أماثل ، ولذلك سنمثل بكم وأيم الحق

(وعندئذ يهجمون عليهم ويسرقون ما معهم ويوثقونهم بالحبال ثم يقود وتهم إلى أسفل التل ، ويعود الأمير هنري ومعه بوان متخفيين فى أقنعة جديدة) .

الأمير : لقد أوثق اللصوص قياد الرجال الأمناء . فهل فى مكنتنا أنا وأنت أن نسرق هؤلاء اللصوص ، وأن نعود إلى لندن فرحين مبتهجين ، لكى يكون هذا الحادث سلوتنا فى أحاديثنا طوال هذا الأسبوع ومصدر ضحكنا المتواصل طوال هذا الشهر ، ومعيناً طيباً للتندر والفكاهة إلى الأبد ؟

١٠٢ بوان : اختف . . فأنا أسمعهم قادمين . (يدخل اللصوص ثانية)

فولستاف : تعالوا أيها السادة نتقاسم الغنيمة فيما بيننا ثم نسارع إلى جيادنا قبل أن ينبثق النهار . ألا يكن الأمير وبوان جبانين ملعونين فلا داعى لإثارة خلاف حول العدالة . على أن بوان ليس فيه من الإقدام والشجاعة أكثر مما فى البط الوحشى الذى يفر طائراً لأول بادرة من

١٠٨ خطر . (وفيما هم يتقاسمون الغنيمة يقع عليهم الأمير وبوان)

الأمير : أخرجوا أموالكم ، علىّ بها .

بوان : أيها الأنذال (يفرون جميعاً تاركين الغنيمة وراءهم ثم يتبعهم فولستاف بعد ضربة أو أثنتين فارا بجلده وهو يجأر بالصياح ملتمسا الرحمة والعفو بينما الأمير وبوان يخزانه من الخلف بطرف سيفيهما) .

لقد استولينا على الغنيمة بغاية السهولة ، فهيا بنا الآن إلى جيادنا نمتطى صهوتها فى مرح وسرور ،
لقد تفرق اللصوص أيدى سبأ ، وتملكهم الرعب تملكاً قوياً حتى لم يعد واحد منهم يجرؤ على أن يلقى أخاه .
فقد بات كل منهم يخشى صاحبه ويحسبه الشرطى .
هيا بنا أى ند الطيب . لقد سال العرق من فولستاف

١١٥ بغزارة

وأسخن التربة الرقيقة بشحمه المتناثر المنسال وهو يسير
على طول الطريق ،
ولولا أن الموقف أثار ضحكاتى لرثيت له حقاً .

بوان : أرأيت كيف كان الشقى البدين يجأر بالصياح ؟

(يذهبان)

المنظر الثالث

(حجرة فى قلعة وركورت . يدخل هوتسبر وحده وهو يقرأ خطابا)

هوتسبر : « أما عن نفسي يا سيدى اللورد ، فى استطاعتى أن أقنع بأن أكون هناك تقديراً لما أكنه من حب لبيتكم » يستطيع أن يقنع ! ألم يقنع بعد ؟ وتقديراً للحب الذى يكنه لبيتنا ! لقد كشف هذا الخطاب عن دخيلة نفسه ، وأنه يحب بيادره أكثر من حبه لبيتنا ومع هذا فلأتابع قراءة ما يقول « إن الهدف الذى تسعى إليه جد خطير » ، هذا أمر مسلم به ، والخطر موجود فى كل شىء ، فنزلة البرد خطرة ، والنوم خطر ، والشراب خطر . ولكن دعنى أقول لك أيها اللورد الأحمق إننا نقطف هذه الزهرة الجميلة ، زهرة الأمن والسلامة من بين هذا الشوك ، وهو الخطر . « إن الهدف الذى تسعى إليه خطر ، والأصدقاء الذين سميتهم لا أمان لهم ، والوقت نفسه الذى اخترته ليس ملائماً ، وخطتك كلها أهون من أن تصمد لمثل هذه المعارضة القوية » . أأنت

الذى تقول ذلك ؟ أتقولها أنت ؟ ، إذن فدعنى أقل لك مرة أخرى إنك جلف جبان فارغ العقل وإنك تكذب . ألا ما أقل عقل هذا الرجل ، تا لله إن خطتنا لأحكم خطة وضعت ، وأصدقاؤنا مخلصون ثابتون على العهد ، خطة محكمة وأصدقاء أوفياء ، ومشروع يبشر بالأمل والنجاح . أجل ، إنها خطة رائعة الإحكام وأصدقاء غاية فى الثبات والولاء . فأى شقى خائر الفؤاد هذا الرجل؟ ما هذا الذى يقول ؟ إن كبير أساقفة يورك قد امتدح الخطة وأثنى على سير الأمور وطريقة التنفيذ . تالله لو أنى كنت بجانب هذا الوغد الآن لقضيت عليه بضربة من ريش مروحة زوجه . أليس وراء هذه الخطة أبى وعمى وأنا نفسى ؟ أليس وراءها لورد إدموند مورتيمر وكبير أساقفة يورك وأوين جلندور ؟ بلى ، وأليس وراءها فوق هؤلاء آل دوجلاس ؟ ألم أتلق منهم خطابات يعدوننى فيها بلقائى مسلحين قبل اليوم التاسع من الشهر القادم ؟ وألم يبدأ بعضهم بالمسير فعلا ؟ يا لله ، أى وغد وثنى هذا الرجل !

يا للكافر الجاحد ! واهاً له لسوف أرى أنه بدافع من إخلاصه الشديد للخوف وخور القلب

سيسارع إلى الملك ويفضى إليه بتفاصيل خطتنا .
ويلاه لأشطرن نفسى شطرين وأتركهما يحتربان ويكيلان
اللكمات بعضهما لبعض جزاء على مغامرتى بتحريك
هذا الخائر الهمة
لمثل هذا المقصد النبيل . ذروه ، حلت عليه اللعنة ،
يفضى للملك بأننا مستعدون ، فسأبدأ العمل الليلة .
(تدخل زوجه) مرحى يا كيت ، وفيم قدومك ، إننى
مضطر لتركك خلال هاتين الساعتين .

السيدة برسى : أواه يا سيدى اللورد الطيب ، ما الذى حملك على هذه
الوحدة التى تفرضها على نفسك ؟
وأى ذنب جنيته خلال هذين الأسبوعين
حتى هجرت مضجعى وحرمتنى من لقائك أى هارى
العزيز ؟
ألا تفصح لى عن هذا السر الذى سلباك
شهيتك للطعام وحرماك لذة العيش وأقض مضجعك ،
ونفى النوم اللذيذ عن عينك ،
ألا توضح لى سر إطراقك وتعلق عينيك بالأرض ؟
بالله ألا قلت لى فيم فزعك كلما خلوت إلى نفسك ؟
ولم غاض الدم النقى من وجنتيك حتى شحبتا ؟

وفيم سلبتني حقوقي الثمينة فيك
وأضفيتها على هذا الفكر المسمّ والحزن الملعون اللذين
استغرقت فيهما ؟
لقد راقبتك وأنا بجانبك حين تغفو هذه الإغفاءات
الخاطفة ،
فسمعتك تردد قصصاً عن الحروب الحديدية ،
وسمعتك تهتف بعبارات التشجيع لحصانك ،
وتصيح : « الشجاعة إلى الميدان ! » وسمعتك تتكلم
عن الكر والفر وعن الخنادق والخيام ،
وعن المتاريس والسدود ،
وعن الحواجز والموانع ،وعن المدافع على اختلاف أنواعها
وعن فدية الأسرى وعن الجنود المذبوحين ،
وعن سير القتال العنيف وتقلباته .
لقد كانت نفسك التي بين جنبيك هي الأخرى في عراك
دائم
كان يستثيرك ويحركك في نومك ،
حتى كانت قطرات العرق تتكاثف فوق جبهتك
كأنها فقاعات الهواء في مجرى قد اضطرب ماؤه لتوه
وجعلت وجهك تبدو عليه مظاهر غريبة

كتلك التى تبدو على الذين يحبسون أنفاسهم
عندما يفاجأون بأمر عظيم أو قرار خطير ، أواه . .
أى نذر هذه !
إن لدى سيدى اللورد عملا خطيراً يشغله ،
ومن واجبى أن أعرفه ، وإلا كان سيدى اللورد لايحبنى .

هوتسبر : يا من هنا ؟ (يدخل الخادم) ، هل رحل جليامز [1]
وأخذ معه الحزمة ؟

الخادم : أجل يا مولاى رحل منذ ساعة .

هوتسبر : وهل أحضر بتلر هاتيك الجياد من عند الوالى ؟

الخادم : قد أحضر حصاناً واحداً يا مولاى ، أحضره تواً .

هوتسبر : ومن أى نوع هذا الحصان ؟ أهو كميت مرفوع الأذن؟

الخادم : أجل يا مولاى ، هو كذلك .

هوتسبر : هذا الكميت سيكون المطية التى أعتليها ،
وسأعلو متنه لفورى ، وأملى فى الله هو اعتمادى .
مر بتلر أن يقوده إلى الخارج فى الحديقة .

(يخرج الخادم)

السيدة برسى : ولكن أرجو أن تستمع لى يا مولاى .

هوتسبر : ماذا تقولين يا سيدتى ؟

---

(١) Gillams

السيدة برسى : ما الذى يحملك على هذا السفر ؟

هوتسبر : يحملنى حصانى يا حبيبتى ، حصانى . .

السيدة برسى : إليك عنى أيها القرد المجنون ! إن ابن عرس لا تنطوى جوانحه على مثل هذا الضيق والغضب الذى يمزق فؤادك ويضيق به صدرك . وأيم الحق لأعرفن هذه المهمة التى تأخذ بها نفسك يا هارى ، ولأعرفنها حتما . أخشى أن يكون أخى مورتيمر قد تحرك ليطالب بالتاج ، وأنه بعث إليك يناشدك أن تؤيده فى حركته . ولكنك إذا سرت ورحلت . . .

هوتسبر إذا سرت هذه المسافة كلها على قدمى ، تعبت يا حبيبتى .

السيدة برسى : دع عنك هذا أيها الببغاء الصغيرة ، دعك من هذا وأجبنى على سؤالى إجابة صريحة ، وأقول لك الحق يا هارى جادة فيما أقول إنك إن لم تصارحنى بحقيقة الأمر فى صدق فسأعصرن خنصرك .

هوتسبر إليك عنى . . إليك عنى أيتها التافهة ، أتتحدثين عن

الحب ؟ أنا لا أحبك ، ولا أهتم لأمرك يا كيت !
إن هذه ليست دنيا نلعب فيها بالعرائس والدمى ،
ونتراشق بالشفاة بدلا من السهام ،
بل دنيا تقضى علينا بأن تكون لنا أنوف دامية ورؤوس
مهشمة ،
وأن نشترك فى قتال ندمى فيه الرؤوس . كان الله فى
عونى . على بحصانى .
ماذا تقولين يا كيت ؟ ماذا تريدين منى ؟

السيدة برسى : ألا تحبنى . . أحقًا إنك لا تحبنى ؟
أرجو ألا تحبنى إذن ، وما دمت لا تحبنى
فلن أحب نفسى . قل الحق ألا تحبنى ؟
أجل أفصح عن دخيلة نفسك وانطق ، أكنت تمزح
أو تقول الحق ؟

هوتسبر : تعالى . . ألا تحبين أن تودعينى وأنا أركب ؟
وعندما أمتطى صهوة جوادى فسأقسم لك
إنى أحبك حبًا لا يعدله حب . ولكن اسمعى يا كيت ،
بودى ألا تسأليني من الآن فصاعداً
إلى أين أنا ذاهب ولا فيم أنا ذاهب ،
فأنا يجب أن أذهب حيث يجب أن أذهب .

ويجب أن أودعك هذا المساء أى كيت الرقيقة ،
أنا أعرف أنك عاقلة ، ولكن عقلك وحكمتك
ليسا أكثر من عقل زوج هارى برسى وحكمته . وأنا
أعرف أنك ثابتة على العهد وفية
ولكنك مع ذلك لست إلا امرأة ، وأما من جهة حفاظك
على السر
فليس أصون منك امرأة ، ذلك أننى أومن أنك
لن تبوحى بسر لا تعرفينه .
وإلى هذا القدر أنا أثق بك وأأتمنك يا عزيزتى كيت .

السيدة برسى : وكيف وما هو هذا القدر ؟

هوتسبر : هذا القدر لن يمتد قيد أنملة . ولكن اسمعى يا كيت
أقول لك إننى حيثما أذهب ستذهبين ،
وسأرحل أنا اليوم ، وأما أنت فترحلين غداً .
أفيرضيك هذا يا كيت ويقنعك ؟

السيدة برسى : الضرورة تحملنى على الرضا قسراً عنى .

(يخب مسرعا لحصانه وهى تتبعه ساهمة)

المنظر الرابع

حجرة فى حانة رأس الحلوف فى إيست تشيب ، وفى مؤخرتها مدفأة كبيرة ، وبجانبها مقعد خشبى طويل . الوقت منتصف الليل . يدخل الأمير من أحد الأبواب ثم يعبر الغرفة ويفتح باباً فى مواجهة الباب الأول ، ثم ينادى .

الأمير : أرجوك يا ند أن تخرج من هذه الحجرة الخانقة الفاسدة الهواء ، وتعال عاونى على أن نضحك قليلا .

(يخرج بوان إليه)

بوان : وأين كنت يا هال ؟

الأمير : لقد كنت فى القبو مع ثلاثة أو أربعة من أصحاب الرؤوس الفارغة وبين ستين أو ثمانين دنًّا من دنان الشراب .

وقد اختبرت أحط درك للابتذال وأصبحت يا فتى أخاً فى العهد لمجموعة من السقاة والندمان أعرفهم بأسمائهم التى عمدوا بها كتوم وديك وفرانسس ، وقد أقسموا جميعاً بحق يوم الخلاص أننى وإن أكن ولى العهد فإنى ملاك اللطافة والظرف ، وقالوا لى فى صراحة إننى لست غرًّا متعجرفاً كفلستاف بل فتى مرحاً ، حلو الشمائل ،

م ٤

كريم العنصر ، طيب النفس ، تا الله لقد نعتونى بهذه الأوصاف جميعاً ، وعندما أصبح ملكاً لانجلترا سأكون حامل لواء كل هؤلاء الفتيان الطيبين فى إيست تشيب .

إنهم يسمون مدمنى الشراب ذوى الصبغة الحمراء ، وهم يصيحون بك حين تتوقف فى منتصف الشراب لتتنفس إحم ويأمرونك أن تجرع كأسك دفعة واحدة . وكى لا أطيل عليك أقول إنى قد أصبحت فى أقل من ربع ساعة خبيراً ممتازاً بحيث أستطيع الآن أن أشرب طوال حياتى مع أى سمكرى ، وأن أتفاهم معه بلغته الخاصة .

وأقول لك الحق يا ند إنك قد فاتك شرف كبير لأنك لم تصاحبنى فى مجلس الشراب هذا . ومهما يكن من شىء يا ند الحبيب فكيما أزيد اسمك حلاوة أهبك قطعة السكر هذه التى دسها فى يدى فى هذه اللحظة مساعد الساقى ، وهو رجل لم يتكلم من الإنجليزية فى حياته كلها إلا بضع كلمات لا تعدو « ثمانية شلنات ونصف » و « مرحباً بك » مضافاً إليها بعض عبارات أخرى ينطقها بصوته الحاد المرتفع « قادم يا سيدى حالا ،

حالا يا سيدى ، ابعث بزجاجة من النبيذ الأسبانى إلى حجرة القمر » ، أو ما شابه ذلك من الألفاظ ، ولى لديك رجاء يا ند نقطع به الوقت حتى يعود فلستاف هو أن تقف بإحدى الحجرات الداخلية حتى أستجوب أنا هذا الساقى الصغير الحدث عن السر فى إعطائه إياى هذا السكر ، وما الذى يقصده ، على ألا تكف طول الوقت عن مناداته باسمه فرانسس ، لكيلا يخرج حديثه معى عن قولة « حاضر قادم حالا » .
فادخل الآن وسأريك مثلا عمليًّا لما رويت لك .

(يعود بوان إلى الحجرة التى جاء منها و يترك بابها مفتوحاً خلفه)

بوان : (من الداخل) فرانسس ، فرانسس .

الأمير : أحسنت .

بوان : (من الداخل) فرانسس .

(يدخل فرانسس من الباب فى عجلة)

فرانسس : حاضر حاضر حالا ، حالا يا سيدى ، آسرع أنت يا رالف بالنزول إلى حجرة الرمان .

الأمير : تعال هنا يا فرانسس .

فرانسس :سيدى اللورد

الأمير : كم سنة يجب عليك أن تخدم يا فرانسس ؟

فرانسس : خمس سنوات بالحق يا سيدى وأزيد بقدر . .

بوان : (من الداخل) فرانسس .

٤٩ فرانسس : حاضر حالا ، حالا يا سيدى .

الأمير : خمس سنوات بحق العذراء ، إنها مدة أطول من أن تقضى فى قرع الكئوس والصحاف ، ولكن ألا تجرؤ يا فرانسس على الخلاص من تعهدك بتعلم هذه الحرفة ،

٥٤ وأن تولى الأدبار وتفر من هذا القيد .

فرانسس : سيدى اللورد ، أقسم لك بكل كتاب مقدس فى إنجلترا إنى أجد فى قلبى . . .

بوان : (من الداخل) فرانسس .

فرانسس : قادم حالا يا سيدى .

الأمير : كم عمرك الآن يا فرانسس ؟

٦١ فرانسس : دعنى أتذكر يا سيدى ، سأكون فى عيد القديس ميخائيل القادم . .

بوان : (من الداخل) فرانسس .

فرانسس : قادم حالا يا سيدى ، أتوسل إليك يا سيدى اللورد أن تمهلنى لحظة .

الأمير : أجل ولكن اسمع يا فرانسس ، إن السكر الذى أعطيتنيه

٦٦ يساوى بنسا ، أليس كذلك يا فرانسس ؟

فرانسس : أواه يا سيدى ، وددت أن أعطيك ما يساوى البنسين .

الأمير : سأعطيك فى مقابل هذا السكر ألف جنيه ، فاسألنى إياها عندما تريدها ولتأخذنها عندئذ .

بوان : (من الداخل) فرانسس .

فرانسس : قادم حالا حالا . .

الأمير : أتريدها حالا يا فرانسس ؟ لا يا فرانسس ، ليكن غداً يا فرانسس، أو يوم الخميس أو وقتما تريد يا فرانسس، ولكن يا فرانسس !

٧٦ فرانسس : مولاى .

الأمير : هل أنت مستعد أن تخدع ذى الميدعة الجلدية ، والأزرار الفضية البراقة والشعر المقصر ، والخاتم العقيق ، والجورب الداكن ، ورباط الساق الصوفى الحشبى ، ذى البطن المنتفخ والجيوب الجلدية المتورمة واللسان الناعم .

فرانسس : رباه يا سيدى اللورد ، من هذا الذى تعنى ؟

الأمير : إذا كنت لا تجد الشجاعة على الفرار من هذا الرق فأنت مقضى عليك أن تظل بقية حياتك تخدم ، وتقدم هذا النبيذ الأسبانى الداكن ، وأنت تشاهد هذا الصدار الأبيض الجميل ، وهو يتحول مع الأيام من

قذر إلى أقذر ، إن ألف جنيه فى مقابل سكر ببنس
واحد هو عرض طيب مغر ، قل أن يوجد مثله فى بلاد
٨٥ البربر نفسها .

فرانسس : ماذا تقول يا سيدى ؟

بوان : (من الداخل) فرانسس .

٨٩ الأمير : اذهب أيها الشقى ، ألا تسمعهم ينادونك .

(وهنا يقف الساقى فى حيرة فكلاهما يناديه وهو لا يدرى فى أى طريق يذهب ، وعندئذ يدخل صاحب الحانة) .

صاحب الحانة : ما هذا ، وفيم وقوفك ساكناً ، ألا تسمع هذه النداءات؟
اذهب وأجب الزبائن فى الداخل (يذهب فرانسس)
سيدى إن السيد جون العجوز ومعه ستة من الرجال
٩٤ واقفون بالباب ، فهل أسمح لهم بالدخول ؟

الأمير : دعهم وحدهم لحظة ثم افتح الباب بعد ذلك .
(يذهب صاحب الحانة) ، بوان !

بوان : (عائدا) قادم حالا ، حالا يا سيدى .

الأمير : اسمع يا فتى ، إن فلستاف وبقية اللصوص بالباب ،
٩٩ أمستعد أنت للمزاح والمرح ؟

بوان : إنى أمرح كالصرصور يا فتاى ، ولكن اسمع ، ما هو
الهدف الحقيقى من وراء هذا المزاح الماكر مع هذا

الساقى ؟ ، هيا خبرنى ، ما هو الموضوع ؟

الأمير : إنى متعدد الأهواء ، أهوى كل مزاح ظهر على الأرض ، منذ عهد أبينا الطيب آدم حتّى يومنا هذا ، بل حتّى هذه الساعة الثانية عشرة من منتصف هذا الليل .
(يمر بهما فرانسس مسرعا وهو يحمل الشراب) كم الساعة يا فرانسس؟

فرانسس : قادم حالا ، حالا يا سيدى (يخرج)

الأمير : إن هذا المخلوق لا يردد إلا كلمات قليلة أقل مما يعرفه الببغاء ، ومع ذلك ، فهو ابن أنثى . إن عمله كله محصور فى الصعود إلى الدور الأعلى والهبوط إلى الدور الأسفل وفصاحته لا تزيد على ترديد حساب الطلبات..
على أنى لم أنحدر بعد إلى أن أكون من صنف برسى هوتسبر الشمالى الذى لا ينعشه إلا القتال ولا يمتعه إلا إزاقة الدماء ، إنه يقتل ستين أو سبعين من الإسكتلنديين وقت الإفطار ،
ثم يغسل يديه ويقول لزوجه « تبًّا لهذه الحياة الهادئة ، إنى أتحرق للعمل» . فتقول له زوجه : « أى حبيبى هارى ، كم كان عدد قتلاك اليوم ؟ » فيقول: « أعطوا حصانى الكميت شربة ماء » ، ثم يجيب : « حوالى أربعة عشر» وبعد حوالى ساعة يقول: « هذا عمل تافه جداً »

أرجوك أن تنادى فولستاف ، فسألعب دور برسى ،
وسيقوم هذا الخنزير السمين الملعون بدور السيدة
مورتيمر زوجه . علينا بالشراب « الخمر ، الخمر » هكذا
١٢٥ يقول السكارى ، ناد هذا العظم ، ناد هذا الشحم .

(يدخل فولستاف ومعه جادشيل وبارد والف وبيتو ، يتبعهم فرانسس حاملا كئوس النبيذ ، فولستاف لا يلقى بالا إلى الأمير وبوان ويجلس متداعياً إلى أحدى الموائد) .

بوان : مرحباً بك يا جاك أين كنت ؟

فولستاف : (محدثا نفسه) الويل للجبناء والانتقام منهم أيضاً ،
أقول ذلك أنا ، الويل لهم آمين . أعطنى كأساً من
النبيذ يا غلام . لأشتغلن قبل أن يمتد بى العمر فى
إصلاح الجوارب فأخيط المخرق ، وأرفو المهلهل ،
وأحيك الكعوب . الويل لكل الجبناء أعطنى كأساً
من النبيذ أيها الشقى ، يا الله ألم يبق للرجولة وجود فى هذه
١٣٢ الأيام ؟. (يشرب الكأس)

الأمير : (مشيرا) ألم تر فى حياتك يا بوان الشمس وهى تقبل
طبقاً من الزبد ، الشمس الرحيمة القلب ؟ لقد استمع
إلى غزل الشمس فذاب وجداً ، فإلا تكن نظرته فانظر
إلى فولستاف ، إلى وجهه الأحمر وإلى قدح النبيذ
١٣٦ يذوب كما يذوب طبق الزبد .

فولستاف : (وهو يعطى فرانسس الكأس الفارغة) يا لك من شقى ، إن هذا النبيذ قد خلط بالجير أيضاً . ونفوس الأدنياء الخبثاء لا تنطوى على شيء إلا الشقوة والخبث . ومع ذلك فإن لجبان أسوأ من الشراب الممزوج بالجير . يا لك من جبان خبيث الطوية ، سر فى طريقك أى جاك العجوز ومت حينما تشاء ، وإذا كانت الرجولة ، الرجولة الحقة لم يخل منها وجه الأرض ولم تنس ، فإنى إذن لمستضعف كسمكة واهنة . إنه لم يبق على وجه الأرض فى إنجلترا إلا ثلاثة رجال أصلاء لم يشنقوا بعد ، وواحد من هؤلاء رجل بدين قد صار كهلا ، كان الله فى عونه على هذا الزمان ، هذا الزمان الغادر حقاً ، وددت لو أنى كنت نساجاً أغزل بيدى وأترنم راضى النفس بالمزامير أو بغيرها ، أواه . . ويل للجبناء ، ويل للأشقياء ، إنى لا أزال أرددها .

الأمير : ماذا بك أيها الكيس المكتنز ، وما هذا الذى تردده ؟

فولستاف : (يلتفت له) أأنت ابن ملك ؟ قسماً لأحلقن عذارى وأسير فى الأرض حليقاً إن لم أطردك خارج مملكتك بخنجر من الخشب وإن لم أسق رعيتك أمامك كقطيع

من الأوز البرى المذعور ، أأنت أمير الغال وولى العهد؟

الأمير : ويلك أيها الوغد البدين الحقير ، ما الذى حدث ؟

فولستاف : ألست جباناً ، أجبنى عن سؤالى أنت ، وبوان هذا أليس هو مثلك ؟

بوان : عليك اللعنة أيها المكتنز الغليظ البطن ، قسماً بالسيد المسيح لئن دعوتنى جباناً مرة أخرى لأطعننك بخنجرى (يجرد خنجره)

فولستاف : أدعوك جباناً ! لوددت أن تحل بك اللعنة قبل أن أدعوك جباناً ، ولوددت أن أدفع ألف جنيه لو كان فى طوقى أن أفر سريعاً كما تفر . إن كتفيك آية فى الاستواء ، بحيث لا يعنيك أن يراك أحد وأنت تولى الأدبار ، أتسمى هذا الإدبار مظاهرة لإخوانك وتأييداً ؟ الويل لمثل هذه المظاهرة . فليواجهنى منكم من يقدر على هذه المواجهة ، (ثم يوجه القول لفرانسس) أعطنى كأساً من النبيذ يا غلام ، ويلى إنى لشقى إن كنت قد شربت اليوم .

الأمير : يا لك من نذل ، إن شفتيك لم تجفا بعد من آخر كأس تجرعتها .

فولستاف : هذا لا يهم ولن يغير من الواقع شيئاً (يشرب) الويل

للجبناء جميعاً ، الويل لهم ولا أزال أقولها وأرددها .

الأمير : ماذا حدث ؟

فولستاف : ماذا حدث ؟ . . إن هنا أربعة من بيننا قد استولوا فى هذا الصباح على ألف جنيه .

الأمير : وأين هى يا جاك . . ؟ أين هى ؟

فولستاف : أين هى ؟ لقد سلبت منا ، لقد وقع علينا مائة رجل نحن الأربعة المساكين.

الأمير : ماذا تقول . . مائة رجل ؟

فولستاف : إنى لشقى إذن إذا لم أكن قاومت إثنى عشر رجلا منهم مدة ساعتين كاملتين ، وهم أدنى إلى من نصف طول سيفى هذا . لقد نجوت منهم بمعجزة ، ولقد طعنت ثمانى مرات من خلال صديريتى ، وأربع مرات من خلال سروالى ، وقطعوا درعى إرباً إرباً ، وثلموا سيفى كالمنشار ، وهاكم الدليل يقطع بصحة قولى ، إننى لم أحارب فى حياتى منذ صرت رجلا مثلما حاربت هؤلاء الرجال ، ولكن هذا كله لم يفدنا شيئاً ، الويل لكل الجبناء ، سل هؤلاء الذين كانوا معى ، ذرهم يتكلمون فإن نطقوا بشىء أكثر أو أقل من الحق الصراح فهم أشقياء أخساء أبناء ظلام .

الأمير : تكلموا أيها السادة ، قولوا ماذا حدث .

جادشيل : لقد سطونا نحن الأربعة على نحو اثنى عشر من الرجال .

فولستاف : ستة عشر رجلا على الأقل يا سيدى اللورد .

١٩٥ جادشيل : وأوثقناهم بالحبال .

جيتو : لا لم نوثقهم .

فولستاف : أيها الشقى لقد أوثقناهم جميعاً ، أوثقنا كل رجل فيهم وألا يكن هذا حقًّا إنى إذن ليهودى كافر ، يهودى لحماً ودماً ولا أستحق اسم المسيحى .

٢٠٠ جادشيل : وبينما نحن نتقاسم الغنيمة وقع علينا ستة رجال جدد أو سبعة .

فولستاف : وفكوا وثاق الآخرين وانضموا معهم فى الإحاطة بنا .

٢٠٣ الأمير : يا ويحكم وهل قاتلتموهم جميعاً ؟

فولستاف : جميعاً . . لست أدرى ماذا تعنى بجميعاً إلا أكن قد قاتلت خمسين رجلا منهم فما أنا إلا هزيل كعود من الفجل ، وإلا يكن اثنان أو ثلاثة وخمسون قد أحاطوا بجاك العجوز المسكين فما أنا برجل يدب على قدمين .

الأمير : أحمد الله على أنك لم تقتل أحداً منهم .

فولستاف : أجل، هذا أمر قد فات دركه، فقد قتلت اثنين منهم، أجهزت على اثنين منهم بالتأكيد ، شقيين كانا يلبسان

حلتين من الخيش المصمغ . ماذا أقول لك وماذا أدع
يا هال ؟ لك أن تبصق فى وجهى يا هال ولك أن تسمى
حصاناً إذا كنت أروى لك كذباً . إنلك تعرف خطتى
القديمة فى الدفاع وقد وقفت عندها ووجهت حدى
سيفى إليهم وحملت به عليهم ، لقد هاجمنى أربعة
٢١٧ أشقياء فى لباس من التيل الخشن .

الأمير : ماذا تقول ؟ أربعة هاجموك ؟ لقد قلت لتوك إنهما اثنان .

فولستاف : بل أربعة يا هال ، لقد قلت لك إنهم أربعة .

بوان : أجل . . أجل . . لقد قال أربعة .

فولستاف : هؤلاء الأربعة واجهونى جميعاً ، وحملوا على بسيوفهم فى قوة وأيد ولكنى لم أثر ضجة بل تلقيت ظبي سيوفهم السبعة بدرعى هكذا .

٢٢٦ الأمير : سبعة . . لقد كانوا أربعة حتى هذه اللحظة ؟

٢٣٠ فولستاف : وفى حلل من الخيش الخشن ؟

بوان : أجل أربعة فى حلل من الخيش .

فولستاف : سبعة بحق هذا السيف ، وإلا فأنا شقى .

الأمير : أرجوك دعه وحده ، وسنسمع مزيداً من قصته فى الحال .

فولستاف : أتستمع إلى يا هال .

الأمير : أجل أصغى إليك وأراقبك أيضاً يا جاك وأعد عليك الكلمات .

فولستاف : حسناً تفعل ، فالقصة تستحق الإصغاء لها . هؤلاء التسعة المرتدون حللا من التيل الخشن حدثتك عنهم . .

الأمير : وهكذا زاد العدد اثنين آخرين .

فولستاف : فلما تكسرت ظبات سيوفهم . .

بوان : سقطت عنهم سراويلهم .

فولستاف : بدأوا يفرون منى ، ولكنى تبعتهم وضيقت عليهم الخناق وأخذتهم بيدى وقدمى ، وبأسرع من لمح الخاطر جندلت سبعة من الأحد عشر .

الأمير ما أفظع هذا ! لقد أصبح اثنان من ذوى الحلل التيلية أحد عشر .

فولستاف : ولكن ثلاثة من الأوغاد الخارجين على القانون زين لهم الشيطان أن يأتوا من وراء ظهرى وأن يهاجموني من الخلف وكانوا فى لباس من التيل الأخضر ، ولم أرهم يا هال لأن الظلام كان دامساً إذا أخرجت فيه يدك لم تكد تراها .

الأمير : هذه الأكاذيب لا تختلف فى شيء عن صاحبها الذى

يأتى بها ، إنها ضخمة كالجبال ، مكشوفة للعيان ،
واضحة ملموسة . ويلك أيها النهم ذو العقل الأسن
والرأس الفارغ ، ويلك أيها الأحمق الوضيع الداعر
٢٥٣ يا دن من الشحم العفن ،

فولستاف : ما هذا؟ أهل جننت ؟ هل جننت ؟ أليس هذا هو
الحق . . الحق ؟

الأمير : ويلك يا كنوب ، كيف استطعت أن تعرف أن هؤلاء
الرجال كانوا فى لباس من التيل الأخضر على حين كان
الظلام دامساً ، إذا أخرجت فيه يدك لم تكد تراها ؟
٢٥٩ هيا خبرنا السبب ، وماذا تقول فى ذلك ؟

بوان : هيا هيا ، علينا بأسبابك يا جاك ، هات أسبابك .

فولستاف : وى . . أبالإكراه والتعذيب تريدونها ؟ تباً لكم لو أنكم
أوثقتمونى وقذفتم بى من حالق وسلطتم على كل آلات
التعذيب ما بحت لكم بشىء أبداً تحت تأثير هذا
الإكراه . أأدلى لكم بأسبابى بالإكراه ؟ والله هذا
لن يكون أبداً ، ولن أدلى بأسبابى تحت ضغط الإكراه
٢٦ ولو كانت الأسباب فى كثرة التوت الأسود .

الأمير : لن أحمل ذنب هذه الخطيئة أكثر من ذلك ، هذا
الجبان الدموى الوجه ، الثقيل الحمل على الفراش ،

٢٦٩ القاصم لظهور الخيل ، هذا التل الضخم من اللحم ، —

فولستاف : عليك اللعنة أيها الهزيل النحيل يا جلد ثعبان الماء ،
يا لسان الثور المجفف ، يا قضيب التيس ، يا أيها
السمك القديد ، أواه دعنى أستجمع أنفاسى لأقول لك
ما أنت على مثاله ، يا مقياس الخياط ، يا غمد
٢٧٤ السيف ، يا قراب القوس ، أيها السيف القضم الغث . .

الأمير : تمهل واجمع أنفاسك لحظة ثم واصل حملتك ، وعندما
ينضب معينك من الشتائم الوضيعة فاستمع إلى فلن أقل
لك غير هذا : —

٢٧٨ بوان : اصغ يا جاك .

الأمير : لقد رأيناكم نحن الاثنين تسقطون على أربعة رجال
وتوثقونهم بالحبال وكانوا سادة من الأثرياء ، أعرنى
سمعك لترى كيف أن الحقيقة المجردة ستصرعك وتكشف
عن زيفك ، ثم هاجمناكم نحن الاثنين ، وبكلمة
واحدة خدعناكم ، واحتلنا على تجريدكم من غنيمتكم ،
واستولينا عليها ، وها هى ذى بين أيدينا فى هذا المكان
٢٨٥ نستطيع أن نطلعكم عليها . أما أنت يا فلستاف ، فقد
حملت ثقل أمعائك المكتنزة وفررت فى خفة ونشاط
وأنت تجأر بالصياح طلباً للرحمة ولما تزل تعدو وتجأر

بالصياح كأنك العجل يخور خواراً متصلا . تباً لك من عبد تثلم فرند سيفك بيدك كما فعلت ثم تدعى كذباً أنه ثلم فى القتال ، أى خداع تبيت وأية حيلة وأى غباء يدور فى نفسك لتخفى عارك وشنارك الذى ظهر للعيان ؟

بوان : تكلم يا جاك ، ودعنا نسمع آخر ما فى جرابك من حيل؟

فولستاف : قسماً بالسيد المسيح لقد عرفتكما كما يعرفكما خالقكما ، اسمعانى أقل لكما ما حدث أيها السادة ، أكان خليقاً بى أن أقتل ولى العهد ، وأن أهاجم الأمير العريق الصادق ؟ إنكما لتعرفانى وتعلمان أنى جسور كهرقل ، ولكنها الغريزة هى التى تحذر الإنسان من الخطل ، فالأسد الهصور لا يقرب الأمير العريق الصادق ولا يمسسه بأذى . إن الغريزة شىء عظيم ، فإن أك قد
قد جبنت فهو جبن بدافع الغريزة ،
وسأظل أقدر نفسى وأقدرك ما عشت . أقدر نفسى أسداً هصوراً ، وأقدرك أميراً عريقاً صادقاً ، ومع هذا فلشد ما أنا مسرور أيها الفتيان لحصولكم على المال ، أيا صاحبة الخان غلقى الأبواب واسهرى الليل بطوله ،
ثم صلى غداً .
أيها الأبطال ، أيها الفتيان ، أيها الولدان ، أيتها

الذهبية ، نعمتم بكل ألقاب البطولة وسمات الاخوان الصادقين ماذا علينا أن نفعل ؟ ، هيا نمرح ونطرب وهيا نمثل رواية عفو الخاطر .

٣١١ الأمير : طب نفساً ، فسنفعل ما تريد وسيكون الحوار دائراً حول فرارك وهربك .

فولستاف : أواه ! ، كفى حديثاً فى هذا يا هال إذا كنت تحبنى حقاً

(تدخل صاحبة الخان)

صاحبة الخان : يا إلهى مولاى الأمير ؟ !

٣١٦ الأمير : ماذا بك يا سيدتى صاحبة الخان ؟ وماذا تريدين أن تقولى لى .

صاحبة الخان : عفوا يا مولاى ، إن بالباب سيداً نبيلا من القصر يريد أن يتحدث إليك ، وهو يقول : إنه قادم من لدن والدك

الأمير : صليه بقدر ما يرفع قيمته من نبيل [1] إلى ملوكى [2] ، ثم أعيديه أدراجه إلى أمى .

٣٢٣ فولستاف : وأى طراز من الرجال هذا القادم ؟

صاحبة الخان : إنه رجل مسن .

فولستاف : ترى أى أمر خطير قد دعاه أن يهجر فراشه فى منتصف

---

(١) النبيل عملة إنجليزية .

(٢) الملوكى عملة إنجليزية أكبر قيمة من النبيل .

٣٢٦ الليل ؟ أتسمح بأن أتولى جوابه يا مولاى؟

الأمير : أرجوك أن تفعل يا جاك .

فولستاف : سأرده على أعقابه توًّا . (يخرج)

الأمير : والآن أيها السادة ، بحق العذراء ، لقد قاتلتم قتال الأبطال هذا ما فعلته أنت يا بيتو وكذلك أنت يا باردولف ، كلا كما أسد هصور . وقد فررتما بدافع من الغريزة ، آثرتما ألا تمسا الأمير العريق الصادق ،
٣٣٢ كلا ، ما فعلتما هذا تبًّا لكما .

باردولف : فى الحق لقد فررت حين رأيت الآخرين يفرون .

الأمير : قل لى الآن بجد ، كيف انثلم سيف فلستاف على هذه الصورة ؟

بيتو : لقد ثلمه بخنجره ، وقال إنه سيظل يقسم حانثاً حتى لا يدع للصدق مكاناً فى بريطانيا ليقنعكم بأن سيفه
٣٣٩ قد ثلم فى القتال ، وأغرانا بأن نحذو حذوه .

باردولف : أجل ، وأقنعنا أن نخمش أنوفنا بالحسك لندميها وأن نلوث قمصاننا بدمائنا ، وأن نقسم أنه دم رجال بحق . وقد فعلت ما لم أفعله منذ سبع سنوات ، ولذلك أخذتنى
٣٤٤ حمرة الخجل،وأنا أستمع لخططه الشيطانية .

الأمير : يا لك من وغد أثيم ! لقد سَرقت منذ ثمانية عشر عاماً

كأساً من النبيذ وضبطت متلبساً بجريمتك ، ومنذ ذلك الوقت وأنت تحمر خجلا بالسليقة لقد كان فى يديك السيف والنار ومع ذلك فررت . فبأى غريزة تفسر ما فعلت ؟

باردولف : مولاى اللورد ألا ترى هذه الشهب ؟ ألا ترى هذه المذنبات النارية ؟ (مشيرا إلى وجهه)

الأمير : أراها .

باردولف : وماذا تظنها تحمل من نذر ؟

الأمير : أكباد حارة من الشراب وجيوب خاوية من الفقر .

باردولف : إنها الغل والغضب يا مولاى ، إذا أحكم تأويلها .

الأمير : بل حبل المشنقة إذا أحكم تأويلها (يعود فولستاف)

هذا هو جاك النحيل يعود ، هذه هى العظام العارية تقبل ، إيه أيها العزيز المتثائل ككيس القطن المكبوس ، كم مضى عليك منذ رأيت ركبتيك آخر مرة ؟

فولستاف : ركبتاى ! كان ذلك عندما كنت فى مثل سنك يا هال ، كنت حينئذ دقيق الخصر لا أكاد أبلغ سمك مخلب النسر ، وكنت أستطيع أن أنفذ من حلقة خواتم السادة والأعيان ، ولكن واهاً للهموم والأحزان ، إنها تثقل الرجل وتنفخه كأنه الكرة ، إن هناك أخباراً سيئة من الخارج .

وقد كان هنا سير جون براسى من لدن والدك ، ولابد لك من أن تبادر إلى القصر غداً صباحاً ، إن ابن إقليم الشمال هذا الأهوج برسى ، ومعه هذا الغالى الذى تحدى الشيطان وضربه بهراوته وسخر من إبليس وأحاله ديوثاً ، وأقسم للشيطان ويده فوق بلطة غالية لا مقبض لها

٣٧٣ كما لو كانت صليباً — هذا البلاء العظيم ماذا تسمونه ؟

بوان : أوين جلندور .

فولستاف : أجل . . هو أوين . . أوين بعينه ومعه زوج ابنته مورتيمر ونورثمبرلند العجوز ، وهذا الإسكتلندى المرح بطل الأبطال دوجلاس الذى يصعد التل العمودى وهو يعدو على ظهر جواده ، —

٣٨٠ الأمير : هذا الذى يعدو بأقصى سرعة ويقتل بغدارته الباز الطائر .

فولستاف : لقد أصبت .

الأمير : أما هو فلم يصب الباز أبداً .

٣٨٤ فولستاف : هذا الوغد شجاع أصيل المعدن ولا يفر أبداً .

الأمير : وأى وغد كنت إذن حين امتدحته الآن لفره ؟

فولستاف : امتدحت جريه على متن جواده أيها الببغاء الذى يردد ما أقول أما حين يكون راجلا فإنه لن يتحرك قيد أنملة .

٣٨٩ الأمير : أجل يا جاك ، بدافع من غريزته .

فولستاف : نعم أؤكد لك أن ذلك بدافع من غريزته . ما علينا ،
إن هذا الإسكتلندى معهم أيضاً ، وكذلك مورديك
وعلاوة على ذلك ألف رجل إسكتلندى من ذوى
القمصان الزرق . لقد تسلل ورستر هذه الليلة ،
وابيضت لحية أبيك جزعاً من هذه الأنباء ، وبوسعك
الآن أن تشترى الأرض بأبخس مما تشترى السمك
٣٩٥ الفاسد .

الأمير : إن من المحتمل إذا أقبل حر يونيو وهذه الحرب الأهلية
لا تزال قائمة أن نشترى العذارى بالمئات كما يشترون
٣٩٩ مسامير النعال .

فولستاف : بحق المسيح يا فتى لقد قلت حقاً ، ومن المحتمل أن
تكون لنا تجارة رائجة فى هذا المضمار ، ولكن قل لى
يا هال ، ألست ترتعد خوفاً ورعباً ؟ ترى هل تستطيع
الدنيا أن تجمع لك مرة أخرى وترميك وأنت ولى العهد
بمثل هؤلاء الأعداء الثلاثة ؟ هل تستطيع أن تجمع لك
مثل هذا المارد دوجلاس وهذا الشيطان برسى وهذا
الإبليس جلندور ؟ ألست مرتاعاً من هؤلاء الأعداء ؟
٤٠٧ ألا يقفز الدم فى عروقك فرقاً ؟

الأمير : لا وأيم الحق ، فما حرك هذا فى ساكناً ، وإنى ليعوزنى

طرف من غريزتك .

فولستاف : حسناً ستلقى غداً تعنيفاً شديداً حين تواجه أباك ، فإذا
٤١٢ كنت تحبنى فاعدد نفسك بجواب وجرب ما تقول .

الأمير : فلتقم مقام أبى ، ولتستجوبنى فى تفاصيل حياتى .

فولستاف : أأقوم بذلك، إذن فقر عينا، فسأجعل من هذا الكرسى
عرشى ، ومن هذا الخنزير صوبجانى ، ومن هذه الوسادة
تاجى .

الأمير : إن عرشك كرسى من خشب ، وصوبجانك الذهبى خنجر
٤٢٠ من الرصاص ، وتاجك الثمين النفيس رأس أصلع عار .

فولستاف : ألا تكن حمية الجلال والرحمة قد خبت فيك فستتحرك
أشجانك الآن . أعطنى كأساً من النبيذ حتى تحمر
عيناى ، فيظن أن احمرارها من أثر البكاء ، فأنا أريد
أن أتحدث حديثاً يكشف عن كوامن الأشجان وأن
٤٢٦ أتقمص فى ذلك روح الملك قمبيز وأسلوبه .

الأمير : ليكن ، وهأنذا أنحنى لك .

فولستاف : وهأنذا أتحدث إليك ، أيها النبلاء تنحوا جانباً .

صاحبة الحان : يا إلهى إن هذا للهو طيب وأيم الحق .

فولستاف : لا تذرفى الدموع أيتها الملكة الجميلة فالدموع المنهملة
٤٣١ عبث لا جدوى وراءه .

صاحبة الحان : إنه يجد ، إنه صارم الوجه لا أثر للضحك فيه .

فولستاف : أستحلفكم بالله أيها النبلاء أن تحملوا ملكتى الحزينة من هنا فإن الدموع قد فاضت من مآقيها .

صاحبة الحان : بحق يسوع إنه يمثل دوره كما يؤديه ممثل من أولئك المحترفين المتجولين الذين تعودت أن أراهم .

فولستاف : الهدوء أيتها الثرثارة . . الهدوء أيتها السلاف المعتقة التى تذهب بالعقول ، اسمع يا هارى إنى لا يحيرنى ويدهشنى ، أين تمضى وقتك فحسب ، ولكنى أعجب أيضاً فيمن تصاحب .
وإذا كانت الحشائش كلما أكثرنا وطأها بأقدامنا أسرع نموها وزاد انتشارها ، فإن الشباب على عكس ذلك ، كلما زاد إسرافه على نفسه سارع إلى الانتهاء . أما إنك ابنى فقد تأكدت من ذلك حين أخذت مقال أمك فيك من ناحية ، ورجعت إلى نفسى فيك من ناحية أخرى ، وقد أكد لى بنوتك على الأخص ظاهرة مميزة ماكرة فى عينيك ، وتدل فى شفتك السفلى . فإذا كنت ابنى حقاً ، فهنا يرد السؤال : لماذا وأنت ابنى تلاحقك الهمسات والإشارات كما ترى ؟ أيمكن أن تنزل الشمس المقدسة من سماء عليائها وتهرب من أداء واجبها وتأكل

التوت كما يفعل الأطفال الهاربون من المدرسة ؟ هذا سؤال لا ينبغى أن يوجه ، إذ لا يختلف اثنان فى الإجابة عنه . وهل يصح فى الأذهان أن ابن ملك إنجلترا يستجيل لصًّا ونشالا ؟ هذا سؤال ينبغى أن يسأل . إن هناك شيئاً طالما سمعت به يا هارى ، شيئاً يعرفه الكثيرون فى هذه البلاد باسم القار . هذا القار (كما يقول الكتاب القدامى) يلوث من يمسسه ، ومن قبيل القار ، هذه الجماعة التى تصاحبك . إننى أحدثك الآن يا هارى بحرقة الدمع لا بنشوة الشراب ، وبلوعة الأسى لا بغمرة السرور ، أحدثك لا بلسانى فحسب ، ولكن بآلامى أيضاً . ومع ذلك فهناك رجل فاضل طالما لاحظته فى صحبتك ولكنى لا أعرف اسمه .

الأمير : أى نوع من الرجال هو إن أذنت يا مولاى ؟

فولستاف : رجل طيب ذو مهابة مفرط فى السمن طلق المحيا ضاحك السن ، عليه سمت النبلاء ، عمره يجاوز الخمسين فيما أظن ، أو يقترب من الستين . لقد تذكرت اسمه الآن فهو يدعى فولستاف . فإذا كان هذا الرجل منغمساً فى الشهوات ، فقد خدعنى مظهره ، لأنى توسمت الفضيلة

في نظراته يا هال .

وإذا كانت الشجرة تعرف بثمارها ، وكانت الثمرة تنم عن أصلها فقد حق لى أن أؤكد لك أن فولستاف هذا تنطوى جوانحه على الفضيلة ، فاحتفظ به لنفسك وخل بينك وبين الآخرين . والآن خبرنى أيها الوغد الشقى ، أين كنت طوال هذا الشهر ؟

الأمير : أينطق مثلك بلسان الملوك ويتحدث حديثهم ؟ خل عنك هذا وقم أنت بدورى وسأقوم أنا مقام أبى .

فولستاف : أتنزعنى من الملك ، قسماً لو استطعت أن تقوم بدور الملك بنصف الوقار الذى أديته به ، وبنصف العظمة والجلال ، سواء فى القول أو فى العمل ، فلك أن تجردنى وتعلقنى من كاحلى كأرنب رضيع أو كأرنب برى مسلوخ فى حانوت بائع الدجاج .

(يغيران مكانيهما)

الأمير : حسناً هأنذا قد جلست على العرش .

فولستاف : وهأنذا أقف بين يديك فاشهدوا أيها السادة واحكموا بيننا .

الأمير : اسمع يا هارى من أين قدمت ؟

فولستاف : قدمت يا مولاى المعظم من إيست تشيب .

الأمير : إن الشكايات التى بلغتنى عنك لتحزننى أشد الحزن .

فولستاف : الويل لهم إنها شكايات كاذبة يا مولاى (جانبا) سأمثل
دور الأمير بطريقة تدهش لها وأيم الحق .

الأمير : أتصب اللعنات أيها الفتى الكفور ، إليك عنى ولا ترنى
وجهك بعد هذه الساعة ، لقد باعدت ما بينك وبين
الخير ، وحيل بينك وبين الحمد فى غلظة قاسية ،
إن هناك شيطاناً رجيماً يلازمك فى صورة رجل بدين
عجوز مفرط فى السمن كأنه البرميل ، ففيم صداقتك له ؟
وفيم حديثك مع هذا الصندوق الممتلئ بالعلل والأسقام ؟
هذه الجفنة العامرة بالشهوات البهيمية ،
هذه القربة المنتفخة من الاستسقاء ، هذا الزق الضخم
من النبيذ ، هذه العيبة المبرطشة المشحونة بالأمعاء ،
هذا الثور السمين المشوى المحشو بطنه بالتوابل واللحم
كأنه ثورماننجترى[1] ، هذه الرذيلة المجسمة وهذا
الشر الأشيب ، وهذا الشيطان العجوز وهذا
المغرور المسن ؟
أى خير يرتجى فيه وفيم مهارته؟ ألا تكن فى تذوق النبيذ
وشربه ؟ وفيم حذقه وخبرته اللهم إلا فى تقطيع أوصال

---

(١) مدينة زراعية فى إسكس Manningtree-Essex

ديك سمين والتهامه ؟ وفيم امتيازه اللهم إلا فى الدهاء والمكر ، وفيم دهاؤه اللهم إلا فى الخبث والسوء ؟ وفيم خبثه اللهم فى كل شىء؟ وفيم جدواه ونفعه اللهم فيما لا شىء .

فولستاف : وددت يا مولاى لو فسرت ما تقول ومن تعنى بهذا الحديث ؟

الأمير : عنيت هذا الخبيث الكريه مضلل الشباب فولستاف ، هذا الشيطان العجوز ذو اللحية البيضاء .

فولستاف : مولاى ، إنى أعرف هذا الرجل .

الأمير : أعلم أنك تعرفه .

فولستاف : ولكن إن قلت إنى أعرف فيه شرًّا أكثر مما فى نفسى تجاوزت بذلك حدود معرفتى ، أما إنه عجوز فهذا أدعى للرثاء له ، وشعره الأبيض ينهض دليلا على ذلك، وأما إنه رجل عابث شهوانى فهذا ما أنفيه نفياً باتاً مع احترامى لجلالتك . أما إذا كان شرب النبيذ بالسكر خطيئة فليتدارك الله المذنب برحمته ! وإذا كان الشيب مع المرح ذنباً فما أكثر أصحاب الحانات المسنين الذين أعرف ممن ستحل بهم اللعنة ، وإذا كانت البدانة بغيضة مكروهة فما أحرى

أن تحب وتعبد بقرات فرعون العجاف . لا يا مولاى الطيب ، نح بيتو ، ونح باردولف ، ونح بوان ، أما جاك فولستاف الحبيب ، جاك فولستاف الرقيق ، جاك فولستاف الصادق ، جاك فولستاف النبيل ، جاك فولستاف الذى يقطر نبلا وجسارة كما أعرفه ، جاك فولستاف العجوز ؛ فلا تبعده عنى يا مولاى ، أبقه فى صحبة هارى ابنك ، ولا تفرق بينه وبين صحبه هارى ، إنك إن تنح جاك البدين ، فكأنما نحيت الدنيا جميعاً .

الأمير : لأفعلن ذلك (يدخل باردولف وهو يعدو)

باردولف : يا مولاى . . يا مولاى . . إن المأمور بالباب ومعه رجال الشرطة .

فولستاف : إليك عنا أيها الشقى ، أتمم الرواية ، فإن لدى الكثير مما أود أن أقوله دفاعاً عن فولستاف . (تدخل صاحبة الحان)

صاحبة الحان : يا لله يا سيدى اللورد ، يا سيدى اللورد .

الأمير : ويحك ما هذه الضجة ؟ وما هذا الاهتمام بأمر تافه ؟ ماذا حدث ؟

صاحبة الحان : إن المأمور ورجال شرطته كلهم بالباب ، لقد جاءوا ليفتشوا الحانة . أأسمح لهم بالدخول .

فولستاف : أتسمع ما يقولون يا هال ؟ أشهد أنك أصيل أصالة الجنيه الذهبي وأنك ستبرهن على صدقك وأصالتك عند التجربة ، وستثبت أنك لست عملة زائفة : فأصالة الدينار تظهر من حكه لا من ملاحة نقشه إنك لن تعبث بي ولن تغرى بي رئيس الشرطة لأنك أصيل،

٥٤١ وإن لم يدل مظهرك على مخبرك .

الأمير : وأنت أصيل فى الجبن ولا يد للغريزة فى ذلك .

فولستاف : أنا أنكر القضية الكبرى فى قياسك . إن أنت منعت المأمور من الدخول فيها ،أما إن أنت لم تمنعه فمره يدخل. ولتحل لعنة السماء على تربيتى إن كنت جباناً أصيلا أو خفت الموت . سأقاد يا سيدى فى العربة إلى المشنقة بشجاعة كغيرى من الناس ، وإنى لآمل أن يعين ثقلى حبل

٥٤٨ المشنقة على الإسراع فى خنقى كبقية الناس .

الأمير : أسرع وأخف نفسك وراء الأستار ولينصرف الآخرون . والآن أيها السادة فلنبدو فى وجوه صادقة وضمائر خالصة .

فولستاف : لقد كانت لى الخصلتان ، ولكن زمنهما ولى وصدقهما

٥٥٣ عفت عليه الأيام ، ولذلك لابد لى أن أختفى .

(يختفى فولستاف)

الأمير : أدع المأمور (يخرج الجميع عدا الأمير وبيتو ويدخل المأمور ومعه الحمال) ، والآن يا سيدى المأمور ماذا تريد منى.

المأمور : أستميحك العفو أولاً يا مولاى ، وأقول لك إن صيحات النجدة
تابعت بعض الناس إلى هذا البيت .

الأمير : وأى ناس هؤلاء ؟

المأمور : أحدهم رجل معروف يا مولاى الكريم
تنم عليه بدانته وسمنه .

الحمال : سمين كالزبد .

الأمير : أؤكد لك أن هذا الرجل ليس موجوداً هنا ،
لقد كلفته أنا نفسى بعمل فى هذه اللحظة ،
وأقطع لك على نفسى وعداً أيها المأمور
أن أرسله إليك غداً مساء فى وقت العشاء
ليجيبك أو يجيب أى إنسان آخر
عن أى اتهام يوجه إليه ،
فدعنى بعد ذلك ، أرجوك أن تغادر هذا البيت .

المأمور : سأفعل يا مولاى ، غير أن هناك سيدين
قد فقدا فى هذه السرقة ثلاثمائة مارك .

الأمير : قد يكون هذا ، فإذا ثبت أنه سرق هذين السيدين ،

فسيلقى حسابه على ذلك ، ومع السلامة .

المأمور : طاب ليلك يا سيدى اللورد النبيل .

الأمير : أحرى أن تقول طاب صباحك أليس كذلك ؟

المأمور : بلى . . هذا صحيح يا سيدى اللورد ، فالساعة على ما أظن هى الثانية صباحاً .

(يخرج المأمور والحمال)

الأمير : (يزيح الستار) هذا الوغد المشحم أشهر من كنيسة

٥٧٦ القديس بولس اذهب وناده إلى هنا يا بوان .

بوان : (يزيح الستار) فولستاف ، ويحك ! إنه غارق فى النوم خلف الستر يغط كالحصان .

الأمير : اسمعوا شخيره ، إنه يتنفس بصعوبة ، ويجر أنفاسه جراً ، فتش جيوبه يا بوان (يفتش جيوبه فيعثر على بعض

٥٨٢ : الأوراق) ماذا وجدت يا بوان ؟

بوان : لا شىء إلا بضعة أوراق يا مولاى .

الأمير : هيا نرى ما تكون هذه الأوراق اقرأ ما بها .

بوان : (يقرأ) واحد ديك بنس ٢ شلن ٢ ، صلصة ٤ بنسات ، نبيذ ٢ جالون ٨ بنسات و ٥ شلنات ، واحد أنشوجة ونبيذ بعد العشاء ٦ بنس و ٢ شلن ، واحد خبز نصف بنس .

٥٩١ الأمير : يا للشيطان خبز بنصف بنس فقط

لكل هذه الكمية الهائلة من النبيذ ؟ أما ما بقى غير ذلك
فاحتفظ به جميعاً فى خفية سراً بينى وبينك لنقرأه فى
فرصة أوسع ، وذر فولستاف ينم حتى الصباح ، أما أنا
٥٩٥ فسأبكر إلى القصر ولنستعد جميعاً لخوض الحروب ،
فلابد أن نسهم فيها وسيكون لك فيها مكان مرموق
وسأخص هذا الشقى البدين بقيادة فرقة من المشاة ،
وإن كنت أعلم أن حتفه رهن بمسيرة بضع خطوات ،
سنرد النقود لأصحابها مع الفوائد ، وافنى فى الصباح فى
٦٠١ وقت مناسب ، أما الآن فأنعم صباحاً يا بوان .

بوان : نعمت صباحاً يا سيدى اللورد الطيب .

(يخرجان)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(بلاد الغال . حجرة فى بيت جلنداور . يدخل هوتسبر و ورستر ولورد مورتيمر وأوين جلنداور ، يحملون أوراقا)

مورتيمر : هذه الوعود جميلة ، وهؤلاء الأعوان موثوق بهم ،
وهذه البداية التى نستهل بها عملنا تبشر بنجاح الآمال .
هوتسبر : يا لورد مورتيمر ويا ابن عمى جلنداور
ألا تجلسان ؟
وأنت أيها العم ورستر أعرنى أذنك ،
لقد نسيت هذه الخريطة الملعونة .
جلنداور : لا لم تنسها ،
فهذه هى ، اجلس يا ابن العم برسى ، واجلس يا ابن العم الطيب هوتسبر ،
أجل هوتسبر ، فبهذا الاسم يتحدث عنك دائماً لانكستر
فيربد وجهه من الغضب وتتصاعد حسراته
متمنياً أن تصعد روحك إلى السماء . (يجلسون)
هوتسبر : ومتمنياً أن تذهب روحك إلى الجحيم كلما سمع اسمك

يا أوين جلنداور تلهث به الألسنة .

جلنداور : لست ألومه على ذلك ، فني يوم تعميدى
امتلأت صفحة السماء بالأجرام النارية
والشهب الملتهبة . وفى يوم ميلادى
اهتز هيكل الأرض ومادت أقطارها
كما ترتعد فرائص الجبان .

هوتسبر : هكذا كان لابد أن تفعل فى مثل هذا الفصل من السنة
حتى ولو كانت قطة أمك هى التى وضعت صغارها
ولم تولد أنت .

جلنداور : أنا أقول إن الأرض اهتزت ساعة ولدت .

هوتسبر : وأنا أقول إن الأرض لم يدر بخلدها ما دار بخلدى
إذا كنت تظن أنها اهتزت خشية منك .

جلندوار : لقد التهبت صفحة السماء كلها بالنيران وزلزلت الأرض

هوتسبر . إذن لقد زلزلت الأرض لأنها رأت السماء تلتهب بالنيران
لا خشية ولا فزعاً من تعميدك .
إن الطبيعة المضطربة كثيراً ما تثور ثورتها
فتخرج أثقالها فى انفجارات عجيبة ،
هذه الأرض المكتظة كثيراً ما تصاب بتقلصات تضيق
بها وتغضبها

نتيجة لانحباس رياح هوج فى جوفها ،
هذه الرياح الهوج فى محاولتها الانطلاق والتحرر من هذا المحبس
تزلزل جوانب الأرض الهائجة
وتقلب عاليها سافلها
لقد كانت أمنا الأرض فى يوم مولدك تشكو مثل هذا الاضطراب ،
ومن ثم زلزلت أركانها من هذا الألم الدفين .

جلنداور : يا ابن العم ،
أنا لا أحتمل هذه الاعتراضات من كثيرين من الرجال
ولكنى أستأذنك فى أن أقول لك مرة أخرى إن وجه السماء فى يوم مولدى
قد امتلأت صفحته بالأجرام النارية
وفرت العنزات من الجبال فزعاً ،
وارتدت قطعان الماشية إلى الحقول المرتعدة وهى تثغو ثغاء عالياً وقد أحيط بها من الدهشة .
هذه الإرهاصات قد دمغتنى بالعبقرية ،
وكذلك نمت على كل الأطوار حياتى
وأثبتت أننى لست فى ثبت غمار الناس .

أين يعيش فى هذه الأرض التى يحيط بها البحر الضارب
بأمواجه الصاخبة شواطئ إنجلترا وإسكتلندا والغال ؟
أين يعيش ذلك الذى يستطيع أن يدعونى تلميذه أو
أو يدعى أنى تتلمذت عليه ؟
هاتوا لى ابن أنثى
يستطيع أن يبزنى أو يشق غبارى فى مثابرتى على دراسة
فنون السحر المتعبة
أو يقدر على مجاراتى فى تجاربى واختباراتى الجريئة .

هوتسبر : ما من مخلوق على الأرض فيما أظن يستطيع أن يلغو
لغوك ،
سأذهب للعشاء . (يقوم)

مورتيمر : رفقاً يا ابن العم برسى ، فإن كلامك هذا سيثير جنونه .

جلنداور : إن فى طوقى أن أدعو الأرواح من الأعماق السحيقة .

هوتسبر : وكذلك أفعل أنا . . بل وكذلك كل إنسان يستطيع
دعوتها ،
ولكن هل تستجيب لك وتخرج إليك حين تدعوها ؟

جلنداور : إن فى طوقى يا ابن العم أن أعلمك
كيف تتحكم فى الشيطان .

هوتسبر : وأنا فى طوقى يا ابن العم أن أعلمك كيف تخزى الشيطان بقول الحق .
قل الحق يا ابن العم واخز الشيطان ،
وإذا كان لك من السلطان ما تستطيع به أن تدعو الشيطان ، فأت به إلى هنا .
وأقسم لك أن لى من السلطان ما أستطيع به أن أخزيه فى مكانى هذا .
اسمع يا ابن العم، قل الحق دائماً ما عشت واخز الشيطان .
مورتيمر : هيا . . هيا . . وخلكم من هذا الحديث الذى لا يجدى .
جلنداور : ثلاث مرات تحدانى هنرى بولنبروك وهاجم قواتى ،
وثلاث مرات رددته على أعقابه خائباً .
وأرجعته بلا خفين مقطع الأوصال
من هول العواصف ، من شواطئ نهر الواى[1] ووادى السفرن[2] العميق .
هوتسبر : رددته على أعقابه حافياً بلا خفين وفى جو عاصف مطير أيضاً ؟
فكيف بحق الشيطان استطاع أن ينجو من الحمى ؟
جلنداور : تعالوا هنا . . هذه هى الخريطة . . فهل نقتسم هذه

(١) Wye.
(٢) Severn

الأرض التى هى ملك لنا بحق الوراثة الشرعية
طبقاً للترتيبات التى اتفقنا عليها فيما بيننا نحن الثلاثة ؟

مورتيمر : (تبسط الخريطة على المنضدة) إن الأسقف قد قسمها
إلى ثلاثة أجزاء محددة متساوية إلى أبعد مدى ،
فإنجلترا من الترنت[1] والسفرن إلى هذه النقطة الموضحة
على الخريطة من الجنوب والشرق ستكون من نصيبى ،
وكل ما إلى الغرب من أرض الغال فيما وراء نهر السفرن
وكل الأراضى الخصبة الواقعة فى هذه الحدود
ستكون من نصيب أوين جلندور ، أما أنت يا ابن العم
العزيز
فلك كل ما بقى إلى الشمال فيما وراء نهر ترنت .
وقد تم وضع مشروع هذا التقسيم بالاتفاق فيما بيننا
نحن الثلاثة ،
وحالما يتم إعداد صور ثلاث منه نوقعها ونبصمها
بأختامنا ، إقرار لما فيها ، ويأخذ كل منا صورته ،
ونرجو أن يتم الأمر هذه الليلة ،
وغداً نرحل أنا وأنت يا ابن العم برسى ، ومعنا اللورد
الطيب وستر ونتوجه للقاء والدك والقوات الإسكتلندية

(١) Trent.

فى شروزبرى كما حددوا موعدهم معنا .
أما أبى جلندور فإنه لم يتم أهبته بعد ،
وما أظننا سنكون فى حاجة إلى عونه فى هذين الأسبوعين .
وخلال هذه الفترة تستطيع أنت أن تجمع
صفوف أعوانك وأصدقائك وجيرانك .

جلنداور : سألحق بكم أيها السادة فى زمن أقصر من هذه المهلة ؛
وفى حمايتى ستحضر زوجاتكم
اللاتى يجب أن تفارقوهن دون وداع ،
وإلا انهمرت العبرات
عند الفراق بينكم وبين زوجاتكم .

هوتسبر : يخيل إلى أن حصتى من هذا التقسيم
التى تبدأ من هنا عند شمال بورتون[1] لا تتساوى مع نصيبكما .
انظرا إلى هذا النهر كيف ينثنى ويتلوى فى حصتى
ويحرمنى من خير أراضى .
إنه ينبعج داخل أرضى كأنه نصف قمر ويقتطع من
أراضى قطعة ضخمة ،
لأقيمن سداً فى عرض هذا النهر عند هذا المنحنى

(١) Burton.

ولأحولن مجرى ترنت ، هذا النهر الفضى السلسال
إلى مجرى جديد آية فى السواء والاعتدال
بحيث لا ينثنى فى أرضى هذه الثنية العميقة
التى تحرمنى من الوادى الخصيب فى هذا المكان .

جلنداور : بحيث لا ينثنى ؟ لابد أن ينثنى . فيجب أن ينثنى ، ألا ترى أنه ينثنى ؟

مورتيمر : أجل هو ينثنى ،
ولكن انظر كيف يخط مجراه
ويجرى بنفس الطريقة فى الجانب الآخر .
وبذلك يقتطع من الجانب المقابل
بقدر ما يقتطع منك على الضفة الأخرى

ورستر : أجل هذا صحيح ولكن بنفقات قليلة يمكن قطع النهر هنا
وعندئذ يسترجع الجانب الشمالى هذا الرأس من أراضيه
ويعود النهر للاستواء والاعتدال فى مجراه .

مورتيمر : سأقطع النهر عند هذا الجانب فهذا لا يكلف إلا نفقات قليلة ولأحولنه على هذا الوضع .

جلنداور : أما أنا فلن أسمح بتحويله .

هوتسبر : ألن تسمح بتحويله ؟

جلنداور : لا لن أسمح ولن تحوله أنت .

هوتسبر : ومن هذا الذى يستطيع أن يقول لى لا ؟
جلنداور : سأقولها أنا .
هوتسبر : أرجو أن تقولها بلغة لا أفهمها ، قلها بالغالية إذن .
جلنداور : إنى أتكلم الإنجليزية يا سيدى اللورد كما تتكلمها أنت ،
وقد ربيت فى البلاط الإنجليزى ،
وهناك وأنا فى سن الشباب
نظمت عدة أغنيات إنجليزية جميلة ولحنتها على العود
مما زاد الكلمات جمالا وأضفى عليها حسناً ورقة ،
وتلك مزية لم نعرفها لك يا سيدى .
هوتسبر : رويدك ،
فأنا جد مسرور من كل قلبى لهذا .
فالأشرف لى أن أكون قطيطة تموء
من أن أكون نظاماً من هؤلاء الذين ينظمون الأغانى
ويتعيشون من بيعها وغنائها
والأهون على نفسى أن أستمع إلى حاملات الشموع
النحاسية وهى تنقلب على الأرض وتدوى دوياً
أو إلى العجلات الجافة وهى تحتك فى محاورها
حكًّا تضرس له الأسنان

من أن أستمع إلى الشعر المتصنع ،
فهو أشبه بضربات حوافر الخيل المتقطعة التى تصدر
عن حصان أجهد فوق طاقته

جلنداور : هون على نفسك فستنال بغيتك وتحول مجرى نهر ترنت .

هوتسبر : لست أهتم بهذا قلامة ظفر ، وإنى لعلى استعداد أن أنزل
للصديق الصدوق عن ثلاثة أمثال هذه الأرض بلا تردد ،
ولكن إذا بلغ الأمر حد المساومة
فاعلم أنى لا أفرط فى نقير ولا قطمير .
هل كتبت العقود وأعدت للتوقيع ؟ وهل يسمح لنا بالانصراف ؟

جلنداور : إن القمر وضاء جميل وباستطاعتكم أن تسافروا فى الليل
وسأتعجل مسجل العقود
على حين تفضون إلى زوجاتكم بأمر سفركم العاجل
وإنى لأخشى أن يصيب ابنتى مس من الجنون
فهى مشغوفة بزوجها مورتيمر . (يخرج)

مورتيمر : تبًّا لك يا ابن العم برسى ، كيف جرؤت على أن تعترض أبى وتغضبه .

هوتسبر : لم أكن مخيراً فى هذا ، فهو يستثير غضبى فى بعض الأحيان.

حين يحدثني عن الجحر والنملة ،
أو عن العراف مارلين وتنبؤاته ،
وعن التنين والسمكة التي بلا زعانف ،
وعن السبع الطائر المقصوص الجناح . والغراب المنتوف ،
وعن الأسد النائم والقطة المنتصبة ،
والكثير من أمثال ذلك من الروايات المختلفة المضطربة
التي تخرج الإنسان عن وعيه وتشككه في إيمانه .
وسأحدثك عما فعله ،
لقد استبقاني ليلة أمس تسع ساعات أو تزيد
وهو يعدد لي أسماء الجن والشياطين
الذين يعملون تحت إمرته ويستخدمهم أعواناً له
وما التفت إلى كلمة مما يقول
وإن واليته بعبارات الاستحسان من أمثال زه ، وهلم ، وأواه . .
إنه ممل مسئم كجواد مجهد أو زوجة وقاح .
إنه أسوأ من بيت معبأ بالدخان ، والأكرم لي أن أعيش حياتي
في طاحونة كالفقراء أقتات بالجبن والثوم
من أن أعيش معه منعماً أتغذى بالفطائر الحلوة

تحت سقف بيت صيفى جميل فى أى مكان فى العالم المسيحى ليصب فى أذنى هذه الترهات .

موتيمر : الحق إنه سيد مفضال
واسع الاطلاع موفور القراءة ،
حاذق فى الفنون السحرية ، والأعاجيب الخارقة ،
مقدام كالأسد ،
فى تواضع عجيب ، وسعة وغزارة كأنه كنوز جزائر الهند ،
بودى أن أقول لك يا ابن العم
إنه يسرف فى احترامك والصبر على مسلكك معه
ويكبح جماح نفسه ويمسكها على غير طبيعتها ،
عندما يعن لك أن تعارض هواه ،
أقول لك الحق إنه يكف نفسه ، بل أؤكد لك أنه لم يخلق بعد
ذلك الذى يستطيع أن يتحداه كما فعلت
دون أن يتعرض للخطر أو يتجرع اللوم والتقريع .
ولذلك أتوسل إليك أن لا تلجأ إلى هذا الصنيع مراراً وتكراراً .

ورستر : فى الحق يا سيدى اللورد أنك تستحق اللوم لإصرارك

عامداً على استثارته ،
فأنت منذ جئت إلى هنا ، لم تترك فرصة
إلا انتهزتها لإخراجه عن صبره .
ومن واجبك يا سيدى اللورد أن تروض نفسك على
إصلاح هذا العيب .
فقد يكشف هذا التحدى فى بعض الأحيان عن العظمة
والشجاعة وعراقة الأصل .
وهذا غاية ما ينالك بسببه من فضل ،
إلا أنه فى غالب الأحيان ينم من موجدة عنيفة ،
وسوء فى الخلق ، وعوز فى ضبط النفس ،
ويكشف عن الكبرياء ، والتعالى ، والغطرسة ، والازدراء
بالناس ،
وأقل هذه الخصال إذا لازمت الرجل الشريف النبيل
صرفت عنه القلوب وخلفت وراءها لطخة
تشوه جمال غيرها من الصفات
فتصبح غير خليقة بالثناء .

هوتسبر : حسناً لقد تهذبت ، وأسأل الله أن يكون سلوككم
الطيب خير معين لكم وواق فى ميدان القتال
وهاهن أولاء زوجاتنا قادمات فلنودعهن ونرحل .

(يعود جلنداور ومعه السيدات)

مورتيمر : هذا هو المشكل المحير الذى أضيق به ،
فزوجتى لا تتكلم الإنجليزية . وأنا لا أتكلم الغالية .

جلنداور : إن ابنتى تبكى وتقول إنها لن تصبر على فراقك ،
ولذلك فهى ستجند نفسها أيضاً وتذهب إلى ميدان
القتال .

مورتيمر : قل لها يا أبى الكريم إنها ستلحق بنا
هى وعمتى برسى سريعاً فى حمايتك .

(جلنداور يتحدث إليها بالغالية وهى تجيبه بهذه اللغة)

جلنداور : إنها مستيئسة فى هذه المسألة ، إنها امرأة عنيدة صلبة
الرأى ، لا يجدى معها أى إقناع ولا تردها حجة إلى
صوابها (تتكلم السيدة بالغالية)

مورتيمر : إنى أفهمك من نظراتك .
وإن لهذه الدموع الجميلة الغالية
التى تنساب من هذه العيون المنتفخة لغة أحذقها جيداً ،
ولولا العار لأجبتك بلغة مثلها . .

(تتحدث السيدة مرة ثانية بالغالية)

إنى أفهم قبلاتك وأنت تفهمين قبلاتى ،
لأننا نتخاطب بلغة الحواس لا بلغة العقل ، نتخاطب
بعواطفنا لا بألسنتنا .

ولن أكون متغيباً بلا إذن يا حبيبتى حتى أتعلم لغتك ،
فإن لسانك يضفى حلاوة على اللغة الغالية
ويحيلها حلوة الوقع كالأغانى السامية الأسلوب ،
ترددها ملكة جميلة فى خميلة صيف ،
وتوقعها على أنغام العود الساحرة .

جلنداور : حنانيك . إنك إن تذب هياماً تردد هى جنوناً بك .

(تعاود السيدة الكلام بالغالية)

مورتيمر : أواه . . إننى الجهل مجسماً فى هذا .

جلنداور : إنها تطلب إليك أن ترقد على الكلأ الأخضر اليانع ،
وأن تضع رأسك فى حجرها
لتغنى لك الأغنية التى تحبها ،
حتى تتوج إله النوم فوق جفنيك ، وتعقد سلطان
الكرى على عينيك ،
وتسحر حواسك بأنغامها ،
حتى تستكين نفسك وتهدأ هدأة بين النوم واليقظة .
أشبه بساعة الغسق
قبل أن تطلع الشمس
فى مركبتها الذهبية من ناحية الشرق .

مورتيمر : من كل قلبي سأجلس وأستمع إليها وهى تغنى لى ،

وأظن اتفاقنا ينتهى إعداده فى هذه الفترة ويكون معداً
للتوقيع .

(يجلس مورتيمر هو وزوجه)

٢٢٥ جلنداور : افعل هذا
واعلم أن هؤلاء الموسيقيين الذين سيعزفون لك أنغامهم
معلقون فى الجو على مبعدة ألف فرسخ من هذا المكان
٢٢٨ ولكنهم لن يلبثوا أن يجيئوا إلى هنا فاجلس واستمع .

مورتيمر : تعالى يا كيت . . تعالى فأنت تحذقين الرقاد ، تعالى
سريعاً سريعاً ، لأسند رأسى إلى حجرك .

٢٣٢ السيدة برسى : إليك عنى أيتها الأوزة المذعورة .
(يمسكها من معصمها وهى تقاومه ثم يجلسان وقد وضع رأسه فى حجرها)
(تعزف الموسيقى) .

هوتسبر : لقد أدركت الآن أن الشيطان يفهم الغالية ،
٢٣٥ ولا عجب إذا كان قد فهمها فهو عنيد كثير الأهواء ،
وبحق العذراء إنه موسيقى ماهر .

السيدة برسى : وإذن فأنت لاتصلح لشىء إلا أن تكون موسيقياً لأنك
أنت الآخر تتحكم فيك الأهواء ويسيطر عليك العناد .
ثم فى هدوء أيها اللص واستمع للسيدة وهى تغنى لك
بالغالية .

هوتسبر : لوددت أن أسمع السيدة كلبتى وهى تنبح كالذئب الإيرلندى .

السيدة برسى : أبودك أن يكسر رأسك ؟

هوتسبر : لا .

السيدة برسى : إذن فالزم الصمت .

هوتسبر : لا ، لن ألزم الصمت . . فالصمت من عيوب النساء .

السيدة برسى : والآن ليكن الله فى عونك .

هوتسبر : تخليت عنى لفراش السيدة الغالية .

السيدة برسى : ما هذا الذى تقول ؟

هوتسبر : صه ، إنها تغنى

(عندئذ تغنى السيدة أغنية غالية) تعالى يا كيت

: فسأسمع أغنيتك أنت أيضاً .

السيدة برسى : لن تسمع أغنيتى وأيم الحق .

هوتسبر : وأيم الحق هذه ليست لائقة بك ، إنك تحلفين
يا عزيزتى كما تحلف زوجة صانع الحلوى والفطائر ،
وتقولين كما تقول « لست أنت وأيم الحق » و « وفية
ما عشت » و « كما يوجهنى الله » و « واضحاً وضوح
النهار » .

إنك تستعملين عبارات التأكيد الهزيلة بدلا من الأقسام
المغلظة .
كأنك يا كيت زوج جندى أو مواطن عادى لم تبرح
قدماها حدود فنزبرى(١).
أقسمى يا كيت قسم السادة ، فأنت سيدة نبيلة ،
أقسمى قسماً مغلظاً يملأ الفم ، ودعك من هذه العبارات
الهزيلة « وأيم الحق » وأمثالها
وهى التى يتفوه بها السوقة من آكلى الخبز الخشن
والسيدات المتأنقات فى خير ملابسهن يوم الأحد ،
دعك من هذا وهيا غن لى .

السيدة برسى : لن أغنى .

هوتسبر : إذن فأقرب وسيلة تعينك على الغناء أن تتحولى إلى حائكة
ملابس أو إلى مدربة لطيور العندليب . فالحائكة
والمدربة كلتاهما مشهورتان بالغناء .
على أية حال إذا انتهى إعداد الوثائق فسأرحل فى خلال
هاتين الساعتين ولك أن تدخلى حينما تشائين .

(يخرج)

جلنداور : أقبل . . أقبل يا لورد مورتيمر إنك مغرق فى البطء

---

(١) Finsbury.

إغراق لورد برسى فى العجلة ، فهو يتحرق شوقاً إلى
الرحيل . .
بهذا قد تمت صيغة اتفاقنا . ولم يبق إلا أن نختمها
ثم نسارع إلى صهوات جيادنا .

مورتيمر : وأنا موافق من كل قلبي .

(يخرجون)

المنظر الثانى

لندن – حجرة فى القصر – يدخل الملك وأمير الغال وآخرون

الملك : أيها اللوردات أستميحكم المعذرة أن تدعونا وحدنا
إذ لابد لى أن أتحدث مع أمير الغال حديثاً خاصًّا على
انفراد ،
ولكن أرجو أن تبقوا على مقربة منا فسنحتاج إليكم فى
الحال.
(ينسحب اللوردات) لست أدرى أهى مشيئة الله أن
تجرى الأمور على هذا النهج
تكفيراً لذنب جنيته فيما سلف
فقضى فى غيبة الذى لا يرد
أن يخرج من صلبي
من ينتقم لخطيئتى ويكون على سوط عذاب ،
بلى . . إن سلوكك فى أطوار حياتك
يحملنى على الاعتقاد بأن العناية قد اختارتك
لتكون آلة الانتقام الرهيب والسيف المسلط على رأسى
للتكفير عن آثامى ، وإلا فقل لى :

بأى شىء آخر يمكن أن تفسر هذه الشهوات الجامحة الدنيئة
وهذه النزوات والفعال الرخيصة المبتذلة السوقية
وهذا الانغماس فى الملذات النابية والصحبة الجافية ،
كتلك التى تسوقك وتجرى فى عروقك
وكيف يمكن أن تتمشى هذه السقطات مع عراقة الأصل ،
وكيف يمكن أن يساير قلبك النبيل هذه المباذل إلا إذا كان هو نفسه مبتذلا ساقطاً .

الأمير : وددت لو أذنت لى يا مولاى
أن أستطيع تبرئة نفسى من جميع هذه الذنوب بحجج واضحة
وضوح إيمانى بطهارتى
من كل ما ألصق بى من اتهامات ،
وإنى لألتمس أن تتاح لى الفرصة لدحض هذه التهم
عساى وأنا أفند مزاعم الذين يتصيدون الثناء عن طريق الدس الرخيص
وإلقاء التهم فى آذان العظماء التى لا غنى لها عن أن تسمع لأمثال هؤلاء المروجين لقالة السوء ،

عساى وأنا أنفى هذه الأكاذيب التى رمونى بها زوراً وبهتاناً
أن أجد السبيل إلى عفوك عن طيشى ونزقى
وأن أتلمس الصفح عن نزوات الشباب
حين أقر بها مستغفراً فى خضوع بين يديك .

الملك : غفر الله لك ذنوبك ، ولكن دعنى أتأمل يا هارى
ميولك واتجاهاتك التى تجرى
على وتيرة تخالف ما جرى عليه كل أسلافك ،
لقد فقدت عضويتك فى المجلس الخاص نتيجة لخشونتك
وغلظتك
وحل مكانك فيه أخوك الأصغر ،
وأصبحت بعيداً عن قلوب رجال الحاشية
غريباً عند الأمراء جميعاً من آل بيتى ،
وتحطمت كل الآمال والأمانى المعقودة على شبابك ،
وباتت كل نفس
تتوقع سقوطك ،
ولو أنى أسرفت على نفسى فى الظهور بين الناس
وتبذلت فى عيونهم
وأصبحت ممجوجاً هيناً عند السوقة ،
لظل العامة الذين أيدونى وأعانونى على تسلم العرش

على ولائهم وإخلاصهم لصاحب العرش
ولتركونى مشرداً خافت الذكر فى منفاى
عاطلا من كل ميزة خلواً من كل أمل
وباحتباسى عن الناس إلا فيما ندر
لم أكن أتحرك إلا كما يتحرك الشهاب فأكون موضع الدهشة
حتى لكأنى بالآباء يتحدثون عنى إلى أبنائهم وهم يشيرون « هذا هو »
وكأنى بغيرهم يتساءل « أين بولنبروك وأى الناس هو ؟ »
وفى غمرة هذا الإعجاب استلبت من السماء حفاوتها
ولطفها واتخذتهما لنفسى
ولبست للناس لباس الرقة والتواضع
حتى ملكت ولاء قلوبهم
وانتزعت الهتاف والدعاء الحار من أفواههم
حتى فى حضرة مليكهم المتوج ،
وبذلك استطعت أن أحتفظ لنفسى بالجدة والحيوية ،
فكان وجودى بينهم أشبه مايكون بالرداء الكنسى المقدس
يثير إعجاب الناس ودهشتهم ، وإن كان لا يرى أبداً ،
وبذلك كان ملكى يبدو للناس غبناً ، ولكنه محبباً مغرياً !

يطلع عليهم كأنه العيد ، وبهذه الندرة اكتسب ما يحوطه
من هذه القداسة .
أما الملك الخفيف الطائش الذى كان يخف
إلى مصاحبة المهرجين وأصحاب النكتة الجوفاء والمتظرفين
من ذوى الخيال الجامح
الذين سرعان ما يشتعل ذكاؤهم وسرعان ما يخبو ،
فقد دنس ملكه بهذه المخالطة ،
وشاب جلاله بامتزاجه بهؤلاء الأوشاب والأدعياء
وامتهن اسمه العظيم حين جعله مضغة فى أفواههم الساخرة
اللعانة ،
وأساء إلى سمعته حين اندمج فى هذا الوسط المبتذل
وشارك فى الضحك والسخرية من الصغار الذين تجرؤوا
على لذعه بنكاتهم ،
وتظرف مع كل فتى هيأ له غروره أن يجاريه وأن يسخر
منه وأن يجعله هدفاً لنكاته اللاذعة .
وبذلك غدا رفيقاً لأبناء الطريق . وأسلم نفسه لصحبة
العامة .
فلما التهمته عيون الناس كل يوم
امتلأوا من العسل حتى أتخموا به وبدأوا يمجونه بل

ويكرهون طعمه الحلو .
ذلك أن تجاوز الحد القليل ولو قليلا ينطوى على سرف أى سرف ،
ومن ثم فإنه حين تهيأت المناسبات ليطلع على الناس
استقبل الناس مطلعه بفتور وفى غير شوق
كاستقبالهم للوَقْوَق فى شهر يونيو ،
فهم يسمعونه دون أن يأبهو له ،
وينظرونه ولكن بعيون كلت وسئمت من طول النظر إليه ،
بعيون حسيرة الطرف
لا تتطلع بشغف إلى جلاله كما تتطلع إلى جلال الشمس وعظمتها
حين تشرق على قلة فى أعين المعجبين المحبين ،
بل استقبلوه بعيون غافية مسبلة الجفون
وغضوا الطرف عنه
كما يفعل المتغطرسون مع خصومهم ،
فهم قد غصوا بمحياه وشبعوا من مشاهدته وازوروا برؤيته .
وأنت يا هارى مثلك الآن كمثله
فقدت ميزة الإمارة وأضعت اعتبارك بوصفك من النبلاء

باندماجك فى هذه الصحبة الماجنة .
فما من عين لم تمل النظر إليك لطول عهدها بك ،
اللهم إلا عينى اللتين تتطلعان بشغف إلى التريد من مرآك ،
عينى اللتين تصنعان الآن ما لا أود أن تصنعاه
فتغرقان فى لجة من الدموع والحنان الأهوج .

الأمير : لأرجعن إلى نفسى ، وأكونن لها أكثر مما تود يا مولاى المعظم ،
فيما يجد من أيام .

الملك : إنك ما زلت حتى الساعة فى نظر العالم كله
على نفس الحال التى كان عليها ريتشارد
يوم وطئت قدماى أرض رافنسبرج قادماً من فرنسا .
وأما موقف برسى الآن فهو أشبه بموقفى حينئذ ،
وأقسم لك بهذا الصولجان . بل وفوق ذلك بنفسى التى بين جنبى
إن لبرسى أهلية للتاج بما له من كفاية ووزن
تفوق أهليتك التى لا تستند إلا على حقك فيه بالوراثة
بوصفك وليًّا للعهد وخليفة للملك .

وبرسى هذا الذى لا حق له فى العرش ولا شبهة فى حق ،
يملأ أرض المملكة بالجيوش المسلحة
ويجاهر بالعصيان للملك ويقذف بنفسه بين فكى الأسد ،
برسى هذا الذى لا يكبرك سناً
يتصدر لقيادة لوردات مسنين وأساقفة محترمين
ليخوض بهم معارك دامية وحروب طاحنة
وما أكثر ما أحرز من أمجاد لن تموت
ضد دوجلاس الأشهر ، دوجلاس الذى سمت فعاله
وبرزت شجاعته فى المعارك ومجدت اسمه الحروب
حتى بزت شهرته الجميع وانتزع الصدارة من جميع
المحاربين
وأصبحت كفايته العسكرية تاجاً على جبينه لا يتسامى
إليه أحد
فى جميع الممالك التى تدين بدين المسيح .
هوتسبر هذا الشبيه بمارس إله الحرب فى ثوب الطفولة ،
هذا المحارب الوليد ،
هزم دوجلاس العظيم
وأذله فأسره مرة
وأطلق سراحه واتخذه صديقاً له

حتى لا يدع سبيلا لتحدينا والنيل منا إلا ولجه
وحتى لا يدع وسيلة إلا استخدمها ليعكر سلامتنا ويهز
أمن عرشنا .
وإلا فماذا تفسر هذا ، برسى ونورثمبرلند
وسماحة أسقف يورك ودوجلاس وموريتيمر
يجتمعون ويوقعون اتفاقاً فيما بينهم يأتلفون فيه ضدنا ثم
يهبون ثائرين علينا .
ولكن لم أفض إليك بكل هذه الأنباء ؟ ،
ولم أحدثك يا هارى عن أعدائى
وأنت أقربهم إلى وألصقهم بى وأشدهم خطراً على !
إنك أدنى إلى أن تحاربنى مأجوراً فى صفوف برسى
وبدافع من خوف التابع لمتبوعه
أو استجابة لهوى وضيع ، أو نزوة جامحة .
إنك أدنى إلى أن تناصبنى العداء
وأن تتبع برسى وتجرى فى ركابه وتنحنى خشية من غضبه
وأن تكشف إلى أى درك قد هوى بك الانحلال .

الأمير : لا تظنن بى الظنون يا أبى فلن تجدنى كذلك أبداً ،
عفا الله عن الذين باعدوا
بينى وبين حسن رأيك فى يا مولاى ،

ولكنى سأكفر عن كل هذا وستكون كفارتى على رأس برسى نفسه ،
وسأجد فى نفسى الشجاعة فى يوم أغر يكتمل لى فيه النصر
أن أقول لك هأنذا ابنك بحق ،
وسيكون ذلك اليوم حين أخرج من المعمعة وقد لبست ثوباً من الدماء
وتلطخ وجهى بالدم حتى ليبدو كأنما أخفيته تحت قناع دموى ،
فإذا ما غسلته وذهبت بآثاره ذهب معه كل عارى
وسيكون هذا اليوم عندما يشرق على الكون ،
هو اليوم الذى يتاح فيه لهارى ابنك الذى لا يؤبه به
أن يلتقى بهذا المحظوظ سليل المجد والشرف
هذا المقدام هوتسبر الفارس الذى يحظى بالثناء من جميع الأفواه ،
ولوددت أن تتكاثر الأمجاد التى تتوج هامته ،
وأن تتضاعف الأوزار التى تجلل رأسى بالعار ،
ذلك أن الساعة لابد
آتية ، التى سأحمل فيها هذا الفتى الشمالى

على أن يستبدل أوزارى بصنائعه المجيدة وفعاله المشرفة.
وفى الحق يا مولاى ما برمى إلا عميلى ووسيطى
يجمع لحسابى جملة كل الخصال المجيدة ثم يشتريها لى
وسأدعوه لأحاسبه على ما جمع لى حساباً عسيراً ،
وسأحمله على أن يسلم لى كل أمجاده
بحيث لا أدع له أدنى مكرمة خلعها عليه الزمان فى أيام عمره ،
فإن لم يسلم لى طائعاً مختاراً انتزعت حسابى عنده من أعماق قلبه
وإنى لأقطع هنا أمامك على نفسى وعداً بذلك ،
وأقسم بالله أن أنفذ هذا القسم إن أذن لى ربى ،
وإنى لأتوسل إليك يا مولاى أن تأسو
جراحاً طال بها الزمن وسببها الطيش والحماقة ؛
وألا تأسها فسيمحو الموت آثارها ويكفينا آلامها ،
وأقسم لك يا مولاى إنى على استعداد أن أموت مائة ألف ميتة
ولا أفرط فى حرف من هذا القسم أو أحنث فى أى جزء منه

الملك : ليموتن مائة ألف ثائر نتيجة لهذا

وليكونن لك قيادة وسلطان ولتفوزن بثقتنا ورضانا الملكى.
(يدخل بلنت) مرحباً ما وراءك أى بلنت الطيب ،
فإنى أرى نظراتك تنم عن اللهفة والاستعجال .

بلنت : إن الأمر الذى جئت أتحدث فيه يستدعى العجلة ويوحى بالمبادرة
فقد بعث لورد مورتيمر الإسكتلندى برسالة
يقول فيها إن دوجلاس اجتمع بالثوار الإنجليز
فى الحادى عشر من هذا الشهر فى شروز برى
وأنهم يؤلفون جيشاً قوياً رهيباً ،
إذا رعيت العهود التى قطعت
كما هو الحال فى كل مؤامرة خئونة بالبلاد .

الملك : سيرحل إيرل وستمورلند اليوم
ومعه ابنى جون لورد لانكستر
فقد مضى خمسة أيام على استطلاعنا هذا النبأ
أما أنت يا هارى فسترحل يوم الأربعاء ،
ونتبعك نحن يوم الخميس حيث نلتقى جميعاً فى بريدج نورث ،
وستخترق أنت يا هارى جولست شير
وعلى هذا الحساب إذا قدرنا الظروف التى نواجهها حق قدرها ،

ووزنا ما علينا أن نعمله بميزان دقيق فإن الأمر يقتضينا
حوالى إثنى عشر يوماً
من الآن لتجتمع قواتنا الرئيسية فى بريدج نورث
إن أيدينا ممتلئة بالعمل ، فلنسارع لإنجازه
فالميزة التى تكتسب بالمبادرة لا يفلّها إلا التوانى .

(يخرجون)

المنظر الثالث

حجرة فى حانة رأس الحلوف فى إيست تشيب والوقت فى الصباح الباكر
يدخل فولستاف وقد تدلت هراوة من منطقته ومعه باردولف)

فولستاف : ألا ترى يا باردولف أنى قد هزلت هزالا شديداً منذ واقعتنا الأخيرة ؟ ألا ترى أن وزنى يتناقص وأن عودى يذوى . . إن جلدى يترهل على بدنى كما يترهل الثوب الفضفاض على بدن المرأة العجوز لقد ذبل عودى كما يتغضن قشر التفاح المخزون ، واها لابد لى أن أتوب وأنيب وأن أسارع إلى الاستغفار ولما تزل فى بقية من قوة .

إن روحى ستنهار سريعاً ، ومن ثم لن تكون لى قدرة على الاستغفار ويلى ألا أكن قد نسيت هيكل الكنيسة من الداخل فما أنا إلا تافه حقير كحبة من فلفل أو كحصان الحمار . . هيكل الكنيسة ! إنى لم أعد أعرفه ، ويل لى من الصحبة ، صحبة السوء لقد كان دمارى على يدها .

١٤ باردولف : يا سير جون ، لا أظن أنك ستعيش طويلا من شدة

اضطراب الفكر .

فلستاف هذا ما أخشاه ، فهيا عنى لحناً ماجناً وأدخل السرور على قلبى فقد كنت نزاعاً إلى الفضيلة بالقدر الذى ينبغى للسادة ، أى بالقدر المناسب منها ، أقل من اللعنات ، ولا أسرف فى المقامرة ، فلا أتجاوز فى لعب النرد سبع مرات فى الأسبوع . ولا أتردد على بيوت الخنا أكثر من مرة فى كل ربع ساعة ، وأديت الديون التى اقترضتها ثلاث مرات أو أربع ، وكنت أعيش حياة رغدة منظمة مرتبة .
أما الآن فإنى أحيا حياة من الفوضى والعبث حياة مسرفة بلا نظام ولا حدود .

باردولف : إنك مسرف فى البدانة يا سير جون ، ولا بد أن نطاقك قد جاوز كل الحدود . إن محيطك جاوز كل الحدود المعقولة يا سير جون .

فولستاف : غير وجهك إن استطعت ، أغير أنا مجرى حياتى . إنك منا كسفينة القيادة التى تحمل مصباحها فى دفتها ، وإن كنت أنت تحمل مصباحك فى أنفك ، إنك فارس المصباح المشتعل .

باردولف : يا سير جون ، وجهى لا يؤذيك فى شىء ما .

فولستاف : كلا ، وأقسم على ذلك ، بل أنى لأستفيد منه كما يستفيد كثير من الناس من الخاتم المحلى بجمجمة ميت أو بأية صورة تذكر بالموت. فما من مرة رأيت وجهك إلاوتذكرت نار الجحيم وتذكرت الغنى[1] الذى كان يرفل فى الأرجوان ، أنه يحترق هنا أمامى فى نار وجهك بأثوابه الأرجوانية ويصلى سعيرا . ولو أنك كنت خيراً على أى وجه ، ميالا إلى الفضيلة ، لأقسمت بوجهك على هذا النحو : « قسما بهذه النار المنذرة التى هى من ملائكة الله » ولكنك تبذلت كلية ، وغرقت فى الشر إلى آذانك ولولا ما بقى من النور فى وجهك الكئيب صرت حقاً من أبناء الظلمة الحالكة . ولئن لم آخذك يوم عدوت مصعداً فى جادزهيل فى ظلمة الليل لتمسك بحصانى ، على أنك لسان خداع من ألسنة لهب الأرض ، أو كرة ملتهبة من البارود ، فلا بقيت للنقود قيمة ، أواه إنك موكب الشعلة المنتصرة التى لا تخبو نيرانها أبدا وإنك برق الصاروخ الخالد ، لقد وفرت على آلافاً

---

(١) الإشارة هنا إلىقصة الغنى ولعازر الفقير فى إنجيل لوقا (١٦ : ١٩ – ٣١).

كنت أصرفها فى شراء المشاعل والمواقد وأنا أسير معك فى الليل ما بين حانة وحانة ، ولكن النبيذ الذى تجرعته على حسابى كان يكفينى لأشترى بثمنه ثقاباً ومشاعل من عند أغلى الوقادين فى أوربا ، وبأرخص مما صرفت عليك . لقد داومت طوال هذه الفترة التى صحبتنى فيها والتى أربت على إثنتين وثلاثين سنة ، على أن أطفىء ظمأ هذا الحيوان النارى الذى تنطوى عليه جوانحك حتى لا تخبو نار وجهك ، وعند الله لى هذا الجزاء .

باردولف : تباً لك . . الا تنتهى عن هذا الحديث . وددت أن أدفن نار وجهى فى أحشائك !

فولستاف : فليتداركنى الله برحمته إذن . فتلك حارقة القلب والفؤاد لا محالة .

(تدخل صاحبة الحانة)

فولستاف : هيه أيتها المرأة الشكسة ، ألم تتحقق بعد ممن نشل جيبى .

صاحبة الحانة : وى يا سير جون ، ماذا تظن بنا يا سير جون ! أوتظن أنى آوى لصوصاً فى فندقى ؟ لقد بحثت وسألت ، وكذلك بحث زوجى وسأل ، سألنا الجميع رجلا رجلا ، وولداً ولداً ، وخادماً خادماً ،

ولم يسبق أن ضاع من بيتى شىء أبداً حتى ولا قلامة ظفر .

فولستاف : إنك تكذبين يا امرأة ، فقد نحل رأس باردولف وفقد كثيراً من الشعر وأقسم لك أن جيبى نشل ، إليك عنى . تولى فما أنت إلا امرأة .

صاحبة الخان : من تعنى بهذا ؟ أنا ؟ لا . . لا لست أنا التى يقال لها ذلك وأتحداك . وبحق نور الله ما من أحد قبلك تجرأ على أن يخاطبنى بهذه اللهجة فى بيتى .

فولستاف : إليك عنى ، فأنا أعرف الناس بك .

صاحبة الخان : لا يا سير جون ، إنك لا تعرفنى . ولكنى أنا التى أعرفك حق المعرفة يا سير جون . إنك مدين لى ببعض المال ، ولذلك تتصيد أسباباً للخلاف لتخدعنى عن حقى وتسلبنى إياه . لقد اشتريت لك إثنى عشر قميصاً كسوت بها ظهرك العارى .

فولستاف : لقد كانت من العبك الخشن الرخيص الذى تصنع منه الغرابيل وقد أعطيتها لزوجات الخبازين فصنعوا منها غرابيلهم .

صاحبة الخان : بل كانت من أفخر الأتيال الناعمة التى يساوى المتر

منها ثمانية شلنات بحق حرمتى كامرأة شريفة ، وفوق
هذا فأنت مدين لى يا سير جون بثمن طعامك وشرابك
فيما بين الوجبات ، هذا عدا المال الذى اقترضته نقداً ،
٨٦ فقد أخذت منى أربعة وعشرين جنيهاً .

فولستاف : إن عليه قسما منها ، فدعيه يوفى بحصته .

(مشيرا إلى بارد ولف)

صاحبة الخان : هو وا أسفاه رجل فقير لا يملك شيئاً .

فولستاف : هيه يا امرأة ، أتتحدثين عن فقره ؟ انظرى إلى وجهى ،
ثم قولى لى ما هو الغنى إن لم يكن هذا الوجه ؟ دعيهم
يسكون لك
هذا الأنف الأحمر ، وهذا الخد النارى دراهم ودنانير ،
أما أنا فلن أدفع دانقاً واحداً ، ويلك . . أتريدين أن
تضحكى منى وأن تعامليني كغر أبله وتسلبيني مالى ؟
وى . . أليس من حقى أن أستمتع بحظى من الراحة فى
بيتى ، إلا أن تنشل جيوبى ؟ لقد فقدت خاتم الشعار
٩٥ الذى ورثته عن جدى ، إنه يساوى أربعين ماركاً .

صاحبة الخان : يا إلهى ، لطالما سمعت الأمير يقول له مراراً وتكراراً إنه
خاتم من نحاس .

فولستاف : إن الأمير وغد ولص حقير يسرق أكواب الشراب من

الحانات ، عليه اللعنة لو كان هنا الآن لضربته بهراوتى هذه كما يضرب الكلب لو أنه تجاسر وقال لى ذلك

(يدخل الأمير وبوان وهما يمشيان فى صف منفرد فيلقاهما فولستاف وهو يلعب على عصاه كما يلعب بالمزمار فيسيرون معا حول الغرفة و ينضم بارد ولف إلى جانب بوان)

فولستاف : هيه يا فتى ، هل تهب الريح من هذا الباب حقاً ؟ أيجب أن نسير جميعاً إلى الميدان ؟

باردولف : أجل يجب أن نسير اثنين اثنين كما يسير المساجين مصفدين إلى سجن نيوجيت(١) .

صاحبة الحان : مولاى ، وددت أن تستمع إلى .

الأمير : ماذا تقولين يا سيدة كويكلى ؟ كيف حال زوجك ؟ إنى أحبه حباً جماً فهو رجل أمين .

صاحبة الحان : سيدى الكريم ، أرجو أن تسمعنى .

فولستاف : أرجوك أن تدعها وشأنها وأن تستمع إلى .

الأمير : ماذا تقول يا جاك ؟

فولستاف : لقد استغرقت فى النوم هنا فى الليلة الماضية وراء الستر ، ونشلت جيوبى وأنا نائم ، لقد تحول هذا البيت إلى دار من دور العاهرات وأصبحوا ينشلون الجيوب .

---

(١) Newgete.

الأمير : وماذا فقدت يا جاك ؟

فولستاف : وهل تصدقني يا هال إن قلت لك ؟ لقد فقدت ثلاثة سكوك أو أربعة كل منها بأربعين جنيهاً ، وفقدت خاتم الشعار الخاص بجدى .

الأمير : شيء تافه وأمر حقير لا يساوى أكثر من ثمانية بنسات.

صاحبة الحان : هذا عين ما قلته له يا مولاى ،
قلت له إن هذا ما سمعت عظمتك تقوله
فانبرى يا سيدى ينعتك بأخس النعوت بلسان لعان دنيء
كالعهد به وزاد أنه سيضربك بهراوته .

الأمير : ما أظنه قال ذلك .

صاحبة الحان : لأعدمن وفائى وصدقى وأنوثتى إن لم يكن قال ذلك .

فولستاف : ليس فيك من الوفاء أكثر مما فى امرأة عاهر ، وليس فيك من الصدق أكثر مما فى ثعلب انكشف لمطارديه ، أما الأنوثة فليس لك منها نصيب إلا بقدر ما للعجوز ماريان المسترجلة من نصيب فى رقة زوجة نائب العمدة وأناقتها ، اذهبي يا هذه ، إليك عنى أيها الشىء الحقير .

صاحبة الحان : ماذا تقول ؟ شيء . . أى شيء أنا ؟

فولستاف : أى شيء أنت ؟ . . كما خلقك الله وصورك ، شيئاً تحمدين الله عليه .

صاحبة الخان : لست كما خلقنى الله مكروهاً يحمد الله عليه ، وددت لو عرفت حقيقتى ، فأنا زوجة رجل أمين ، وأنت لست إذا ما خليت لقب السير جانباً ، إلا وغداً إذ تدعونى كذلك .

فولستاف : ولست ، إذا خليت أنوثتك جانباً ، إلا بهيمة متوحشة ولا غير ذلك .

صاحبة الخان : قل أية بهيمة يا هذا . . يا هذا الوغد .

فولستاف : أية بهيمة ؟ . . ثعلب الماء !

الأمير : ثعلب الماء يا سير جون ؟ : ولماذا ثعلب الماء ؟

فولستاف : إنه ليس سمكة ولا حيواناً ، وما يدرى أحد أين يلتمسه .

صاحبة الخان : لشد ما تظلمنى أيها الوغد حين تقول ذلك : فأنت أو أى إنسان آخر تستطيع أن تعرف كيف تستفيد منى ، وأين تلتمس منفعتى .

الأمير : لقد قلت حقاً يا سيدتى المضيفة ، ولقد أساء إليك إساءة شديدة .

صاحبة الخان : وكذلك أساء إليك يا سيدى ، فقد ادعى بالأمس أنك مدين له بألف جنيه .

الأمير : اسمع يا هذا ، هل أنا مدين لك بألف جنيه ؟

فولستاف : بألف جنيه يا هال ؟ بل بمليون يا هال ، فحبك يعدل

مليوناً من الجنيهات ، وأنت مدين لى بحبى إياك

صاحبة الخان : بل وأكثر من ذلك يا سيدى إنه دعاك بالوغد ، وقال إنه سيضربك بهراوته

فولستاف : هل قلت ذلك يا باردولف ؟

باردولف : أجل قلته حقاً يا سير جون .

فولستاف : أجل قلت سأضربه إن قال إن خاتمى من النحاس .

الأمير : وهأنذا أقول إنه من النحاس . فهل تجرؤ الآن أن تكون عند كلمتك

فولستاف : يا هال ، إنك تعرف أننى أجرؤ أن أكون عند كلمتى لو كنت رجلا عادياً ، ولكنك أمير يا هال ، وأنا أخشاك كما أخشى زئير جراء الأسد .

الأمير : ولماذا لا تقل كزئير الأسد ؟

فولستاف : إن الملك وحده هو الذى يخشى كما يخشى الأسد ، أو تظن أنى أخافك كما أخاف أباك ؟
ويلى ، إننى إن فعلت ، لدعوت الله أن يقصم ظهرى ويعرضنى للهوان .

الأمير : أواه ، لو قصم الله ظهرك لتدلت أمعاؤك عند ركبتيك ، ولكن اسمع يا فتى ، لست أرى فى صدرك مكاناً لإخلاص أو صدق أو أمانة ، فهو ممتلىء بالمصارين

والأمعاء ، كيف تسول لك نفسك أن تتهم امرأة أمينة بنشل جيوبك ؟ كيف يحدث هذا أيها الوضيع الوقح المتجرئ أيها الوغد المنتفخ المزبد ؟ قسما لو أن جيوبك انطوت على شيء غير حسابات الحانات ومواعيد بيوت الدعارة والخنا ، وبما يساوى بنساً واحداً من السكر الأحمر الخشن ليطيل أنفاسك ، قسما لو أنها عمرت بشيء غير هذه الحقارات فما أنا إلا شقى ، ولكنك مع ذلك تكابر فى الادعاء ولا تسلم بالخطأ فى هدوء ، ألا تخجل من نفسك ؟

فولستاف : اسمع يا هال ، ألا تعرف أن آدم هبط من الجنة ببراءة وسذاجة؟ فماذا يستطيع فلستاف أن يدفع عن نفسه فى أيام الشر والشقوة هذه ؟ أنت ترانى أكثر الناس اكتنازاً للحم ، ولهذا فأنا أشدهم ضعفاً . إناك تعترف إذن أنك نشلت جيوبى .

الأمير : هذا يبدو من سياق القصة .

فولستاف : أيتها المضيفة لقد عفوت عنك . هيا اذهبى وأعدى لى الإفطار وداومى على حب زوجك والعطف على خدمك وإكرام نزلائك وستجدينى دائماً على استعداد للاقتناع بأية حجة صادقة ، وهأنت ذى ترينى دائماً صبوراً

وديعاً مستعداً لحسم كل خلاف . أجل
وأرجوك أن تذهبي الآن . (تخرج صاحبة الخان)
والآن يا هال خبرني أنباء القصر وحدثني عما تم فى أمر
السرقة وكيف كفرت عنها ؟

الأمير : أواه يا ثورى الحبيب ، لابد لى أن أظل ملاككك الحارس على الدوام ، لقد رددنا المال لأصحابه.

فولستاف : واهاً.. لست أحب إعادة المال لأصحابه ، فهو جهد مزدوج.

الأمير : لقد تصافيت مع أبى وأستطيع أن أفعل كل ما أريد .

فولستاف : إذن فاسرق لى الخزانة العامة ، وليكن ذلك أول عمل لك ، وأقبل عليه من فورك ثابت الجنان دون استغفار أو ندم .

باردولف : افعل ذلك يا مولاى .

الأمير : لقد احتفظت لك يا جاك برئاسة فرقة من جنود المشاة .

فولستاف : وددت لو كانت فرقة من الفرسان ، وأين لى برجل يحسن السرقة ؟ ومن لى بلص أنيق فى الثانية والعشرين من عمره أو حول ذلك ؟ إننى رجل قد أسيء تسليحه وإمداده بالعدة الكافية بشكل يبعث على الخجل والزراية ، ومهما يكن من شيء فالحمد لله ، فهؤلاء الثوار لم يسيئوا إلى أحد اللهم إلا أهل الفضل المخلصين ، ومن ثم فأنا أثنى عليهم وأشكرهم .

الأمير : باردولف .

باردولف : نعم يا مولاى .

الأمير : اذهب واحمل هذا الخطاب إلى جون لورد لانكستر ،
إلى أخى جون ، وهذا الخطاب إلى لورد وستمورلند .
(يخرج باردولف) أما أنت يا بوان فهيا إلى جوادك . .
إلى جوادك . . أسرع إذاً يا بوان فإن أمامى أنا وأنت
أن نقطع على ظهور الجياد ثلاثين ميلا قبل أن يحين
وقت العشاء (يخرج بوان) أما أنت يا جاك فلاقنى غداً
فى الساعة الثانية بعد الظهر فى ساحة المحكمة ،
وهناك ستعرف فرقتك ، وستتلقى المال اللازم
والأوامر الضرورية لإعدادها ، وتزويدها بالعدة والسلاح ،
إن الفتنة تضطرم فى البلاد ، وبرسى يقف على رأسها ،
ولابد لأحدنا أن ينزل عن مكانه . فإما أن نهوى نحن
أو يهووا هم .

(يخرج وراء باردولف وبوان)

فولستاف : يا لها من كلمات حكيمة ، ويا له من عالم مقدام .
أيتها المضيفة على بالإفطار ، هيا أسرعى ،
وددت لو استطعت أن آخذ هذه الحانة معى ، وأن
تظل إلى جانبى وأنا أدق طبول المعركة .

(يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الأول

خيمة فى معسكر الثوار بالقرب من شروزبرى . يدخل هوتسبر ووورستر ودجلاس

هوتسبر : مرحى مرحى . . لقد أحسنت القول ، أيها الإسكتلندى النبيل ،
ولو أن قول الحق فى هذا الزمان العجيب لم يؤخذعلى أنه رياء ونفاق ،
لقلت إن مثل هذا الشرف حقيق أن يناله دوجلاس
حتى لا يدانيه فى علو مجده ورفعة شأنه
جندى من أبناء هذا الجيل فى أى بقعة من بقاع الأرض ،
ولكنى وأيم الحق لا أمارى
ولكنى أقطع ألسنة المرائين حين أقول
إن محبتك فى قلبي تملأ فراغاً لم يتطاول إليه إنسان غيرك ،
ولك أن تلزمنى بقولى ؛ اختبرنى يا سيدى اللورد .

دجلاس : إنك ملك الشرف

وما من رجل بلغت قوته ما بلغت يحيا على ظهر هذه الأرض

إلا أتحداه .

هوتسبر : افعل ما ترى وهو خير .

(يدخل رسول ومعه رسائل) ، ما هذه الرسائل التى تحملها . (إلى دوجلاس) لا أملك إلا أن أشكرك .

الرسول : هذه رسائل من أبيك .

هوتسبر : أرسائل منه ؟ ولم لم يأت بنفسه ؟

الرسول : إنه لا يستطيع القدوم يا مولاى ، فهو مريض جداً .

هوتسبر : يا للعنة ، كيف استطاع أن يجد فراغاً ليمرض فى مثل هذا الوقت الضيق العصيب ؟ ! ومنذا الذى سيقود جنده ؟

وتحت إمرة من سيقدمون ؟

الرسول : إن رسائله تحمل تعلياته ، ولم يحملنى إياها يا سيدى .

ورستر : أرجو أن تخبرنى ، هل هو ملازم لفراشه ؟

الرسول : أجل يا مولاى ، إنه ملازم لفراشه منذ أربعة أيام قبل رحيلى ،

وحين أزمعت السفر

كان أطباؤه يخشون عليه .

ورستر : وددت لو أن أمور الزمان استقامت وصحت من علاتها
قبل أن تنتابه العلة ويقعده المرض .
فصحته لم تكن فى وقت من الأوقات أثمن منها الآن .

هوتسبر : أيمرض الآن ؟ أيذبل عوده الآن ؟
إن مرضه هذا قد أصاب خطتنا فى الصميم .
إن هذه العلة تكاد تعدينا هنا ، تكاد تصيب معسكرنا كله .
إنه يقول فى خطابه إن داء دفيناً قد أصابه
وإن أصدقاءه ليس من السهل
أن يتجمعوا سريعاً تلبية لنداء نائب عنه ،
وإنه لا يعتقد أيضاً أن من الملائم أن يضع مثل هذه المهمة الخطيرة الشديدة الأهمية
على عاتق أى شخص لا يهمه الأمر مباشرة ، بل على عاتقه هو نفسه .
وعلى الرغم من ذلك فهو يبذل لنا النصيحة
قائلا إننا نستطيع أن نسير بقواتنا المشتركة الصغيرة قدماً
لنرى كيف تتصرف الحظوظ معنا ،
ولأنه وهو يكتب إلينا رسالته يرى أنه لم يعد مجال
للنكوص أو التردد

إذ أن الملك قد أحاط علماً
بجميع نوايانا وأهدافنا ، فماذا تقولون فى هذا ؟
ورستر : إن مرض أبيك جرح دام أصابنا فى الصميم ، وسيعوقنا .
هوتسبر : إنه جرح نغار ، أنه ساق بترت ،
ومع ذلك وأيم الحق هى لم تبتر ، إن عجزه الحالى عن مساعدتنا
يبدو لنا أكثر خطورة وأعظم أثراً مما ستكشفه لنا الحوادث عاجلا .
أكان من الحصافة والحكمة أن نخاطر بكل مواردنا وقواتنا مرة واحدة ،
وأن نخضع لرمية واحدة من رميات الحظ ؟
أمن الحكمة وبعد النظر أن نضع مثل هذا الأمل الغالى تحت رحمة المصادفات الدقيقة فى ساعة مشكوك فيها ؟
لا لم يكن هذا خيراً ، إننا إذا غامرنا بكل ما نملك مرة واحدة
استنفذنا بذلك كل آمالنا ، وكل حظوظنا
ورأينا أننا بذلنا آخر ما نستطيع ، وكشفنا عن أبعد غور فينا

ووصلنا إلى الغاية التى ليس بعدها غاية فى جهودنا
وآمالنا .

دجلاس : هذا وأيم الحق صدق كله ،
وسيدفعنا الأمل فى مزيد من القوات تأتى لنجدتنا أن نبلى
بما فى أيدينا بلاء حسناً
وأن نندفع بها بقوة فى غير ما خوف ولا وجل
مطمئنين إلى ما سيأتينا من مدد منتظر ،
واثقين أن وراءنا ملجأ نأوى إليه عند الحاجة .

هوتسبر : ملجأ نأوى إليه ، وحصناً نلوذ به
إذا بدا لنا أن الشيطان وسوء الحظ
يتهددان قواتنا التى لم نجربها بعد .

ورستر : وددت رغم كل ما قلت لو أن أباك كان معنا هنا يقف
إلى جانبنا ،
فإن طبيعة مهمتنا ، وقوام مشروعنا
لا يحتملان انقساماً ، ولا يطيقان فرقة
فقد يظن بعض الناس ممن لم يقفوا على سر تخلفه
أنها الحكمة أو الولاء، أو مجرد عدم الرضا عن خططنا
وأساليبنا
هى التى حجبته عنا ومنعته من القدوم إلينا ،

ولكم أن تتصوروا مبلغ ما يثيره مثل هذا الخيال من تردد
في قلوب العصبة الواجفة ،
ومبلغ ما يؤثر هذا فى مجريات الأمور
بل مبلغ ما يثيره من الظنة والشك فى نزاهة قصدنا
ونحن المهاجمين الذين وضعنا حياتنا وأموالنا رهناً لصدق
قضيتنا وإخلاص نيتنا كما ترون يجمل بنا أن نكون
بعيدين عن مواضع النقد الشديد
وأن نسد كل ثغرة
يمكن أن تطل منها علينا عيون المتربصين
وفى الحق أن تخلف أبيك يكشف الستار
عن أشياء تبدو لعين الجهال أنها تنم عن خوف من
ناحيتنا
ما كان ليدور بخلد أحد من قبل .

هوتسبر : أنك تبالغ فى التطير من غياب أبى ،
أما أنا فأفضل أن أستفيد من هذه الغيبة ،
فهى تضفى علينا سنى وسناء وتزيد سمعتنا قوة وعظمة ،
وتنعت مشروعنا العظيم بالجسارة والإقدام أكثر مما لو
كان معنا

فسيظن الناس لا مشاحة
أننا إذا كنا قدرنا بغير عونه
أن نسفر عن العداء للملك وأن نهاجم مملكته ، فكيف إذا كان معنا ؟
إننا بمساعدته سوف نقلبها رأساً على عقب .
ومع ذلك ففيم القلق ؟ إن كل شيء يجرى على ما يرام
وما زلنا يداً واحدة .

دجلاس : ليس لكلمة الخوف ضريب يجرى على الألسنة فى إسكتلندا ،
إن أحداً منا لا يعرف الخوف ، أقول هذا بوحى من قلبى .

(يدخل الخيمة سير ريتشارد فرنون)

هوتسبر : مرحباً بك يا ابن العم فرنون ، مرحباً بك من كل قلبى .

فرنون : ادع ربك أن تكون أنبائى تستحق مثل هذا الترحيب يا سيدى ،
إن إيرل وستمورلند ومعه سبعة آلاف من الرجال الأشداء
يحثون الخطى نحونا يصاحبهم الأمير جون .

هوتسبر : لا ضير فى هذا ، فهل من مزيد ؟

فرنون : وعلمت أكثر من ذلك

أن الملك نفسه بدأ بالتحرك إلى هنا
أو هو على وشك التحرك
ومعه جيش قوى قادر مزود بعدة القتال .

هوتسبر : سيجد منا الترحيب أيضاً
وأين ابنه السريع العدو والفرار أمير الغال البوهيمى ؟
وأين رفاقه الذين اطرحوا هموم الدنيا جانباً
وتركوها تسير كما يهوون ؟

فرنون : لقد لبسوا جميعاً علتهم وامتشقوا حسامهم
وغطوا رؤوسهم بخوذات محلاة بالريش وبدوا فى مشيتهم
كأنهم قطيع من النعام يسابق الريح
وقد دفعتهم الريح أمامها وكأنهم سرب من النسور
طر ريشه وقد خرج من البحر
ينفض عن أجنحته الماء ويتأهب للطيران ، وهم يتألقون
فى حلل ذهبية كأنهم تماثيل القديسين فى الأعياد
وكلهم نشاط وحيوية كأنهم الربيع
وكلهم عظمة وجلال كأنهم الشمس فى وسط الصيف ،
وكلهم شهوة إلى الحرب كأنهم المعز الفائرة ، وكلهم
جموح وثورة كأنهم الثيران الفتية ،
ولقد رأيت هارى الشاب وخوذته على رأسه

ودروعه على فخذه
ينهض من الأرض فكأنما هو عطارد المجنح القدمين
يقفز إلى ظهر حصانه فى سهولة ويسر
كأنما هو ملاك هبط من وسط السحاب فوق بيجاسوس ،
الحصان المجنح الجامح ليقوده ويوجهه ويدور به حيثما يريد ،
وليسحر العالم كله بفنون فروسيته النبيلة .

هوتسبر : كفى . . كفى ، إن هذا الحديث أسوأ أثراً فى مزاج الإنسان من شمس مارس ،
وهذا المديح يزيد قشعريرة الحمى ، دعهم يجيئون ،
وسيجيئون مزدانين كعرائس الضحية والفداء ،
وسنقدمهم قرباناً لآلهة الحرب الخانقة ذات العيون النارية
ليلتهمهم أتون الحرب المستعرة الدامية ،
وسيجلس مارس إله الحرب وقد تمنطق بدروعه فوق مذبحه
غارقاً فى الدم حتى آذانه ،
إنى لأنحرق شوقاً لسماعى أن هذه الجائزة الثمينة قد دنت قطوفها ،

على أننا مع ذلك لسنا أصحابها ، هيا نجرب حصانى
ونختبره ،
هذا الحصان الذى سيحملنى كصاعقة
تخترق صدر أمير الغال ،
إن هارى لهارى بالمرصاد ، ولابد لهما أن يلتقيا وأن يلتحم
حصاناهما فى حمأة المعركة ،
ولن يترك أحدهما الآخر إلا جثة هامدة . .
أواه ليت جلندور يأتى !

فرنون : لا تزال عندى بقية من أنباء ،
فقد علمت فى ورستر وأنا أرتادها فى طريقى إليكم
أن جلندور لن يستطيع جمع قواته خلال هذه الأربعة
عشر يوماً .

دجلاس : هذا أسوأ نبأ سمعته للآن .

ورستر : أجل وأيم الحق ، إن له وقعاً سيئا مثبطا .

هوتسبر : وكم يبلغ جيش الملك على أقصى تقدير ؟

فرنون : ثلاثين ألفا .

هوتسبر : ليكونوا أربعين ألفا !
وعلى الرغم من غيبة أبى وتخلف جلندور
فإن قواتنا كافية لهذا اليوم العظيم ،

هيا نأخذ أهبتنا سريعاً ونعد رجالنا ونرقب صفوفهم ،
فإن القيامة قد قربت ، فإذا ما متنا جميعا متنا راضين
مغتبطين

دجلاس : لا تتحدث عن الموت فإني قد تحررت من خوف الموت
ومن قبضته مدة هذه الأشهر الستة .

(يسرعون بالخروج من الخيمة)

المنظر الثانى

طريق عام بالقرب من كوفنترى . يدخل فولستاف مرتديا درعاً بلا أكمام مبطنا بالجلد ، وقد ربط بحزامه جراب بندقية وهو يتحدث مع باردولف)

فولستاف : اذهب يا باردولف إلى كوفنترى أولا واملأ لى زجاجة بالنبيذ وستسير جنودنا قدماً وسنبلغ ساتون كولد فيلد الليلة .

باردولف : هل ستعطينى نقوداً يا سيدى الضابط ؟

فولستاف : اصرف بحرية ، خذ ثمنها من المصروفات .

باردولف : إن ثمن هذه الزجاجة قد يبلغ عشرة شلنات .

فولستاف : وماذا لو بلغ؟ خذه فى مقابل أتعابك ، وإذا بلغ ثمنها عشرين فخذها جميعاً وسأضمن قيمة النقود ، ومر مساعدى بيتو أن يلقانى فى طرف المدينة .

باردولف : سأفعل يا سيدى القائد ، وأستودعك الله (يخرج)

فولستاف : لئن لم أستشعر الخجل والعار من جنودى فما أنا إلا سمكة مملحة هزيلة ، لقد أسأت استعمال أموال الملك المخصصة لتجنيد الجنود إساءة بالغة ، لقد أخذت نيفاً وثلثمائة جنيه فى مقابل مائة وخمسين جندياً ،

ولم أطلب للتجنيد إلا ذوى اليسار وأبناء الأعيان من صغار الملاك . ولم أدع للجندية إلا العزاب المتعاقدين على الزواج من هؤلاء الذين أعلنت خِطبتهم مرتين من الرعايا الذين يؤثرون أن يستمعوا للشيطان على أن يستمعوا لدق طبول الحرب ، والذين يخشون فرقعة البندقية أكثر مما تخشاها الدجاجة ، وقد أصيبت ، أو البط البرى وقد جرح . إنى لم أجند أحداً إلا هؤلاء المترفين الناعمين الخائرين الذين تنطوى صدورهم على قلوب أصغر حجماً من رؤوس الدبابيس ، وهؤلاء يدفعون البدل مقابل إعفائهم من الخدمة ، وبذلك أصبح جيشى الآن يتألف من المسنين وصف الضباط والملازمين والمجندين ذوى الأجور العالية قليلا ، والعبيد المهلهلين كأنهم لعازر الفقير الذى تحلى بصورته الستائر وهو جالس إلى الأرض والكلاب النهمة تلعق قروحه ومن لم يكونوا فى يوم ما جنوداً بل كانوا خدماً خونة مطرودين ، أو أبناء أصغر من الأبناء البكر وآباؤهم هم أيضاً أصغر من إخوانهم البكر ، أصفار اليدين لا مال ولا عقار يقيم أودهم أو خدم حانات فروا من أصحابها ونقضوا عهودهم أو سقاة

عاطلين ، آفة عالم وادع خامل وسلام طويل رتيب . إنهم عشر مرات أشد هلهلة مزرية من لواء قديم لوحته الشمس وهلهلته الأيام وسدت ثقوبه بخرق متعددة الألوان . هؤلاء وأمثالهم هم الذين يكونون جيشى وقد جمعتهم من كل مكان لأحلهم محل المجندين الذين دفعوا البدل النقدى لخدماتهم ،

حتى لتظن أن جيشى يتألف من مائة وخمسين من الفتيان المهلهلين ذوى الثياب البالية الذين أتلفوا أموالهم وجاءوا لتوهم من العمل فى حظائر الخنازير ومن أكل النفايات والقشور ، وقد لقينى فى بعض الطريق ظريف من ذوى الدعابة وقال لى : إنك جردت المشانق من زبائنها وجندت أجداث الموتى . وما وقعت العين قط على أمثال هذه الأشباح الهزيلة وأقولها صريحة إننى لن أجتاز كوفنترى فى صحبتهم . وليت الأمر اقتصر على الهزال والبلى ، بل إن هؤلاء الأشقياء يسيرون وقد انفرجت سيقانهم كأنما قيدوا بسلاسل ولا عجب فى ذلك فقد تصيدت معظمهم من نزلاء السجون . وما من رداء يستر جسد أحدهم إلا أن يكون قميصاً أو نصف قميص ، وحتى نصف القميص هذا

لا يتألف إلا من خرقتين شدت إحداهما إلى الأخرى
وألقيتا على الأكتاف كأنهما سترة شعار بلا أردان ،
أما القميص فالحق أقول إنه مسروق من صاحب الفندق
فى سان البانز أو من حارس الفندق ذى الأنف المتورم
٥٠ فى دافنترى ،
ولكن هذا كله سيان فسيجدون فى كل مكان قمصاناً
كافية يسرقونها من فوق السياج .

(يدخل من الخلف الأمير هنرى ووستمورلند)

٥٤ الأمير : إيه أيها المنتفخ جاك ؟.. إيه أيها الخشبة الضخمة ؟

فولستاف : وى يا هال . . إيه أيها الفتى الغرير ؟ يا للشيطان ،
ما الذى أبقاك فى وركشير حتى الآن . أسألك المغفرة
٥٥ يا سيدى اللورد الطيب وستمورلند ، لقد حسبتك
يا سيدى فى شروزبرى منذ وقت طويل .

وستمورلند : فى الحق ، كان لابد أن أكون هناك قبل ذلك ، لقد
تجاوزت موعدى بكثير ، وكذلك تجاوزته أنت ولكن
جنودى بلغوا شروزبرى فعلا والملك ، أؤكد لك ،
ينتظر مقدمنا جميعاً ، ولذلك يجب أن نسارع بالسفر
إلى هناك ، وأن نسير طول الليل .

فولستاف : لا عليك ، ولا تقلق من ناحيتى فأنا متحفز ومستعد

للسفر طول الليل ، تحفز الهرة التي تتطلع لسرقة القشدة

الأمير : أعتقد أنك متحفز لسرقة القشدة حقا ، فسرقاتك قد جعلتك رخواً كالزبد ، ولكن خبرني يا جاك ، لمن هؤلاء الرجال الذين يتبعوننا .

فولستاف : إنهم رجالى يا هال ، رجالى .

الأمير : ما رأيت فى حياتى أوغاداً فى حالة يرثى لها كهؤلاء .

فولستاف : خل عنك ، لا عليك نهم طعمة سائغة للبارود ، ووقود طيب لنيرانه . يملأون الحفر ، كما يملأها من هم خير منهم ، صه يا رجل إنهم رجال فانون ، رجال فانون .

وستمورلند : هذا صحيح ، ولكنهم فيما أرى يا سير جون غاية فى الفقر والإملاق مهزولين عراة مهلهلين .

فولستاف : أما عن فقرهم ، فى الحق لست أدرى من أين جاءوا به ، أما عن هزالهم فأنا واثق من أنهم لم يأخذوه عنى .

الأمير : بلى ، وأقسم على ذلك ، إلا إذا كنت تسمى هذه الضلوع اللحيمة الشحيمة التى يبلغ سمك ما فوقها من الشحم ثلاث أصابع نحولة وهزالا . ما علينا ، أسرع يا فتى وحث الخطى فإن برسى الآن فى الميدان .

فولستاف : وى . . هل أقام الملك معسكراً ؟

وستمورلند : أجل ، لقد عسكر الملك يا سير جون ، وأخشى أن يطول بنا المقام .

(يمشى مسرعا للإمام)

فولستاف : حسناً ،

لأنسب للمقاتلين الضعاف ذوى الشهية الطيبة للطعام
أن يصلوا بعد انتهاء القتال وقبل بدء الولائم .

(يتبعه)

المنظر الثالث

معسكر الثوار بالقرب من شروزبرى . يدخل هوتسبر وورستر ، ودجلاس وفرنون

هوتسبر : لننازلنه الليلة .

ورستر : قد لا يكون هذا .

دجلاس : إنك بهذا تجعل له ميزة علينا .

فرنون : ولا قلامة ظفر .

هوتسبر : كيف تقول هذا ؟ ألا يتوقع مدداً وتعزيزاً لقواته ؟

فرنون : كلانا فى هذا سواء .

هوتسبر : ولكن مدده مؤكد ، ومددنا موضع الشك .

ورستر : خذ بنصيحتى يا ابن العم الطيب ولا تحرك ساكناً الليلة .

فرنون : لا تتحرك الليلة يا سيدى .

دوجلاس : إنكما لا تصدران عن الرأى وحسن المشورة ،
بل تنطقان عن الخوف وخور القلب .

فرنون : لا تعرض بى يا دوجلاس وتسبنى ، قسما بحياتى ،
وإنى لأضحى بحياتى لكى أبر بهذا القسم

إنى إذا دعانى داعى الشرف كما يفهمه الرجال المحاربون بحق ،
إن الخوف لا يعرف سبيله إلى قلبى
كما لا يعرف سبيله إلى قلبك أنت يا سيدى أو إلى قلب أى إسكتلندى يعيش اليوم على ظهر هذه البسيطة ،
ولتعلمن نبأ ذلك غداً حين نخوض المعركة ،
وسترى أينا الخائف .

دجلاس : أجل غداً أو الليلة .

فرنون : قر عينا .

شونسبر : بل الليلة أقولها .

فرنون : رويداً ، رويداً . فقد لا يكون ذلك ، وإنى لكثير العجب
كيف وأنتم القواد العظام الذين حنكتهم التجارب
يند عنكم تقدير العقبات
التى تحول دون مسارعتنا إلى خوض غمار المعركة .
ففريق كبير من فرسان ابن العم فرنون لم تصل بعد ،
وفرسان عمك ورستر لم تصل إلا اليوم
ومن ثم فروحهم المعنوية العالية وحماستهم الشديدة قد سكنتا ،

وشجاعتهم صدئت من الرحلة المضنية ، ولابد لجلائها
من الراحة
فما من حصان إلا ضعفت قواه ولم تعد له أكثر من
نصف صلاحية للقتال .

هوتسبر : وفرسان العدو لا يختلفون عنا فى ذلك ،
فكلها قد أنهكتها الرحلة وأضعفت روحها المعنوية
وأوهنتها .
على حين أن القسم الأكبر من خيالتنا قد تمتعت
بالراحة الكاملة .

ورستر : إن قوات الملك تفوق قواتنا عدداً ؛
فبالله عليك يا ابن العم ألا ما صبرت حتى تتجمع قواتنا
كلها .

(نافخ البوق يدعو إلى مفاوضة بين المتحاربين . يتقدم سير ولتر بلنت)

بلنت : جئت أحمل عروضاً كريمة من الملك ،
سأقدمها لكم إن ضمنتم لى حسن الاستماع والاحترام .

هوتسبر : مرحباً بك يا سير ولتر بلنت ، ولقد كنت أود أن
يجعلك الله
عضداً لنا فى عزمنا هذا ، مشاركاً لنا رأينا فيه !
فبعضنا هنا يؤثرك بالحب ، وهذا البعض بالذات

يغبط علو مكانك ونبيل صفاتك وطهارة اسمك ،
ويأسو لأنك لست واحداً منا . ولا عاملا فى جماعتنا ،
بل تقف مخاصماً لنا فى موقف العدو .

بلنت : حاشا لله ، أن أكون غير ذلك ؛
ولا مندوحة لى من أن أظل أبداً على موقفى ما دمتم مصرين
على موقفكم هذا من الخروج على الملكية المقدسة ،
ما علينا من هذا ، ولأتحدث فى مهمتى . لقد أرسلنى
إليكم الملك
لأتعرف كنه شكواكم ، وأتلمس أسباب متاعبكم
التى من أجلها أثرتم هذه الخصومة الجريئة
التى عكرتم بها صفو السلام والأمن فى البلاد وأشعتم
فى صفوفها الطيعة
هذا الجحود المنكر . فإن يكن مرد ذلك إلى أن الملك
قد أغضى بطريقة ما عن ما لكم من فضائل طيبة
يقر بها ويعترف أنها متعددة كثيرة ،
فإنه يطالبكم أن تفصحوا عن هذه المظالم وتلك
الشكايات ، وهو مستعد من فوره
أن يحقق لكم ما ترغبون وأكثر مما ترغبون ،
وسيعفو عفواً تامًّا عنكم

وعن جميع الذين تورطوا معكم بدافع من إغرائكم
وتحريضكم .

هوتسبر : إن الملك كريم ونحن أعرف به ،
فهو يعرف متى يعد ومتى يفى بالوعد .
لقد قدمت له أنا وأبى وعمى
هذه الملكية التى ينعم بها ،
قدمناها له حين لم يكن وراءه إلا حفنة من الرجال
لا يتجاوزون ستة وعشرين ،
وفى الوقت الذى لم يكن الرأى العام ليحفل به أو يقيم له
وزناً ،
قدمناها له حين كان مشرداً مسكيناً وضيعاً لا يؤبه له ،
خارجاً على القانون منفيًّا يتلصص العودة خفية إلى
الوطن .

لقد استقبله أبى ورحب به عند الشاطئ ،
وحين سمعه يقسم ويقطع على نفسه العهود والمواثيق
أمام الله
إنه ما جاء إلا ليستعيد مكانه بوصفه دوق لانكستر
ويطالب بحقه فى ممتلكاته ويلتمس السلام والأمن ،

حين سمعه يقول ذلك مذرفاً دموع البراءة ومبدياً آيات الولاء والإخلاص ،
أقسم أبي ذو القلب الحنون وبدافع من الشفقة التى حركتها دموعه ،
أن نبذل له العون ؛ وقد كان ؛ فبررنا بقسمنا وحققنا له أمنيته أيضاً .
وعندئذ حين أدرك اللوردات والبارونات من سادة هذه البلاد
أن نورثمبرلاند مال إليه وعضده ،
أقبل عليه الناس من جميع الطبقات غنيهم وفقيرهم رافعين قبعاتهم وانحنوا له إجلالا واحتراماً ،
وتدفق الناس للقائه فى المدائن والقرى ؛
واحتشدوا انتظاراً لمقدمه فوق القناطر ، ووقفوا صفوفاً متراصة وأفسحوا له طريقاً بينهم ليمر منه ،
وأخذوا يضعون أمامه الهدايا ، ويقدمون بين يديه ولاءهم ،
ويهبونه صغارهم ليخدموا فى حاشيته رهائن لولائهم ،
وأخذوا يتبعونه فى كل مكان كظل له فى جموع حاشدة فرحة مبتهجة به .

فلما بدأ يستشعر عظمته ويحس جلاله اندفع من فوره
يتسنم مكاناً أرفع مما ارتبط به مع أبى بقسمه ،
حين كان لا يعرف لنفسه عظمة ولا يحس مكانة ،
عندما نزل على الشاطئ الأجرد المنعزل عند رافنسبرج ،
وأخذ على نفسه ، والحق أقول عندئذ
أن يصلح بعض القوانين والأوامر القاسية
التى يئن من عبئها الشعب ،
واستنكر الفساد ومساوئ الحكم وبدا وكأنه يبكى
مما قاسته بلاده من مظالم ،
وبهذا المظهر العطوف على أمانى الشعب وآماله وبهذا التظاهر بالعدل والنصفة ،
استطاع أن يكسب القلوب وأن يتخذها مطية لتحقيق أغراضه ،
وبدأ يتقدم خطوة إلى الأمام ،
فاجتث رؤوس كل أصفياء الملك الغائب
الذين تركهم وراءه هنا لينوبوا عنه ويقوموا مقامه مدة غيابه
فى الحرب الإيرلندية التى اشترك فيها بنفسه .

بلنت : فما جئت لأسمع هذا .

هوتسبر : إذن فإلى الموضوع ،
وبعد فترة قصيرة عزل الملك ،
وسرعان ما قضى على حياته ،
وفى أعقاب ذلك مباشرة أرهق البلاد كلها بالضرائب
وليزيد الأمر سوءاً عرض قريبه مارش للإذعان للأسر
والبقاء رهينة هناك دون أن يؤدى فديته ، فى بلاد الغال
ولو أن الأمور وضعت فى نصابها وأعطى كل ذى حق
حقه ،
لكان مارش هذا هو الملك بحق ،
وحاول بعد ذلك أن يجللنى بالعار وأنا فى زهو انتصاراتى
العظيمة ،
وأن يوقعنى فى حبائله عن طريق جواسيسه الذين بثهم
على ،.
ثم أخرج عمى من المجلس الخاص بالتهديد والوعيد ،
وأخرج أبى من القصر فى ثورة غضب ،
وهكذا أخذ يحنث فى اليمين تلو اليمين ، وينقض عهداً
فى إثر عهد ، ويرتكب الخطأ بعد الخطأ ،
حتى اضطررنا فى آخر الأمر أن نسلك هذا المسلك ،
وأن نجند هذا الجيش المسلح لنحمى أنفسنا منه ،

ثم نبحث فى الوقت نفسه وندقق ونعيد النظر فى استحقاقه
للتاج .
فقد بدا لنا أن الطرق الملتوية التى أوصلته للعرش دون
أن يكون وارثاً شرعيًّا له ، لا ينبغى أن تدوم طويلا .

بلنت : هل أعود لأبلغ الملك هذا الرد ؟

هوتسبر : ليس على هذا الوجه يا سير بلنت ، فسننسحب برهة
نتدبر فيها العرض . .
عد إلى الملك واجعل لنا رهينة
نطمئن معها إلى أن هناك ضماناً فى العودة سالمين ،
وغداً فى الصباح الباكر سيغدو عمى
إلى الملك ويبلغه قرارنا ، فوداعاً .

بلنت : بودى لو قبلتم عفو الملك ومحبته .

هوتسبر : قد يكون هذا ما سنفعله .

بلنت : أدعو الله أن يوفقكم لفعله .

(يخرجون)

المنظر الرابع

(يورك – حجرة فى قصر رئيس الأساقفة – يدخل رئيس أساقفة يورك وسير ما يكل)

رئيس الأساقفة : أسرع يا سير مايكل الكريم واحمل هذا الخطاب المختوم
على جناح السرعة إلى القائد العام ،
وهذا إلى ابن العم سكروب ، والبقية إلى أصحابها الموجهة إليهم ،
ولو أنك علمت قيمة هذه الخطابات وما تعنيه ،
لحثثت الخطى وأسرعت فى السير .

سير مايكل : سيدى اللورد الكريم ،
إنى لأدرك بالحدس ما تعنيه .

رئيس الأساقفة : أكبر الظن أنك تعرف ، غداً يا سير مايكل يوم عظيم ،
يوم توضع فيه مصائر عشرة آلاف رجل
فى كف القدر ويمتحن معدنهم فى بوتقة الحوادث .
ففى شروزبرى يا سير مايكل ، كما فهمت مما وصل إلى علمى من أنباء ،
سيلتقى الملك ومن ورائه جيش قوى قادر جمعه فى سرعة ،

مع اللورد هارى ، وأخشى يا سير مايكل
أن مرض لورد نورثمبرلند ،
الذى كانت قواته تفوق قوات شركائه عدداً ،
وغياب أوين جلندور الذى كان هو الآخر عضداً
قوياً يعتمد عليه ،
والذى تخلف عن الانضمام إليهم متأثراً بالنبوءات ،
أخشى يا سيدى أن هذا وذلك سيجعلان قوات برسى
أضعف من أن تصمد للتجربة مع قوات الملك .

سير مايكل : ليس ثمة ما يدعوك للخشية يا سيدى اللورد الكريم ،
فهناك دوجلاس ولورد مورتيمر .

كبير الأساقفة : لا ، إن مورتيمر ليس هناك .

سير مايكل : ولكن هناك مورديك وفرنون ولورد هارى برسى ،
وهناك أيضاً لورد ورستر
وجيشاً مسلحاً من المحاربين الشجعان والسادة الأمجاد .

كبير الأساقفة : نعم هناك هذا الجيش ولكن الملك مع ذلك
قد جند صفوة الجيش فى جميع بلاد هذه المملكة
وجمعهم فى صعيد واحد ،
وقد جمع أمير الغال واللورد جون لانكستر
والنبيل وستمورلند ، والمحارب المقدام بلنت

وكثرة غيرهم من الرفاق والمؤيدين من ذوى الشرف الرفيع
والسمعة الطيبة والسلطان القاهر ،
جمعهم جميعاً شاكى السلاح فى جيشه .

سير مايكل : لا تشكن يا سيدى إنهم رغم ذلك سيلاقون مقاومة عنيفة ،
وسيلقون أنداداً لهم .

كبير الأساقفة لست أقل منك أملا فيهم ، ولكن لابد من الخوف ،
ولنتحاش أسوأ ما فى الأمر ، عجل يا سير مايكل
عجل ،
فإنه إذا لم يوفق اللورد برسى ،
فإن الملك لا محالة زائرنا قبل أن يسرح قواته
فقد تناهى إليه نبأ اشتراكنا فى هذه المؤامرة ،
ومن الحكمة أن نتخذ الأهبة ونقوى صفوفنا لمواجهته ،
فعجل إذن ، ولابد لى أن أواصل الكتابة لأصدقاء
آخرين ؛
فمع السلامة يا سير مايكل .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

(معسكر الملك بالقرب من شروزبرى . يدخل الملك والأمير هنرى وعلى رأسه خوذة يتمايل عليها ريش النعام ، ولورد جون لانكستر وسير ولتر بلنت وفولستاف)

الملك : ما أشد احمرار الشمس الشبيه بلون الدم وهى تحاول
أن تطل من فوق هذا التل البعيد الملتف الأشجار !
إن اليوم ليبدو مصفراً باهتاً
متأثراً بهذا المظهر المحموم الذى تتبدى فيه الشمس .

الأمير : إن ريح الجنوب
تسبق إلى إعلان أحداث هذا اليوم التى ينبئ عنها هذا
المظهر المحموم للشمس ،
بعوائها الأجوف وصفيرها بين الأوراق
تنبئ عن مقدم العاصفة وعن يوم صاخب عنيف .

الملك : فليكن إذن عطوفاً على الخاسرين ،
أما الفائزون فما من شىء يبدو عاصفاً أو عبوساً فى
وجوههم
(صوت النفير — يدخل ورستر وفرنون) ، مرحى أيها

اللورد ورستر ، ليس من الخير فى شيء
أن ألتقى وإياك فى هذه الظروف التى نلتقى فيها الآن .
لقد تنكرت لثقتنا
وحملتنا على أن نخلع لباس السلام الهين
وأن نحشر أطرافنا الواهنة حشراً فى لباس قاس من الحديد ،
ليس هذا بمستحب ، ليس هذا بمستحب يا سيدى اللورد ،
فما رأيك فى هذا ؟ هل تعاود العمل
لفصم هذه العروة الغليظة ، عروة الحرب الكريهة ،
وأن تعود سيرتك الأولى من الولاء والطاعة
وتجرى فى فلكك المستقيم ليشع نورك جميلا طبيعياً ،
فلا تكون بعد اليوم من هذه الشهب النفاثة ،
نذر الخوف وطوالع الشر المستطير
فيما يجد من أيام .

ورستر : هلا استمعت لى يا مولاى !
أما عن نفسى فأنا جد قانع
أن أقضى الأيام الأخيرة من عمرى فى هدوء ودعة ،
وحسبى أن أؤكد لك

أنى ما سعيت إلى هذا الشقاق ولا تعجلت يوم الخلاف هذا.

الملك : إذا كنت لم تسع إليه فكيف جاء إذن ؟

فولستاف : لقد وقع العصيان فى طريقه فعثر عليه .

الأمير : صه أيها الطائر الثرثار والزم الهدوء .

ورستر : لقد راق لجلالتك أن تغض عين الرضا
عنى وعن آل بيتنا جميعاً ،
ولكنى أرى من واجبى مع ذلك أذكرك يا مولاى
أننا كنا أول أنصارك وأعز أصدقائك .
وفى سبيلك يا مولاى شققت عصاتى وهجرت منصبى
أيام ريتشارد،
وأسرعت ليل نهار
لألقاك فى الطريق وأقبل يدك .
فعلت كل ذلك فى وقت كنت أفضلك فيه قوة ومركزاً
ولم تكن أنت فيه شيئاً مذكوراً إلى جانبى .
لقد صاحبتك أنا وأخى وابن أخى
وجئنا بك إلى أرض الوطن ، وتحدينا أخطار الزمان
بشجاعة فائقة ،
لقد أقسمت لنا ، وأقسمت تلك اليمين فى دونكاستر (١) ،

---

(١) Doncaster.

إنك لن تقوم عامداً بأى عمل يضر الدولة ،
وأنك لن تطالب بأكثر من حقك الذى ورثته أخيراً ،
أى إقطاع جونت ، دوقية لانكستر .
وعلى هذا الأساس أقسمنا نحن على أن نساعدك ،
ولكن لم تكد تمضى فترة قصيرة حتى تفتحت لك السماء ،
وأمطرتك حظوظاً ،
وساقطت على رأسك كنوزاً وثروات ووابلا من المجد والعظمة ،
بعضه بفضل مساعدتنا وبعضه بسبب غيبة الملك ،
وبعضه بسبب الأخطاء التى تردى فيها ريتشارد ، إبان حكمه المضطرب المزعزع ،
وكانت الآلام والمحن التى احتملتها فى الظاهر
والرياح المعاكسة المضادة التى احتجزت الملك طويلا
فى حروبه النكدة مع الإيرلنديين
حتى حسبه كل من فى إنجلترا قد قضى نحبه ،
وقفت هذه كلها إلى جانبك وقد اغتنمت فرصة هذه الحظوظ المواتية
وتأهلت سريعاً
لتفوز بالملك ولتقبض على زمام الحكم فى البلاد ! .

وتناسيت بذلك قسمك لنا فى دونكاستر .
ولما كنا نحن الذين غذيناك وأقمنا صلبك فقد انثنيت
علينا تتنكر لنا
كما تنكر الوليد الخئون فرخ الوقوق للعصفور الذى
احتضنه فى عشه حتى خرج إلى الدنيا ،
وطفقت تنتقص عشنا من أطرافه وتوقع الأضرار به .
ولما قوى عودك واشتدت شكيمتك بفضل ما حبوناك به
من عون
استنسرت حتى لم نعد نجرؤ أن نعرض ولاءنا أمام
ناظريك
خشية أن تفترسنا وتلتهمنا لقمة سائغة
مما اضطرنا أن نطير مسرعين من وجهك طلباً للسلامة ،
وأن نجند هذه القوات الراهنة التى نجابهك بها العداء
لهذه الأسباب التى اصطنعتها ضد نفسك ،
وبذلك بت أنت نفسك المسئول عن وقوفنا وجهاً لوجه
أمامك ،
بهذا الجحود الذى رميتنا به والنظرات المتعالية المخيفة
التى تهددتنا بها ،
ونقض العهود والمواثيق التى قطعتها على نفسك ،

وأقسمت على الوفاء بها أمامنا فى أول أمرك .

الملك : حقًّا ، لقد أطلقتم هذه الاتهامات فى كتاباتكم ،
وأعلنتموها على رؤوس الأشهاد فى الأسواق ، وتلوتموها
فى الكنائس ،
لتلبسوا الحق بالباطل
وتزينوا للناس ثورتكم وعصيانكم بألوان زاهية
تخلب أنظار الحول القلب من العامة والمتذمرين
الساقطين من الفقراء
الذين يتعطشون للتغيير ويفركون أيديهم فرحاً
لكل نبأ عن انقلاب صاخب أو فوضى واضطراب .
ومع ذلك فما من عصيان
احتاج إلى مثل هذه المعاذير الواهية ،
ولا إلى عصبة الفقراء المتذمرين المتعطشين إلى أوقات
الفوضى والاضطراب المدلهمة
ليبرر قيامه ويزين أسبابه .

الأمير : إن فى جيشينا كليهما كثرة من النفوس البريئة
ستدفع الثمن غالياً بسبب هذا التطاحن ،
إذا التحم الجيشان فى تجربة قاسية ، فقل لابن أخيك
عنى

إن أمير الغال يشارك الدنيا كلها
الثناء والتقدير لهنرى برسى ، وبحق أملى فى الخلاص يوم الدينونة ،
ما أحسب ، إذا نحينا جانباً تبعته عن هذا العصيان ،
أن على ظهر هذه الأرض سيداً من الأحياء أشجع منه ،
ولا أعظم مضاء ، ولا أشد فتوة ،
ولا أكثر إقداماً ، ولا أبلغ جسارة منه
على تجميل صفحة هذه الحقبة الأخيرة بجلائل الأعمال ونبيل الخصال .
وأنا عن نفسى أقر وأنا أتندى خجلا
أنى كنت مجافياً لصفات الفروسية هارباً منها ،
ولقد سمعت أنه يزننى بهذا الميزان ،
ولكنى مع ذلك راض وأنا أقف بين يدى جلال أبى وعظمته
أن تكون له علىّ
ميزة اسمه العظيم وسمعته الجليلة
وأن أجرب حظى معه فى مبارزة شخصية بينى وبينه
حقناً لدماء الأبرياء من الجانبين .

الملك : ونحن من جانبنا يا أمير الغال كان بودنا أن نأذن لك
في أن تتعرض للمخاطر المترتبة على تحديك هذا ،
لولا أن هناك اعتبارات لا حد لها
تحول دون تحقيق هذه الرغبة ، لا . . لا أي ورستر
الكريم ،
إننا نؤثر شعبنا بالحب ، وحتى أولئك الذين ضللوا
وانحازوا إلى جانب ابن عمك ما زلنا نحبهم ،
وإذا ما قبلوا صفحنا الكريم الذى نعرضه عليهم
فإنه ، وإياهم ، وإياك ، بل وكل فرد منكم ،
ستغدون أصدقاءنا من جديد ، وأصبح أنا أيضاً صديقاً له .
فأبلغ ذلك لابن عمك ثم وافنى بجوابه وأبلغنى ما سيفعل .
أما إذا لم يذعن لعفونا
فإن لدينا العذل والعقاب الصارم كلاهما حاضران
وسيؤديان مهمتهما ولا ريب ، فاذهب عنا الآن ،
ولن نتعب أنفسنا بانتظار رد منك على الفور ،
فقد جنحنا إلى السلم وكنا عدولا فى عرضنا . فادرسوا
ما عرضناه عليكم ومحصوه بعناية . وتحسنون صنعاً لو أنكم
قبلتموه .

(يخرج ورستر وفرنون)

الأمير : أراهن بحياتى أن العرض لن يقبل ،
فدوجلاس وهوتسبر ورجالهما
واثقون من النصر ولو جابهتهم قوات العالم أجمع .

الملك : إذا كان الأمر كذلك ، فليسارع كل قائد إلى قيادته
لنكون على أهبة الاستعداد .
حتى إذا جاء ردهم حملنا عليهم
والله فى عوننا ما دمنا على الحق .

(يخرج الجميع إلى فرقهم ، ويجذب فولستاف كم الأمير وهو يهم بالخروج)

فولستاف : أى هال ، إذا لقيتنى مغلوباً فى المعركة وخطوت نحوى
لتدفع عنى ، وفرجت ساقيك فوق على هذا النحو ،
دل ذلك على أنك تضمر لى الصداقة والود .

الأمير : مثل هذه الصداقة لا يقدر عليها بالنسبة لك إلا مارد
ضخم ، فاتل صلواتك إذن ووداعاً .

فولستاف : وددت لو كانت الصلاة قبل أن يأوى الإنسان إلى
فراشه ، وأن الدنيا بخير .

الأمير : ويحك ، ألست تدين الله بميتة ؟

فولستاف : ولكنه دين لم يحل موعده بعد ، وإنى لأستنكف أن أرده
قبل يومه الموعود . وما حاجتى فى أن أتعجل السداد

مع من لا يطالبنى بالوفاء . ومهما يكن من شيء فإن هذا لا يهم ، فالشرف يدفعنى ويحفزنى قدماً ، ولكن ما العمل إذا دفعنى الشرف للنكوص حين أتقدم ؟ وماذا يكون الموقف عندئذ ؟ أيستطيع الشرف أن يقيم ساقاً ؟ كلا . . أيستطيع أن يقيم ذراعاً ؟ كلا . . وهل فى طوقه أن يذهب ألم الجرح ؟ . . كلا . . إذن أفليس للشرف أية مهارة فى الجراحة ؟ . . كلا . . إذن فما الشرف ؟ إنه كلمة ، وماذا وراء كلمة الشرف هذه ؟ وما هو هذا الشرف نفسه ؟ إنه هواء ، إنه حساب منمق ، ومنذا الذى يناله ؟ أهو هذا الذى مات يوم الأربعاء ؟ . . أيحس به ؟ . . كلا ؛ أو يسمع به ؟ . . كلا . . إذن فهو شيء لا يدرك ، أجل لا يدركه الأموات ، ولكن ألا يعيش مع الأحياء ؟ . . كلا . وى . . إن انتقاص القدر وحطة الشأن لا تتفقان معه ، إذن فلن يكون لى منه نصيب ، ما الشرف إلا درع جنائزى تعدد فيه مفاخر الموتى ، وبهذا تنتهى اعترافاتى عن عقيدتى أوضحتها فى صورة سؤال وجواب .

(يخرج)

المنظر الثانى

(بطحاء بالقرب من معسكر الثوار . ورستر وفرنون يقتربان عائدين من عند الملك)

ورستر : لا . . لا . . لا ينبغى أن يعرف ابن أخى يا سير ريتشارد
عرض الملك السخى الكريم .
فرنون : من الأفضل أن يعرفه .
ورستر : إذن فقد ضِعنا جميعاً ،
لأنه من المستحيل ، بل من غير المعقول
أن يفى الملك بوعده فى محبتنا .
أنه سيظل على شكه فينا ،
وسينتهز الفرصة لعقابنا على هذا الذنب حين نقع فى أخطاء أخرى ،
فستظل حياتنا كلها محفوفة بالشك . تحيط بنا عيون الريبة .
فمرتكب الخيانة لا يوثق به إلا كما يوثق بالثعلب
الذى لا يستأنس أبداً مهما أحطته بالحنان وسهرت

على تربيته ومهما عزلته ،
فإن الطبع يغلب عليه ويحن إلى خصلة من خصال
أسلافه الوحشية .

ومهما يكن مظهرنا مقطبين أو مرحين ،
فإن نظراتنا سيساء نقلها وتفسيرها ،
وستظل نطعم كما تطعم الثيران فى المذاود ،
كلما زيدت الرعاية لها والعناية بها دنا أجلها .
إن عدوان ابنْ أخى قد ينسى بعد حين ،
لأن له ما يبرره من أعذار الشباب وفورته ؛
واسم مستعار تخذه لنفسه يحميه من العذل واللوم .
فهو هوتسبر الثائر المندفع الذى تتحكم فيه حدة طباعه ،
أما ذنوبه وآثامه فتقع كلها
على رأسى أنا وعلى رأس أبيه . فنحن الذين علمناه ،
وكل ما يحدث من فساد إنما استقاه منا وأخذه عنا ،
وما دمنا أصل كل بلاء ومنبع كل فساد ، فلابد لنا
أن نحتمل تبعات هذه الأخطاء جميعاً وأن نلقى جزاءنا
عليها .
لذلك أرجوك يا ابن العم الطيب ألا تدع هارى يعلم
بأى حال

٢م

ماذا كان العرض الذى قدمه لنا الملك .

فرنون : قل ما شئت فسأؤمن على كلامك .
وها هو ذا ابن عماك قادم .

(يدخل هوتسبر ودجلاس وجنود يستقبلونهما)

هوتسبر : لقد عاد عمى .
فأخلوا سبيل اللورد وستمورلند .
عماه ما وراءك من أنباء .

ورستر : سيعلنكم الملك بالقتال فوراً .

دجلاس : فلنتحداه ، وأبلغه ذلك على لسان لورد وستمورلند .

هوتسبر : اذهب بنفسك يا لورد دوجلاس وأبلغه ذلك .

دجلاس : حقاً سأذهب بنفسى وأبلغه ذلك بكل ارتياح .

(يخرج)

ورستر : لم نر فى الملك أى سمة من سمات الرحمة والعفو .

هوتسبر : وهل التمستم الرحمة منه ، حاشا لله أن تفعلوا .

ورستر : لقد تحدثت إليه بلطف
وشرحت له شكايتنا من حنثه بيمينه .
فكان جوابه أن أقسم بأغلظ الأيمان حانثاً . أنه ما حنث بيمينه قط .

وأن نعتنا بالثوار والخونة ، وأنه سيصب سوط بأسه الشديد
ليبتزع عنا هذا الوصف البغيض .

(يعود دوجلاس)

دجلاس : تسلحوا أيها السادة ، هبوا إلى أسلحتكم ،
فقد تحديت الملك هنرى تحدياً شديداً ،
وسيحمله إليه وستمورلند الذى كنا نحتجزه رهينة عندنا ،
ولن يجد الملك أمام هذا التحدى بدًّا من أن يسارع لقتالنا .

ورستر : لقد تقدم أمير الغال أمام الملك
وتحداك يا ابن أخى أن تبارزه على انفراد .

هوتسبر : أواه . . ليت القتال يقع على رأسينا وحدنا ،
فلا يحرك أحد ساكناً اليوم
إلا أنا وهنرى مونموث . خبرنى . . خبرنى
كيف أبدى تحديه هذا ، هل أبداه بروح الاحتقار والزراية ؟

فرنون : لا وحياتى ! وفى الحق ما سمعت طول حياتى
تحدياً يلقى بمثل هذا التواضع ،

اللهم إلا أن يكون أخ يتحدى أخاه
ليدخلا معاً فى رياضة هينة أو فى تدريب على الأسلحة .
لقد اعترف لك بكل ما فى الرجولة من كمال ،
ووفاك حقك من الاحترام وزين القول فى مدائحك
بلسان الأمارة والنبل ،
وتحدث عن مزاياك وأمجادك حديث المؤرخ ،
رافعاً إياك منازل فوق قدرة مدحه ،
مؤكداً دائماً أنه أعجز عن أن يجد الكلمات التى تليق
بك وتوفيك حقك .
وحين تحدث عن نفسه تحدث عنها فى حياء وتواضع
خليق بأن يصدر عن أمير حق ،
ولام شبابه المضيع
فى سماحة ووقار ،
فكان وهو فى ملامة لنفسه كأنما يتقمص روحين ،
روح المعلم وروح المتعلم فى وقت واحد .
وحين بلغ هذا القدر توقف عن الحديث ، ولكن دعنى
أعلنها على رؤوس الأشهاد فى هذا العالم
إن هذا الأمير لو قدر له أن ينجو من كيد هذا اليوم
وأن يعيش بعده

فإن إنجلترا ستجد فيه أملا حلواً لم تحلم به أبداً ،
وقد تآمر على إخفائه وسوء الحكم عليه حياة اللهو والعبث
التى كان يحياها .

هوتسبر : أخشى يا ابن العم أن تكون مفتوناً بمباذله ونزواته ،
وما سمعت قط بأمير انغمس فى شهواته
وأطلق لها العنان لا يكبح جماحها كهذا الأمير .
ولكن مهما يكن هذا الأمير فلابد لى قبل أن ينقضى
نهار اليوم
من أن أحتضنه بمسكة قوية أحزمه فيها حزمة مميتة
بذراع جندى مفتول
حتى يتداعى ويسقط تحت وطأة تحيتى له ،
هيا أسرعوا إلى أسلحتكم ، وتسلحوا ، وهيا حصنوا أنفسكم
وهيئوا شجاعتكم لاحتمال القتال
أيها الرفاق والجنود والأصدقاء ، وفكروا فيما أنتم مقدمون
عليه ،
فهذا خير لكم من الاستماع إلى استثارتى لهمتكم
بلسانى الخشن الذى لم يهبه الله نعمة البلاغة . (يدخل رسول)

الرسول : مولاى ، إن معى رسائل لك .

هوتسبر : لا أستطيع قراءتها الآن ،

أيها السادة إن فسحة العمر قصيرة ،
وضياع هذه الفسحة القصيرة فى أعمال دنيئة سرف أى
سرف ،
ولو أن هذه الحياة يحملها عقرب من عقارب الساعة
فإنها تنتهى دائماً عندما يتم دورته مؤذناً بحلول الساعة .
فإذا عشنا ، عشنا كراماً لنطأ الملوك بأقدامنا .
وإذا متنا ، متنا ميتة شريفة يموت فيها الأمراء معنا .
وبعد ، إننا إذا احتكمنا إلى ضمائرنا فيما نحن مقدمون
عليه وجدنا ثورتنا على حق .
وامتشاقنا الحسام له ما يبرره ما دامت النية وراء امتشاقه
خالصة عادلة .

(يدخل رسول آخر مسرعا)

الرسول : استعد يا مولاى فالملك قادم نحونا على عجل .

هوتسبر : شكراً له فقد قطع على حديثى ،
وليس الكلام مهنتى ،
ولكن أكتفى بأن أقول فليؤد كل فرد واجبه .
وهأنذا أجرد سيفى
معتزماً أن ألطخ صفحته بخير الدماء

التى سألقاها جميعاً فى مغامرة هذا اليوم المحفوف
بالمكاره .
والآن إلى الحرب . . اسبرانس . . إلى الحرب يا برسى ،
انطلق
انفخوا كل أبواق الحرب العالية
وهيا نتعانق على صوت هذا النفير المدوى
فقد لا يلتقى بعضنا بعد اليوم وينعم بمثل هذا العناق مرة
أخرى ، ذلك أن فرص اللقاء قد تكون بعيدة المنال بعد
السماء عن الأرض .

(أصوات أبواق ، يتعانقون ثم يخرجون ليتسلحوا)

المنظر الثالث

(بطحاء بين المعسكرين . يدخل الملك مع قواته ويسير قدما . نفير حرب . ثم يدخل دجلاس وسير لوتر بلنت متخفيا فى زى الملك . يتقاتلان ثم يكفان عن القتال)

بلنت : ما اسمك يا من تعترضنى
وتقف وجهاً لوجه أمامى فى هذه المعركة أى مجد تسعى إليه بقتلى ؟

دجلاس : اعلم إذن أن اسمى دجلاس
وأنى ألازمك فى المعركة على هذه الصورة
لأن بعضهم أنبأنى بأنك ملك .

بلنت : لقد صدقوك القول .

دجلاس : لقد جوزى اللورد استافورد اليوم شر الجزاء بمحاولته التشبه بك ،
فقد قضى هذا السيف على حياته بدلا منك أيها الملك هارى
وسيقضى عليك أنت أيضاً
ما لم تذعن لى وتسلم نفسك أسيراً .

بلنت : مثلى لم يولد للتسليم والإذعان أيها الاسكتلندى المتعجرف

وستجد فى ملكاً ينتقم
لموت اللورد استافورد .

(يقتتلان فيقتل دجلاس بلنت ثم يدخل هوتسبر)

هوتسبر : لك الله يا دوجلاس لو أنك حاربت فى هولمدن
كما تحارب اليوم
ما أتيحت لى أن أنتصر على إسكتلندى قط .

دجلاس : لقد تم كل شىء وكسبنا كل شىء ، وها هو ذا الملك
يرقد مجندلا هنا وقد خمدت أنفاسه .

هوتسبر : أين ؟

دجلاس : هنا .

هوتسبر : أهذا هو يا دجلاس . . لا . . أنا أعرف هذا الوجه
حق المعرفة
لقد كان فارساً مقداماً اسمه بلنت ،
إنه يبدو فى لباس وعدة تشبهان لباس الملك نفسه وعدته .

دجلاس : فليلازمك الحمق أينما تكون ،
فقد اشتريت هذا اللقب المستعار بأفدح الأثمان
. . ويلك . . لم قلت لى إنك ملك ؟

هوتسبر : إن الملك يسير الكثيرين فى شعاره ودروعه .

دجلاس : قسماً بسيفى هذا لأقتلن كل من يتخذ شعاره

ولأذبحن كل ملابسه وأمزقها إرباً حتى ألقى الملك نفسه .

هوتسبر : هيا إلى العلا بلا توان ، فإن جنودنا قد انتظمت صفوفهم ووقفوا صامدين مستعدين لخوض غمار المعركة .

(يخرجون لينضموا إلى القوات المسلحة . نفير حرب ! يدخل فولستاف منفردا) .

فولستاف : إن أكن قد استطعت أن أنجو بنفسي وأفر من سهام دفع الحساب فى لندن فإن أكبر ما أخشاه هو ضربات السهام هنا . إن الحساب هنا ليس ضرب أعداد ولكنه ضرب فى الرأس ، ولكن مهلا من أنت ؟ سير ولتر بلنت ، إن هذا شرف لك ! الآن لا غرور . إننى أتقد حرارة كأننى الرصاص المصهور . وأئن ثقلا كالرصاص أيضاً ، فخل اللهم بينى وبين الرصاص ، فلست فى حاجة إلى مزيد من الثقل أكثر من أمعائى . لقد قدت رجالى المهلهلين إلى حيث لقوا حتفهم ، ولم يبق على قيد الحياة من المائة والخمسين الذين كانوا تحت إمرتى إلا ثلاثة ، وقد اتجهوا إلى أبواب المدينة ليحترفوا التسول بقية حياتهم ، ولكن من هذا القادم إلى هنا ؟

(يدخل الأمير هنرى)

الأمير : ما هذا ؟ أتقف عاطلا هنا لا تحرك ساكناً ، أعرنى سيفك ،
إن سادة كثيرين يرقدون الآن جثثاً هامدة جامدة
تحت أقدام الأعداء المتباهين المختالين ،
هؤلاء السادة لم نثأر بعد لموتهم ، أرجوك أن تعيرنى سيفك .

فولستاف : أواه يا هال ، أتوسل إليك أن تسمح لى أن أسترد أنفاسى
لحظة من الزمان ، إن جريجورى الغشوم[1] القاسى
القلب لم يأت من الأعمال مثل ما أتيت اليوم ، لقد
قتلت برسى ، قضيت عليه قضاء مبرماً .

الأمير : إنه سالم آمن حى باق ليقتلك ، أرجوك أن تعيرنى سيفك.

فولستاف : أعاهدك أمام الله يا هال ، إنه إذا ظهر أن برسى
ما يزال على قيد الحياة فإنك لن تأخذ سيفى فحسب
بل لك أن تأخذ بندقيتى إذا أردت .

الأمير : أعطنى إياها ، أهى فى هذا الجراب .

---

(١) Turk Gregory . كلمة Turk هنا بمعنى المتوحش الشرس . ويرى بعض الشراح أن جريجورى المقصود هنا هو البابا جريجورى السابع (هلد براند) لكن هذا الوصف أكثر إنطباقاً على البابا جريجورى الثالث عشر (١٥٧٢ — ١٥٨٥) عدو إنجلترا اللدود الذى بارك مذبحة القديس بارتوليو إن لم يكن هو الذى أوعز بها والذى وعد بأن يغفر جميع ذنوب من يغتال الملكة اليزابيث .

فولستاف : أجل يا هال . . إنها ساخنة ، إن هنا ما يخرب مدينة بأكملها وينهبها نهباً .

(يسحب الأمير البندقية من الجراب فإذا هى زجاجة من النبيذ)

الأمير : ما هذا ، أهذا وقت العبث والسخرية ؟

(يلقى بالزجاجة فى وجهه وينصرف)

فولستاف : إذا كان برسى لا يزال على قيد الحياة فسأطعنه طعنة نجلاء ، (ثم يقول لنفسه) إذا اعترض طريقى هكذا . وإذا لم يعترضنى واعترضت أنا طريقه عامداً فليصنع بى ما يصنع بشريحة من لحم القديد . إنى أكره هذا الشرف المكشر عن أنيابه ، الذى يبديه سير ولتر . اللهم هبنى حياة ، فإن استطعت أن أصونها وأحميها فيها ، وإن لم أستطع ، جاء الشرف دون بحث عنه أو سعى إليه ، وهذا نهاية قولى .

(يخرج)

المنظر الرابع

نفير الحرب . إعارات . يدخل الملك والأمير وقد جرح فى خده ولورد جون لانكستر و إيرل وستمورلند)

الملك : أرجوك يا هارى
أن تكف عن القتال فقد نزفت من الدم أكثر مما تطيق .
اذهب معه يا لورد جون لانكستر .

لانكستر : لن أذهب معه يا مولاى حتى أدمى أنا أيضاً .

الأمير : أرجوك يا مولاى أن تذهب إلى جبهة القتال
حتى لا يملأ غيابك عن المعمعة أنصارك وأصدقاءك فزعاً واضطراباً .

الملك : سأفعل ذلك .
سيدى لورد وستمورلند ، أرجوك أن تقود هارى إلى خيمته

وستمورلند : هيا يا سيدى . فسأقودك إلى خيمتك .

الأمير : أتقودنى يا سيدى اللورد ؟ لست فى حاجة إلى مساعدتك ،
وحاشا لله أن يحول جرح سطحى كهذا
بين أمير الغال وبين شهود مثل هذه المعركة

التى يرقد فيها النبل ماطخاً بدمائه على أرضها تطأه الأقدام
وتزهو رماح الثوار بما أحدثته من مذابح .

لانكستر : لقد أطلنا الراحة أكثر مما ينبغى ، فهيا يا ابن العم وستمورلند
فإن واجبنا يدعونا إلى السير من هذا الطريق . تا لله
هيا بنا .

(يخرج الأمير جون وستمورلند مسرعين)

الأمير : قسماً بربى لقد خدعتنى فى أمرك يا لانكستر ،
فما كنت أحسبك على هذا القدر من سمو الروح .
لقد أحببتك من قبل يا جون حب الأخ لأخيه ،
أما الآن فإنى أجلك كما أجل روحى .

الملك : لقد رأيته يمسك باللورد برسى ويضيق عليه الخناق
ويجعله على مرمى من ظبى سيفه
ويصمد له أطول مما كنت أتوقع
من محارب ناشئ مثله .

الأمير : أواه ، إن هذا الفتى
ينفخ فينا جميعاً من روحه وقوة عزمه .

(يدخل دجلاس من مكان آخر فى الميدان)

دجلاس : أهذا ملك آخر ، إنهم يتكاثرون كما تتكاثر رؤوس
هيدرا ، كلما قطع منها رأس نبت مكانه آخر .
أنا دوجلاس منزل القضاء المحتوم
بكل من يبدو فى لباس الملك أو شعاره .
من تكون يا هذا الذى يزور شخص الملك .

الملك هنرى أنا الملك بعينه الذى يحزنه يا دجلاس
إنك لقيت كثيرين ممن يتشبهون به ،
ولم تلق الملك نفسه .
إن لى ولدين يجدان فى السعى وراءك ووراء برسى فى
الميدان ،
ولكن ما دام حسن الحظ قد رمانى بك
فسأنازلك ، فدافع عن نفسك .

دجلاس : أخشى ألا تكون إلا صورة أخرى مزيفة للملك ،
وإن تكن فى الحق تبد فى سمت الملك ،
وأيا تكن فسأقاتلك ،
وأنتصر عليك .

(يتقاتلان و بينما الملك يتعرض للخطر يدخل أمير الغال)

الأمير : ارفع رأسك أيها الإسكتلندى الخسيس
وإلا تعرضت لأن تفقد هذا الرأس إلى الأبد ،

إن أرواح الأمجاد شيرلى واستافورد وبلنت ترفرف على
سيفى وتملأ ذراعى قوة ،
إن أمير الغال هو الذى يتهددك ،
أمير الغال الذى ما وعد وعداً إلا أنجزه
(يتقاتلان فيفر دجلاس) قر عيناً يا مولاى ، كيف
حالك يا مولاى ؟
لقد بعث سير نيكولاس جوسى يطلب النجدة ،
وكذلك بعث كليفتون ، وسأمضى لفورى لنجدة
كليفتون .

الملك - : قف تمهل واهدأ برهة نستجمع فيها أنفاسنا ،
حقاً لك لقد استعدت أمجادك وسمعتك الطيبة التى كاد
يذهب بها ميلك السابق للعبث واللهو ،
وكشفت عن اهتمام زائد
ورعاية فائقة لحياتى .
بهذا العمل العظيم الذى أنقذت به حياتى

الأمير : رباه ، ما أكثر ما بالغوا فى الإساءة إلى
حين زعموا أنى راغب فى موتك ،
ولو أن ما قالوه حقا
لخليت بين يدى دجلاس

المتصرتين الساجرتين وبينك
ولكان هذا التخلى أمضى سلاحاً وأعجل فى القضاء عليك
من أى جرعة سامة على الأرض ،
ولوفر هذا على ابنك أعمال الغدر والخيانة فى التآمر عليك .

الملك : امض لنجدة كليفتون ، وسأمضى أنا لنجدة سير نيكولاس بجوسى

(يخرج ويدخل هوتسبر)

هوتسبر : إذا لم يخطئنى النظر فأنت هارى مونموث .
الأمير : هذا كلام من يحسب أنى أريد أن أنكر اسمى .
هوتسبر : إن اسمى هارى برسى .
الأمير : إذن فأنا ألقى
هذا الثائر الصنديد الذى يحمل هذا الاسم ،
أما أنا فأمير الغال ، ولا تحسبن يا برسى
أن فى طوقك بعد الآن أن تشاركنى فى المجد أو تقاسمنى العظمة ،
فما من نجمين يستطيعان أن يتحركا فى فلك واحد ،
ولا تستطيع إنجلترا واحدة أن تحتمل ملكاً مزدوجاً

يتقاسمه هاري برسي وأمير الغال .

هوتسبر : وهذا ما لن يكون يا هاري ، فإن الساعة قد حانت
للقضاء على أحدنا ، ولكم تمنيت على الله
أن يكون اسمك الآن في ثبت الفروسية والحروب عظيماً
٧ ممجداً كاسمي .

الأمير : لأجعلنه أعلى وأعظم من اسمك قبل أن أفترق عنك ،
ولأنزعن كل براعم المجد المتفتحة على جبينك ،
وأجعل منها إكليلا أتوج به رأسي .

هوتسبر : لم أعد أطيق غرورك . (يتقاتلان ويقترب منهما فولستاف)

فولستاف : أحسنت صنعاً يا هال ، عليك به يا هال ، أقدم يا هال
٧٦ وثق أنك لن تجد هنا مباراة في الملاكمة .

(يدخل دوجلاس مرة ثانية ويتقاتل مع فولستاف الذي يسقط إلى الأرض متظاهراً بأنه مات ثم يخرج دجلاس . هوتسبر يجرح ثم يسقط على الأرض)

هوتسبر : أواه يا هاري ، لقد حرمتني أمجاد شبابي ،
ولأهون عندي أن أطيق فراق هذه الحياة الهشة
من أن أطيق فراق هذه الألقاب المجيدة التي كسبتها
مني .
إن فقدان هذه الأمجاد يحز في نفسي أكثر مما يحز
٨٠ سيفك في جسدي ،

ولكن ما تكون الأفكار ؟ أليست من توابع الحياة
ومستلزماتها ، وستقف هى الأخرى عندما تذهب
والحياة نفسها ؟ أليست ألعوبة فى يد الزمن يلهو بها حيث يشاء ،
والزمن وإن قيست به دورات الحياة ومدتها
أليس هو الآخر يجرى لغايته ثم ينقضى حين تنقضى الدنيا ؟
أواه إن فى استطاعتى أن أتنبأ لكن يد الموت الفانية الباردة تمسك لسانى ،
لا يا برسى ما أنت إلا تراب ، وما أنت إلا طعام لل . .
(يموت)

الأمير : طعام للديدان أى برسى الشجاع ، وداعاً أيها القلب الكبير ،
إيه أيتها الأطماع الواهية ، كيف بليت خيوطك وتقلص نسجك ؟
لقد كانت حدود مملكة بأسرها تضيق عن أطماع هذا الجسد حين كانت تدب فيه الروح ،
أما الآن فإن قدمين من خبث الأرض مكان فسيح لمثواه .

إن هذه الأرض التى وسعتك جدثاً هامداً
كانت تضيق بك سيداً مقداماً وأنت حى .
ولو أنك كنت حياً تحس وتشعر بمدائحى
لما صغت هذا الحمد ولا قدمت بين يديك آيات
العرفان المنبعثة من أعماق القلب ،
ولكنى دعنى أستر وجهك الجريح بهذا الغطاء العزيز
على نفسى
(ثم يغطى عينى هوتسبر بريشه من خوذته)
واسمح لى نيابة عنك أن أشكر نفسى
على أداء مراسم الوفاة هذه
وأستودعك الله ، ولتأخذ معك حسناتك إلى الجنة !
أما سيئاتك فلترقد معك فى لحدك
دون أن تذكر على شاهد قبرك
(ينظر فولستاف ملقى على الأرض) إيه ، أهذا أنت
أيها الصديق القديم ؟ أكل هذا اللحم يعجز
عن أن يستبقى رمقاً من الحياة ؟ يا لك من مسكين
يا جاك ، وداعاً ؟
وددت لو استطعت أن أفديك بمن هو أفضل منك .
إيه ولو أننى كنت مفتوناً بالغرور
لكانت خسارتى فيك فادحة .

إن الموت لم يصب اليوم من الغزلان ما هو أشد منك سمناً ،
وإن كانت له ضحايا أعز مكاناً وأعظم قدراً فى هذه المعارك الدامية .
سأحتفل بإفراغ أمعائك وتحنيط جسدك فى القريب العاجل ،
وحتى ذلك الوقت نم هنا فى كامل هيبتك إلى جوار برسى النبيل .

(يخرج)

فولستاف : (ينهض) تفرغ أمعائى ، لو أنك أفرغت أمعائى اليوم لأذنت لك أن تخلل لحمى وتنقعه فى الملح لتأكل منه فى الغد ، تا الله لقد كان الموقف يستدعى الخداع والغش ، ولو أنى لم أخادع ولم أغش لأوفانى هذا الإسكتلندى الثائر الغضوب أجلى وقضى على . أهو الغش والخداع ؟ لقد كذبت نفسى ؛ فما أنا بالغاش ولا بالمخادع ، وإن الموت لهو الغش والخداع بعينهما . فالرجل الذى تعوزه الحياة هو الصورة المزيفة للإنسان ؛ أما الرجل الذى يتظاهر بالموت ليحتفظ بالحياة فما هو بالمزور ولا المخادع ، وإنما هو بحق الصورة الصادقة

الكاملة للحياة .
إن التبصر خير سمات الشجاعة . وبهذا التبصر صنت
نفسي . وأنقذت حياتي. تا لله ما أشد فرقى من هذاالثائر
الملتهب برسى ، وإن يكن ميتاً مسجى. فأى شيء يمنع
أن يكون هو الآخر مخادعاً مثلى ، فينفض عنه غبار
الموت وينهض ؟ وأيم الحق إنى لأخشى أن يكون خيراً
منى فى المكر والخديعة .
إذن لأقضين عليه وأقسمن إنى قتلته ، وى .. أى شيء
يمنعه أن ينهض ما دمت أنا قد نهضت ؟ وما من أحد
يستطيع أن يكذبنى فى روايتى إلا أن يأتى يشاهد
عيان ، وما من أحد يرانى الآن . إذن يا رجل (يطعنه)
خذ هذه الطعنة الجديدة فى فخذك ، وهيا أحملك
معى .

(يحمل هوتسبير على ظهره ويسير ، ويعود أمير الغال ومعه اللورد جون لانكستر) .

الأمير : بخ . . بخ . . يا أخى جون لقد خضبت سيفك بدم
الأعداء لأول مرة
بشجاعة فائقة .

لانكستر : ولكن مهلا من يكون هذا الذى نراه هنا ؟
ألم تقل لى إن هذا الرجل البدين قد مات ؟

الأمير : أجل ، وقد رأيته بعيني ميتاً لا حراك به
جريحاً ينزف دمه ملقى على الأرض . أأنت حى ؟
أم هو الخيال يعبث بناظرينا ؟
أرجوك أن تتكلم فلن نثق بما تراه العين دون أن يؤيده
السمع .
١٤٠ إنك لست كما تبدو .
فولستاف : بل الحقيقة ما ترى ، فلست شبحاً ذا رأسين ، وإنما أنا
جاك فلستاف ، وإذا لم أكنه حقًّا فما أنا إلا وغد
مخاتل ، وهذا هو برسى (يلقى الجثة على الأرض)
وإذا كان لأبيك أن يكافئنى على صنيعى هذا فبها
ونعمت ، وإلا فعليه أن يقتل برسى الثانى بنفسه
وأقول لك الحق إنى أتطلع لأن ينعم على بلقب إيرل
١٤٦ أو لقب دوق .
الأمير : ويحك . . لقد قتلت برسى بنفسى ورأيتك صريعاً .
فولستاف : هل فعلت ذلك بنفسك ، يا إلهى . . يا إلهى ، إن هذه
الدنيا غارقة فى الكذب والبهتان ، أؤكد لك أنى كنت
ملقى على الأرض متقطع الأنفاس ، وكذلك كان هو ،
ثم نهضنا كلانا فى وقت واحد وتقاتلنا ساعة طويلة
حسب ساعة شروزبرى . فإذا كان لكم أن تصدقونى

فيها ، وإن لم تصدقونى فليحمل وزر ذلك على رؤوسهم
أولئك الذين يجب عليهم أن يجزوا الناس عن الشجاعة
والإقدام . وإنى لأقسم لكم بأغلظ الأيمان إنى أصبته
بهذا الجرح فى فخذه :
ولو أن الرجل كان حيًّا وأنكر هذا ، لألقمته سيفى هذا .

لانكستر : هذه أغرب قصة سمعتها فى حياتى .

الأمير : هذا أغرب رجل عرفته يا أخى جون .

(ثم يلتفت إلى فولستاف ويتحدث إليه)

هيا يا جاك احمل متاعك على ظهرك فى رفق ،
وإذا كان الكذب خليقاً بأن ينيلك جزاء أو امتيازاً
فإنى سأزينه بكل ما فى طوقى من حجج براقة .
(يسمع نفير التراجع) ، إن النفير يعلن التقهقر . لقد
كسبنا معركة اليوم ،
فهيا بنا يا أخى تصعد إلى أعلى نقطة فى الميدان ،
ونرى أى رجالنا على قيد الحياة وأيهم مات .

(يخرج أمير الغال ولورد لانكستر)

فولستاف : سأتبعكم طلباً للجزاء كما يقولون ، ومن يجزنى يجزه الله !
وإذا صرت عظيماً فسينقص وزنى ، ذلك أنى سأتطهر
وأتوب ، وأهجر النبيذ ، وأعيش حياة نظيفة مطهرة
كما ينبغى أن يعيش الرجل النبيل .

(يتبعهما وهو يجر وراءه الجثة)

المنظر الخامس

(صوت النفير — يدخل الملك وأمير الغال ولورد لانكستر وأيرل وستمورلند ومعهما ورستر وفرنون أسيرين)

الملك : وهكذا يجد العصيان دائماً من يردعه ،
أى ورستر ، أيها الخبيث الطوية ،
ألم نبعث إليكم جميعاً بأنعمنا وصفحنا وعبارات حبنا ؟
ألم تقلب أنت عروضنا رأساً على عقب ؟
ألم تخن الأمانة التى وضعها فى عنقك قريبك ؟
لقد قتل ثلاثة من الفرسان من جماعتنا اليوم ،
وكان فى الإمكان أن يبقى إيرل نبيل وعديد من رجالنا
على قيد الحياة فى هذه الساعة
لو أنك أخلصت السفارة بين جيشينا
كما يليق بكل رجل مسيحى صادق الإيمان .

ورستر : لقد حملنى على ما فعلت رغبتى فى السلامة ،
وإنى لأتقبل نصيبى بصبر ،
وما دمت لم أستطع أن أتجنب هذا المصير ، فليقع عبؤه على رأسى .

الملك : خذوا ورستر وأمضوا فيه القتل ، وكذلك فرنون .
أما بقية المذنبين فسأتدبر أمرهم رويداً (يخرج ورستر وفرنون محروسين) وبعد ، فما هو الموقف فى الميدان ؟

الأمير : إن النبيل الإسكتلندى لورد دوجلاس
حين رأى أن الحظ قلب له،فى معركة اليوم،ظهر المجن
وأن اللورد برسى قتل .
وأن الخوف قد دب فى قلوب رجاله جميعاً فر هو الآخر معهم
فسقط فى أثناء فراره من فوق التل وأصيب برضوض خطيرة
مكنت متابعيه من القبض عليه ،
وهو الآن فى خيمتى ، وإنى أتوسل إلى مولاى
أن تترك لى أمره .

الملك : بكل سرور .

الأمير : إذن فسأعهد إليك يا أخى جون لانكستر
بشرف هذه المكرمة ،
فاذهب إلى دوجلاس وأطلق سراحه
ليذهب حيث يشاء حراً طليقاً بلا فدية ،
فإن شجاعته التى أبداها اليوم وكلل بها جباهنا

قد علمتنا كيف نحتضن هذه الفعال السامية
ولو كانت من صفات أعدائنا .

لانكستر : أشكر لسموك هذا الفضل العظيم ،
وسأسارع لإبلاغه ذلك .

الملك : لم يبق أمامنا بعد ذلك إلا أن نقسم قواتنا،
فتسارع أنت يا بنى جون مع ابن عمى وستمورلند
إلى يورك لتواجه
نورثمبرلند والأسقف سكروب
اللذين انتقضا علينا فيما علمت وأخذا يجمعان قواتهما .
أما أنا وأنت يا هارى فسنتجه إلى الغال
لنحارب جلندور وإيرل مارش .
إن العصيان فى هذه البلاد لابد أن يكبح جماحه
إذا لقى من الروع العنيف يوماً آخر كهذا اليوم ،
ومادام مسعانا قد حالفه التوفيق فى الأولى
فما ينبغى أن نكف عن متابعة العصاة حتى نفوز على
الجميع .

(يخرجون)

* * *

الملك هنرى الرابع

الجزء الثانى

ترجمة الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال   الأستاذ محمد بدران

أشخاص الرواية

الإشاعة [1] تقدم الرواية	:	Rumour
الملك هنرى الرابع	:	King Henry IV.
الأمير هنرى . . الذى توج فيما بعد ملكاً باسم هنرى الخامس	:	Henry, Prince of Wales
أبناء الملك هنرى الرابع	:	
الأمير جون لا نكستر	:	Prince John of Lancaster
الأمير همفرى جلوستر ،	:	Prince Humphrey of Gloucester
الأمير توماس كلارنس	:	Thomas (Duke) of Clarence
رجال من شيعة الملك	:	
إيرل وروك		Earl of Warwick
إيرل وستمورلند		Earl of Westmoreland
إيرل سرى *		Earl of Surrey

(١) تقوم الإشاعة بتقديم الرواية لتربط بين حوادث الجزء الأول والجزء الثانى من مسرحية « الملك هنرى الرابع » وتظهر على المسرح متخفية فى قناع من الجلد تخرج منه عدة ألسنة مجنحة وقد وضعت على رأسها قلنسوة على صورة لسان ذى جناحين كبيرين وهى صورة مألوفة للإشاعة كما صورها الأدباء من قديم ويرجع أصلها إلى فرجيل وشوسر .

* هؤلاء يمثلون دورهم بالإشارة لا بالنطق .

إيرل كنت *			
جور			Gower
هاركورت			Blunt
سير جون بلنت *			Harcourt
اللورد قاضي القضاة	:		
خادم قاضي القضاة	:		
إيرل نورثمبرلند	:		Earl of NorthumberLand
إسكروب رئيس أساقفة يورك	:		Scroop
لورد موبراى	{	خصوم الملك هنرى الرابع	Lord Mowbray
لورد هاستنجز			Lord Hastings
لورد باردولف			Lord Bardolph
سير جون كولفيل			Sir John Coleville
ترافرس	:	من حاشية نورثمبرلند	Travers
مورتون	:		Morton
إدوارد بوان	:	رائد الأمير هنرى	Poins
فولستاف	{	من أصحاب الفكاهة والدعابة	Sir John Falstaff
باردولف			Bardolph
بيتسو			Peto
بيستول			Pistol

غلام	: تابع فولستاف .	
شالووسيلنس	: من قضاة الريف	Shallow, Silence
ديفى	: خادم شلو	Davy
فرانسس ، وندل وآخر		
فانج ، وسنير	: جاويش وأحد ملاك الأراضى	Fang, Snare
مولدى ، شادو ، وارت ، فيبل ، بلكاف : جنود ريفيون		Mouldy, Shadow, Wart, Bullcalf
السيدة نورثمبرلند	:	Lady Northumberland
السيدة برسى	:	Lady Percy
كويكلى	: صاحبة الحانة	Mistress Quickly
دول تيرشيت	:	Doll Tearsheet
خاتمة		
سادة وخدم ، بواب ، قواصون		
ثلاثة من فارشى السمار		
المنظر	: إنجلترا .	

الجزء الثانى

من مسرحية الملك هنرى الرابع

(وركورث — أمام أبواب قلعة نورثمبرلند)

(مقدمة)

[تدخل الإشاعة وقد لبست قناعا تدلت منه ألسنة متعددة]

الإشاعة : افتحوا آذانكم وانصتوا ، فهل منكم أحد يرد أن يسد أذنيه

حين يتردد صوت الإشاعة العالى ؟
من الشرق إلى الغرب حيث تغيب الشمس
أجوب متنقلا من مكان إلى مكان مسرجة الريح
دائبة على إذاعة أنباء الحوادث
التى تبدأ بالوقوع على ظهر هذه الكرة الأرضية . ١٥١
وعلى متن ألسنتى تركب النميمة التى لا تنتهى أبداً
فأحملها من مكان إلى مكان وأعلنها بكل لغة
وأرسلها مدوية لأملأ مسامع البشر بكاذب الأخبار ،
فأتحدث عن السلام على حين تكون العداوة المتسترة

وراء بسمة الأمن المتكلفة تدمى العالم .
ومن سواى أنا الإشاعة ، من سواى أنا
وحدى يخلق الحشود ويستعرض القوات المهولة التى
تتأهب لرد العدو
حينما تبدو الأيام كأنها تكن وليداً قذفته فيها الحرب
العاتية الغشوم
على حين أنها تحمل آثار شر آخر ،
وعلى حين أن لا شىء من ذلك يعكر صفو الزمان . .
وما الإشاعة إلا يراعة مثقبة تنفخ فيها التكهنات والأحقاد
وتلعب عليها الأهواء والتنبؤات . .
إنها آلة موسيقية سهلة الاستخدام يسيرة التناول
حتى ليستطيع أن يوقع عليها فى غير ما مشقة المارد
البليد الإدراك ذو الرءوس المتعددة ،
وتنفخ فيها الجماهير المذبذبة المضطربة التى لا تقر أبداً.
ولكن ما حاجتى إلى أن أحلل وأشرح على هذا النحو .
ذاتى المعروفة تماماً لمن ينتمون إلى أسرتى ؟ .
وبعد ، فما الذى حملنى أنا الإشاعة على المجىء إلى هنا .
لقد جئت ألهث من الجرى لأسبق أنباء انتصارات
الملك هنرى

الذى صرع بعد قتال دام عنيف فى ميدان القتال بشروزبرى ،
هوتسبر الشاب ، وهزمه هو وجنوده شر هزيمة ،
وأطفأ لهيب الثورة
بدماء الثوار أنفسهم .
ولكن ماذا أقصد بقول الحق فى مستهل الحديث ؟
إن مهمتى أن أعلن أن هارى مونموث قد خر صريعاً
تحت وطأة سيف هوتسبر النبيل
وأن الملك اضطر أن يحنى رأسه الممسوح بالزيت المقدس ،
ويعفره فى الثرى أمام قوة دوجلاس وبطشه
لقد نشرت هذه الأنباء وأشعتها خلال البلدان الريفية
المنتشرة على طول الطريق ما بين ميدان القتال فى شروزبرى
وبين هذا الحصن المتهدم الذى عفا عليه الزمن ،
حيث يرقد والد هوتسبر نورثمبرلند العجوز مدعياً المرض . .
وقد أقبلت الرسُل والرسل تجرى على عجل متعاقبة وقد أنهكها السفر
وما من واحد منها أتى بأنباء أخرى غير التى علمتهم إياها .

لقد جاءوا عن ألسنة الشائعات بأنباء كاذبة تدخل السكينة على النفس ،
وهى لكذبها أشد خطورة من أنباء الشر الصادقة .

(تخرج)

الفصل الأول

المنظر الأول

نفس المنظر السابق

[يدخل لورد باردولف]

لورد باردولف : (منادياً) من يحرس هذا الباب . . من هنا . . يا هذا

(يظهر البواب على السور من فوق الباب)

أين الإيرل

البواب : ما أنت يا سيدى حتى أقول له

لورد باردولف : قل للإيرل

إن اللورد بادرولف هنا .

البواب : إن سيادة اللورد يتمشى الآن فى البستان

فإذا سمحت يا مولاى فاطرق الباب

وسيجيبك الإيرل بنفسه .

(يتقدم إيرل نورثمبرلند وهو يعرج متوكئاً على عصا وقد عصب رأسه)

لورد باردولف : ها هو ذا الإيرل قادم .

نورثمبرلند : ما وراءك من أنباء يا لورد باردولف فإن كل دقيقة تمر الآن

يغلب أن تلد نازلة من النوازل ،
ولا غرو فالزمان أرعن أهوج أفلت زمامه وأضحى كالحصان الجامح
يطأ كل ما يلقاه أمامه .

لورد باردولف : سيدى الإيرل النبيل ،
لقد جئتك من شروزبرى بنبأ يقين .

نورثمبرلند : خيراً إن شاء الله .

باردولف : خيراً كما يحب القلب ويهوى .
لقد جرح الملك جروحاً مميتة أشرف بها على الهلاك ،
وكان من حسن الطالع الذى يصاحب مولاى اللورد ابنك
أن قتل الأمير هارى لفوره ، وقد قضى دجلاس على كل من الأخوين ولدى بلنت .
أما الأمير جون الشاب ووستمورلند وستافورد فقد ولوا الأدبار من الميدان ،
ووقع خنزير مونموث السمين ، أى سير جون البدين أسيراً فى يد ابنك .
أواه إن مثل هذا اليوم الذى جاهدنا فيه الأمراء وأجهزنا عليهم

وأحرزنا لأنفسنا نصراً مؤزراً يوم يتيه به الزمان ،
ولم تشهد الدنيا مثله منذ انتصارات قيصر .

نورثمبرلند : وكيف استقيت هذه الأنباء ؟
هل شهدت الموقعة بنفسك
أو قادم أنت من شروزبرى ؟

باردولف : بل تحدثت مع أحد القادمين من هناك يا مولاى اللورد
— سيد كريم العنصر طيب السمعة .
وقد أفضى إلى بهذه الأنباء بكل أمانة على أنها
الحق الصراح .

نورثمبرلند : ها هو ذا خادمى ترافرس مقبل نحونا ، لقد بعثت به
منذ يوم الثلاثاء الماضى إلى هناك ليتسقط الأنباء . .

(يقترب ترافرس)

باردولف : سيدى اللورد لقد مررت به فى الطريق وسبقته إليك ،
وهو غير مزود بأنباء مؤكدة
اللهم إلا ما عساه أن يكون قد استقاه منى ليعيده
على مسامعك .

نورثمبرلند : هيه يا ترافرس ماذا تحمل لى من طيب الأنباء ؟

ترافرس : سيدى اللورد لقد لقينى فى الطريق سير جون أومفرفيل
وأمرنى أن أعود إليك

وحملنى أنباء سارة ، ولما كان جواده أسرع عدواً من جوادى
فقد سبقنى فى الطريق ، وعلى أثره جاء سيد آخر
يحث جواده فى قوة وقد أنهكته السرعة إنهاكاً حمله على أن يتوقف إلى جانبى
ليريح حصانه المكدود ،
وليسألنى الطريق إلى شستر ،
وقد استفسرت منه عن أنباء الموقف فى شروزبرى ،
فأنبأنى أن الثورة قد خانها الحظ
وأن مهماز * الأمير الشاب هارى برسى قد برد
وحين بلغ هذا الحد أطلق لحصانه القوى العنان
وانحنى عليه يعمل مهمازيه فى جانبى حصانه الذى أعياه طول السفر ،
وزاد خفقان قلبه سرعة العدو
وظل يواصل حفزه بأشفار مهمازه حتى استجاب له الحصان المضنى
فانطلق ينهب الأرض فجأة فى ثورة وعنف
لم يدعا لى مجالا لمزيد من الاستيضاح .

* يلقب هنرى برسى بلقب Hotspur أى « المهماز الحامى » وبرود المهماز كناية عن موته .

نورثمبرلند : هيه يا رجل .
أعد على ما قال ، أقال لك إن مهمازى هارى برسى
الشاب قد بردا ؟
أقال لك إن هارى الحار الدم قدأصبح بارداً لاحياة فيه ،
وأن الثورة قد خانها الحظ ؟
لورد باردولف : مولاى ماذا أقول ، وماذا أدع ؟
قسماً بشرفى لأراهن بكل أملاكى مقابل ربطة ساق
لا تساوى شيئاً ،
على أن مولاى اللورد الشاب ابنك قد أحرز النصر
اليوم وفاز فى المعركة —
ثق مما أقول ولا تدع الشك يخالجك لحظة فى أن
الأمر على غير ما ذكرت .
نورتمبرلند : إذا كان الأمر كذلك ففيم أطلق هذا السيد الذى
وقف إلى جانب ترافرس
تلك الأنباء عن هذه الخسائر؟
باردولف : من . . ؟
هذا الرجل إنه مجرد وغد زنيم سرق الحصان الذى يركبه ،
ولعمرى إنه لم يصدر فى أقواله إلا عن الحدس والرجم
وبالغيب .

ومع ذلك أنظر فها هي ذى أنباء جديدة تفد علينا .
(يرى مورتون وهو يقترب منهما)

نورتمبرلند : أجل إن عارض هذا الرجل كصفحة الغلاف
تنبئ عن طبيعة موضوع الكتاب المحزن الذى يضمه .
إنه كالشاطئ الذى يغمره الطوفان الغامر
حتى إذا ما انحسر ظلت على صفحته آثار الدمار الذى أصابه
— تكلم يا مورتون وقل هل جئت من شروزبرى ؟

مورتون : بل فررت من شروزبرى يا سيدى اللورد النبيل ،
فررت من الموت الكريه الذى أرخى سدوله البشعة على شيعتنا ليرهبها

نورثمبرلند : وكيف ابنى وأخى؟
إنك ترتعد . وإن الصفرة التى تعلو وجهك
أفصح فى التعبير عن مرادك من كل لسان ،
إنك مثل ذلك الرجل الذى أزاح الستر عن خيمة بريام[1] ودخل إليه فى جوف الليل
مضعضعاً منهوكاً مقطوع النفس كئيباً
تعلوه صفرة الموت وقد خيم عليه الأسى
ليبلغه بأن طروادة قد احترق نصفها .

---

(١) Priam ملك طروادة .

ولكن بريام كان أسرع إلى معرفة نبأ الحريق من
منظره قبل أن يستطيع الرجل النطق بما أراد أن يقوله ،
وأنا كذلك قد عرفت موت برسى قبل أن ينطق به
لسانك ،
إنك تود أن تبادئنى الحديث بذكر مناقب ابنى فتقول
هكذا : إن ابنك قد أبلى فى هذا ، وأبلى فى ذاك ،
وإن أخاك قتل هذا وأن النبيل دوجلاس قد جاهد
جهاداً عظيماً ،
فتملأ أذنى المتشوقة ببلائهم النبيل ،
ولكنك فى النهاية تصك أذنى بما يصمهما عن الاستماع
إلى أى شىء آخر
بآهة تطلقها تبدد كل ما صغت من آيات مجدهم
وشجاعتهم
وتختم قولك بأن أخى وابنى والجميع قد ماتوا .

مورتون : إن دوجلاس لا يزال على قيد الحياة وأخوك كذلك ،
أما سيدى ومولاى ابنك . .

نورثمبرلند : ويلى ، إنه مات ،
أرأيت كيف يجد الشك جواباً سريعاً .

إن الذى يراوده الخوف من شىء ما لا يريد أن يعرفه ،
تأتيه المعرفة بالغريزة من التطلع إلى عيون الآخرين
فيعرف أن ما كان يحذر قد وقع ، ومع ذلك تكلم
يا مورتون
وقل لسيدك الإيرل إن تنبؤه كاذب .
تكلم ولا تخش مغبة التجرؤ على إيرل بتكذيبه وثق
أنى سأعد هذه نقيصة محببة
وأكافئك على الإساءة إلى خيراً .

مورتون : إنك أعلى مقاماً من أن أناقضك ،
وإن روحك لروح صدق وإن مخاوفك لحقيقة
لا جدال فيها .

نورثمبرلند : وعلى الرغم من كل ذلك فإنى ما زلت آمل ألا تقول
إن برسى قد مات ،
إنى لأرى فى عينيك اعترافاً غريباً بموته . وإن لم
تنطق به شفتاك ،
إنك لتهز رأسك وتمسك لسانك عن قول الحق معتقداً
أن وراء الجهر به خطراً كبيراً أو إثماً عظيماً
قل الحق ولا تخف شيئاً . وإن يكن قد مات فأفصح ،
فما أجرم لسان يحمل نبأ موته .

فالآثم من يكذب على ميت ،
لا الذى يقول إن الميت ليس حيًّا .
ولكن الذى يبادر بحمل الأنباء السيئة
يؤدى عملا غير مشكور ، ويظل لسانه يرن فى الآذان
كأنه ناقوس الوداع الرتيب الكئيب
الذى يقرع لوداع صديق راحل .

لورد باردولف : لا أستطيع أن أتصور يا سيدى اللورد أن ابنك قد مات .

مورتون : إنى لآسف إذ أحملك على تصديق هذا الذى
تمنيت على الله ألا أراه ولا تشهده عيناى .
ولكن عينى هاتين قد رأتاه وهو مضرج بدمه وقد
أخذه الوهن والإعياء ،
يحاول أن يرد الضربة بضربة مثلها لهارى مونموث الذى
عاجل برسى بضربة ألقت به إلى الأرض صريعاً
وهو الذى لم تخنه شجاعته قط
ومن ثم لم يستطع بعدها أن يهب على قدميه أبداً وفيه بقية
من حياة .
ولأوجز الحديث فاقول لكم إن موت هذا الذى كانت
روحه تشعل الحماسة
فى صدر أشد الفلاحين خمولا فى معسكره

حين انتشر نبؤه فى الصفوف
سلب أشد عسكره شجاعة وصلابة حماسهم وحميتهم
ذلك أن رجاله كانوا يستمدون صلابتهم وثباتهم من قوة
روحه وشدة بأسه ،
فلما انثلم حد سنانه انقلبوا بعضهم على بعض
وعادوا سيرتهم الأولى من الخمول وفتور الهمة والتثاقل
كأنهم رصاص بليد ثقيل .
وكما أن الجسم الثقيل فى ذاته
إذا اندفع بشدة انطلق مسرعاً فى طريقه ،
كذلك فعل جنودنا الذين أثقل كاهلهم الحزن على فقد
هوتسبر
وزادهم الخوف خفة
فاندفعوا يفرون من الميدان طلباً للسلامة
بأسرع مما تنطلق السهام من كنانتها إلى مرماها .
وفى تلك الساعة سرعان ما وقع النبيل ورستر فى الأسر ،
وسرعان ما بارك الإسكتلندى العتيد دوجلاس الدموى ،
الذى أبلى سيفه أحسن البلاء فى المعركة
وسفك دماء ثلاثة كانوا يشبهون الملك فى مظهرهم ،
سرعان ما بارك فعال جنوده المخزية وتخلى عن كبريائه

وأطلق ساقيه للريح مقلداً أولئك الذين ولوا ظهورهم
للمعركة .
ولكنه فى فراره عثرت قدمه من الخوف فأحيط به وأسر
وغاية القول
أن الملك كسب المعركة وأنه بعث بقوات أخرى
تسير بأقصى سرعة تحت قيادة الشاب لانكستر
ووستمورلند لملاقاتك يا مولاى .
هذه هى الأنباء بأكملها .

نورثمبرلند : أما عن هذا فإنى سأجد يوماً ما وقتاً كافياً للأسى .
إن فى السم ترياقاً ،
وهذه الأنباء كان من شأنها أن تسقمنى لو أنى كنت
صحيحاً معافى ،
أما وأنا مريض فقد شفتنى إلى حد ما ،
وكما أن المريض البائس الذى أنهكت الحمى مفاصله
وجعلت أطرافه تنوء تحت ثقل جسمه الحى ويتساقط
تحت عبئها كما تتساقط المفاصل الواهنة .
يثور خوفاً من النوبة التى تأتيه ، وينفلت من بين
ذراعى من يمرضه ،

وينطلق فى عنف شديد لا يستطيع أن يكبحه أحد
كأنه النار إذا اشتعلت . فكذلك أنا ،
فإن يكن المرض قد أضعف أطرافى وأوهنها ، فإن هذه
الأحزان التى استثارتنى
قد جعلت قوةمفاصلى تتضاعف ثلاثة أضعاف .. إليك
عنى الآن أيتها العصا الأنيقة التى يتوكأ عليها المرضى ،
إن هذه اليد يجب أن يغطيها قفاز ذو صفائح ومفاصل
من الصلب .
وبعداً لك أيضاً أيتها العصابة اللينة التى يرتديها الناقهون ،
فأنت وقاء رقيق للرءوس لا يصمد لطعنات الأمراء
الذين مرنوا على الهجوم وتمرسوا بالغزو .
ولأربطن جبهتى بالصلب وأضع على رأسى قلنسوة
الحرب الحديدية
ثم فلتوافنى بعد ذلك أشد ساعات الزمان حلكة
وليواجهنى أقصى ما يستطيع الحقد والزمن أن يسدداه
إلى نورثمبرلند الغاضب !
فستجد منى نفرة بنفرة وثورة بثورة .
فلتنطبق السماء على الأرض وليسُدْهما الاضطراب
والفوضى ولتتخل يد الطبيعة عن نظامها

لتترك المحيط الثائر يغمر الأرض بمائه وليندثر النظام
وتحل الفوضى
وتصبح هذه الدنيا مسرحاً متصل الفصول
يؤجج روح الشر والعداوة ويزيد ضرامها أمداً لا نهاية له،
وتسود فيه روح قابيل وحدها ، روح الابن البكر
قاتل أخيه ،
ولتنطو كل الصدور على هذه النزعة الدموية حتى
حتى ينتهى هذا المنظر البشع
بانتهاء البشرية كلها ودفنها فى الظلام الأبدى .

ترافرس : إنك تسىء إلى نفسك يا مولاى بإطلاق العنان لهذه المشاعر العنيفة .

باردولف : لا تخل بين حكمتك ووقارك يا مولاى بل اجعلهما
قرينين كالعهد بك أيها الإيرل الحبيب

مورتون : إن حياة أعوانك المحبين لتعتمد على صحتك
التى إن استنفدتها على هذا النحو فى هذه الثورات العنيفة
فلا مفر لها من أن تتداعى —
لقد حسبت حساب الحرب يا سيدى اللورد النبيل —
وقدرت احتمالات الكسب والخسارة قبل أن تنادى
بتجييش الجيوش للثورة فى وجه الملك ،

ولا بد أنه كان فى تقديرك
أنه حين يحمى وطيس القتال وتشتد الضربات سيقع
ابنك فريسة لإحداها ؛
وإنك لتعرف أنه مخاطر يمشى إلى الهيجاء على أدق
من الصراط ،
وإنه بهذه المخاطرة أدعى إلى أن يسقط من أن يتغلب
وينجو ،
وكنت تعلم حق العلم أن بدنه معرض للجروح والندوب ،
وأن روحه الغلابة الثائرة
ستحمله على أن يخوض أشد الأماكن خطورة سعياً
وراء النضال .
ومع ذلك لم تتردد فى أن تقول له تقدم .
ولم يكن شيء من هذا ، وإن كان متوقعاً حدوثه ،
ليكبح جماح الحوادث عن أن تسير فى طريقها فى
عناد وإصرار ،
فما الذى جد بعد ذلك ؟
أو ما الذى أتت به هذه المغامرة الجريئة من جديد
غير ما كان متوقعاً أن يحدث ؟

لورد باردولف : لقد كنا نحن الذين اشتركنا جميعاً فى هذه المخامرة السيئة الطالع
نشعر أننا نغامر فى بحار خطرة مضطربة ،
وأن فرص النجاح أمامنا ضئيلة وأنها لا تعدو واحداً إلى عشرة .

ومع ذلك غامرنا أملا فى الكسب المنتظر ،
وأسكتنا كل مظان الخطر الذى نخشى وقوعه ،
وما دمنا قد غلبنا على أمرنا . فلنغامر مرة أخرى علنا نستعيد مكانتنا .
فهيا نحاول مرة أخرى ولنضحى كلنا فى سبيل ذلك بحياتنا وأموالنا .

مورتون : لقد آن الآوان أو فات يا سيدى اللورد النبيل .
ولقد سمعت خبراً لا أشك فى صحته ، وأنا أصدر فى قولى عن غاية الصدق ،
أن رئيس أساقفة يورك ، ذلك الرجل الوديع ،
قد هب ثائراً على الملك تؤيده قوات منظمة .
والأسقف يا سيدى رجل تربطه بأعوانه وشائج متينة مزدوجة .

إن سيدى اللورد ابنك لم يكن له سلطان إلا على
الأبدان،
فلم يحارب معه إلا الأشباح والأبدان .
ذلك أن وصف الحركة بالخروج على الملك
فصلت ما بين أعمال البدن وأعمال الروح عند هؤلاء الناس،
وكانت مثار نزاع بين أرواحهم وأبدانهم ، فكانوا
يحاربون بشعور مريض وعلى مضض ،
كما يفعل الذين يتعاطون الجرعات الطبية ، فكأن
أسلحتهم وحدها هى التى كانت معنا
أما قلوبهم وأرواحهم
فقد جمدتها كلمة الخروج على الملك ،
كما يتجمد السمك فى البركة . أما الآن فإن الأسقف
قد خلع على هذه الثورة ثوب الدين ،
وإذا كان الأسقف معروفاً بالإخلاص والقداسة فى
جميع أفكاره ،
فقد تبعه الناس بأجسادهم وعقولهم ،.
وزاد ثورته فضلا وقوة حين جعل من ريتشارد شهيداً،
وجعل دوافعها الانتقام لنفس أزهقت بالباطل فى
بومفرت

م ١

وأرجعها إلى الله فهو الذى يحفزه وهو الذى يسيطر عليه
ومنه يستمد العون لتحقيق غايته .
وقال للشعب إنه يهب ليحمى أرضاً مزقها الطغيان ،
وما زالت تتطلع إلى الحياة تحت سلطان بولنبروك العظيم.
وقد استجاب لدعوته العظماء والدهماء على السواء .

نورثمبرلند : لقد سمعت بهذا من قبل ، ولكن الحق أقول ؛
إن هذه النازلة التى نزلت بى أخيراً قد محت ذكره من رأسى .
تعالوا ادخلوا معى ولنتشاور مع كل إنسان
فى أيسر الطرق للسلامة والانتقام ؛
وابعثوا الرسل وارسلوا المكاتيب واجمعوا الأصدقاء والأعوان مسرعين .
فما كان أعواننا قط قلة وما أظننا فى حاجة إلى أكثر من هؤلاء الأعوان .

(يخرجون)

المنظر الثانى

شارع فى لندن

(يدخل سير جون فولستاف يعرج متوكئاً على عصا يتبعه غلامه حاملا سيفه ودرعه)

فولستاف : يا غلام ، أيها المارد ماذا قال لك الطبيب عن نتيجة تحليل البول ؟

الغلام : لقد قال يا سيدى إن البول نفسه طبيعى وصحى ، ولكن صاحب البول قد يكون مصاباً بأمراض أكثر مما يعرف أو يتصور .

فولستاف : إن رجالا كثيرين من كافة الطبقات يشعرون بالزهو والفخار حين يتخذوا منى مادة لسخريتهم ، وعقل هذا الإنسان المخلوق من طين ، المحشو بالنزوات أعجز عن أن يبتدع شيئاً من السخرية اللاذعة أو الفكاهة المضحكة عما أبتدع أنا أو عما يصاغ للتندر بى ، فلست ألمعياً فحسب ، بل ابعث حضور البديهة وسرعة الخاطر فى غيرى من الناس . والآن : أرانى أمشى أمامك ، فأبدو كخنزيرة قتلت صغارها

إلا واحداً منها . وإلا يكن الأمير قد ألحقك بى ليظهر ما بينى وبينك من فارق على خير وجه ، فإنى إذن لساقط التمييز . يا شبيه الإنسان يا ثمرة العهر ، لأولى لك أن تثبت فى قبعتى من أن تمشى خلفى وتقفو خطواتى . . وما حدث قط أن كان لى تابع فى حجم فص من العقيق حتى جئت لى أنت ، ولكنى لن أجعلك فصاً فى حلية من ذهب أو فضة . بل سأكسوك بأحط الثياب وأعيدك إلى سيدك لقاء حلية أنالها منه . سأعيدك إلى سيدك الفتى الذى لم تنبت بعد لحيته . وإنه لأقرب عندى أن تنبت لحية فى باطن كفى من أن تنبت شعرة واحدة فى عارضى سيدك ، الذى لا يفتأ يقول إن له طلعة الملوك ، أتم الله بهاء خلقه حين يشاء ، فوجهه لا يشين صفاءه شىء قط . وله أن يستبقيه ملوكياً كاملا [1] فلن يكسب حلاق منه بضع بنسات أبداً . وسيدك رغم ذلك لن يفتر عن المباهاة كما لو كان قد بلغ مبلغ الرجولة وأبوه بعد أعزب . ولسيدك أن يقدر نفسه كما يشاء لها ، أما أنا فلى فيه رأى آخر . هذا ما ينبغى أن تتأكد منه . . وماذا قال لك المعلم

(١) الملوكى عملة إنجليزية قيمتها عشر شلنات ، أى هو أملس الوجه .

دومبلدون عن الحرير اللازم لبطانة معطفى القصير
٣٣ وأكمامى الواسعة ؟

الغلام : قال ياسيدى إنه ينتظر منك أن تقدم له ضماناً خيراً من باردولف ، فإنه لا يستطيع أن يقبل ضمانك وضمانه ،
٣٧ وأنه غير راض عن هذا الضمان .

فولستاف : ألا فليلعنه الله كما لعن الفتى الشره[1] ، وليحترق لسانه باللهب أكثر فأكثر . إلا أنه اخيتوفل[2] جديد وليد بغى ، وغد شرير يقول بلسانه ما ليس فى قلبه يبدى استعداده لخدمتى ثم من ورائى يصمم على ضمان إن هؤلاء الأوغاد ذوى الرءوس الفارغة لا يستخدمون إلا الأحذية المرقعة الكعوب ويضعون حزم المفاتيح فى مناطقهم فإذا ما عاملهم إنسان بالدين ، معاملة أمينة أصروا على المطالبة بالضمانات . ولعمرى لأفضل عندى أن يملأوا فمى بالسم من أن يحاولوا إسكاتى بالإصرار على كلمة « الضمان » لقد توقعت أن يبعث إلى اثنتين وعشرين ياردة من الحرير لأنى فارس أمين . ولكن ما الذى بعث ؟ بعث يطلب

---

(١) إشارة إلى قصة الغنى ولعازر — الكتاب المقدس لوقا ١٦ : ٢٤ .

(٢) من مشيرى النبى داود الذين اشتركوا مع ابنه إبشالوم فى الثورة ضده انظر . الكتاب المقدس ، صموئيل الثانى ١٥ عدد ١٧ .

ضماناً يطمئن له . فليطمئن ، فقرنه نام ، ومن خلال القرن يلوح فجر امرأته ، ولكن الديوث لا يرى شيئاً على الرغم من أن لديه مصباحا يضيء ما حوله .

٥٤ وأين ياردولف .

الغلام : لقد ذهب إلى سميث فيلد ليشترى لسيادتك حصاناً .

فولستاف : لقد اشتريته فى سانت بول وسيشترى لى حصاناً من سميث فيلد وليتنى أستطيع أن أجد زوجة فى إحدى المواخير إذن لجمعت بين السوءات الثلاث فى العبد

٦٠ والحصان والزوجة (١) .

(يدخل كبير القضاة ومعه خادم)

الغلام : سيدى ، إن الرجل النبيل الذى حكم على الأمير لضربه إياه بسبب باردولف قادم نحونا .

٦٤ فولستاف إختفى عن ناظره فأنا لا أريد أن أراه .

(يتسلل إلى عطفة والغلام خلفه)

كبير القضاة : من هذا الذى يسير هناك ؟

الخادم : إنه فولستاف إن أذنت يا مولاى .

٦٨ كبير القضاة : أهو هذا الذى كان موضع الاتهام فى حادثة السرقة

---

(١) فى الأمثال الإنجليزية أن من يذهب إلى وستمنستر للزواج أو إلى سميث فيلد لشراء حصان أو إلى سان بول لشراء عبد فقد يجد العاهر والوغد والحصان الهزيل .

الخادم : هو نفسه يا سيدى اللورد ، ولكنه منذ ذلك الوقت قام بأعمال عظيمة فى شروزبرى وهو مكلف فيما سمعت
٧٢ الآن بمهمة لدى اللورد جون لانكستر

كبير القضاة : أهو ذاهب إلى يورك ؟ استدعه للقائى .

الخادم : يا سير جون فلستاف .

٧٦ فولستاف : قل له يا غلام إنى أصم لا أسمع .

الغلام : ارفع صوتك ليسمعك سيدى فهو أصم .

كبير القضاة : أنا واثق من أنه يصم أذنيه عن كل ما هو خير . اذهب وامسكه من ذراعه وأت به فأنا أريد أن أتحدث إليه .

(يجرى ويمسك بكمه)

٨٢ الخادم : يا سير جون .

فولستاف : ما هذا ! وغد حدث ومتسول أيضاً ؟ أليس فى الدنيا حروب ؟ أليس فى الدنيا عمل ، أليس الملك فى حاجة إلى رعايا ؟ وأليس الثوار فى حاجة إلى جنود ؟ وإذا كان من العار أن تنحاز إلى أى فريق إلا فريق معين فلأهون أن تنحاز إلى الفريق الأسوأ من أن تتسول ، حتى ولو أطلق على الجانب الأسوأ اسم أشد سوءاً من لفظة « ثورة » .

٩٠ الخادم : لقد أخطأت قصدى يا سيدى .

فولستاف : يا سيدى كيف أخطئ قصدك ؟ هل قلت إنك رجل
شريف . وإنى لأنزل عن فروسيتى وجنديتى وأقول لك
٩٤ إنى كاذب ، لو أنى قلت لك ذلك .

الخادم : أرجوك يا سيدى أن تنزل عن فروسيتك وأن تأذن لى
أن أقول لك إنك كاذب لو أنك قلت لى شيئاً آخر
٩٨ غير أنى رجل شريف .

فولستاف : وكيف آذن لك أن تقول لى هذا ! وكيف أتخلى
عما هو متعلق بى ! إن أنا أذنت لك بهذا فلأشنق ،
وإن أنت أذنت لنفسك فأجدى بك أن تشنق .
١٠٢ أنت كلب صيد ضل أثر صيده . امش !

(يقترب كبير القضاة)

الخادم : (ينحى) سيدى إن مولاى اللورد يبغى أن يتحدث
إليك .

فولستاف : سيدى اللورد الطيب ، أطاب الله يومك ، اشد ما أنا
مسرور بلقائك خارج بيتك ، فقد علمت أن سيادتك
مريض ، وأرجو أن تكون قد خرجت من البيت بنصيحة
أطبائك . فسيادتك رغم أنك لم تتجاوز سن الشباب
عليك مسحة من الشيخوخة وبك أثر من فعل الأيام .

١١٥ فأتوسل إليك بكل خضوع يا مولاى أن ترعى صحتك ؛

كبير القضاة : لقد بعثت فى طلبك يا سير جون قبل سفرك إلى شروزبرى .

فولستاف : إن أذنت يا مولاى لقد بلغنى أن الملك عاد من حملته

١٢٠ فى ويلز يشكو بعض العلة والإرهاق .

كبير القضاة : لست أتكلم على جلالة الملك ، ولكنى أقول إنك امتنعت عن المثول أمامى حين دعوتك للحضور .

فولستاف : وبلغنى أكثر من ذلك أن جلالته أصيب بهذا الصرع

١٢٤ الملعون .

كبير القضاة : شفاه الله ، وأرجو أن تدعنى أتحدث إليك .

فولستاف : هذا الصرع كما أعلم هو نوع من الخمول ، نوع من الخدر يصيب الدم ، هو وخز لعين .

١٣١ كبير القضاة : لم تصف لى أعراض هذا المرض ؟ ليكن ما يكون .

فولستاف : إن مبعثه هو الحزن واشتغال البال وكد الذهن . ولقد اطلعت على سببه وأعراضه فى كتاب جالينوس ، إنه نوع من الخدر .

كبير القضاة : يخيل إلى أنك مصاب بهذا المرض ، فإنك لا تسمع

١٣٧ ما أقول لك .

فولستاف : فليكن ما ترى يا سيدى اللورد ، إن أذنت لى فإن

الذى أشكو منه هو مرض ثقل السمع وضعف الإصغاء

كبير القضاة : إذا عاقبتك بالسجن ووضع الأغلال فى قدميك فإنى سأشفيك من هذا الصمم المتعمد . ولست أبالى أن أكون طبيبك المداوى .

فولستاف : إنى فقير يا سيدى اللورد. فقر أيوب . ولكنى لست أكثر منه صبراً ، وفى طوقك يا سيدى أن تجرعنى وصفتك وتحبسنى لفقرى ، ولكن المسألة التى يشك فيها العقلاء بعض الشك أو الشك كله هى مقدار صبرى على احتمال علاجك .

كبير القضاة : لقد بعثت أستدعيك حين كانت هناك أمور خطيرة تنسب إليك قد تقتضيك حياتك لأستجوبك فى شأنها ، ولكنك امتنعت عن الحضور .

فولستاف : لقد امتنعت عن الحضور عملا بمشورة محامىّ العالم بالقوانين السائدة فى هذه البلاد .

كبير القضاة : الحق يا سير جون إنك تعيش مجللا بخزى كبير .

فولستاف : من له مثل سعة خصرى لا يستطيع أن يجلل بخزى أقل حجماً من هذا .

كبير القضاة : إن دخلك ضيق ، ولكن إسرافك عريض .

فولستاف : وددت لو كان الأمر على العكس من ذلك يا سيدى .

فكنت ضيق الحصر عريض الدخل .

كبير القضاة : لقد أضللت الأمير الشاب .

فولستاف : بل لقد أضلني الأمير . فما أنا إلا السائل البدين الأعمى

١٦٨ وهو الكلب الذى يقودنى .

كبير القضاة : إنى لأكره أن أنكأ جرحاً قد التأم ، وأن أعاقبك على جرم غفره لك حسن بلائك الأخير فى الحرب فى شروزبرى ، فقد أربت حسناتك فيها على سيئاتك فى جادزهل . ولك أن تحمد هذه الحرب الضروس ، فلولاها ما أفلت من معقبات عملك السيئ بمثل هذه

١٧٣ السهولة .

فولستاف : سيلى اللورد !

كبير القضاة : وما دام الأمر قد انتهى بخير فدع الأمور تجرى فى

١٧٦ أعنتها ، ولا توقظ الفتنة النائمة وتحرك الذئب الهاجع .

فولستاف : إن إيقاظ الذئب الهاجع خطر كتتبع الثعلب الماكر .

١٨٠ كبير القضاة : وى . . إنك شمعة خير نصفيها قد احترق .

فولستاف : بل شمعة ضخمة توقد فى الحفلات والمواسم يا سيلى اللورد . كلها من الشحم المذاب السريع الاحتراق ، وإذا قلت إنها من الشمع فإن ضخامة جسمى خير برهان على ما أقول .

كبير القضاة : إن ذقنك ليس فيه شعرة واحدة بيضاء ولو أن شعرة بيضاء واحدة نبتت لعلمتك كيف تتصرف برزانة
١٨٥ تناسب تقدم سنك .

فولستاف . إن كل شعرة فى تحمل نصيبها من العرق والكد . أجل العرق والكد .

كبير القضاة : إنك تتبع الأمير الشاب فى كل خطواته صاعداً وهابطاً
١٨٨ وتصاحبه كالشيطان تملك عليه نفسه .

فولستاف : لست شيطاناً يا سيدى اللورد . فالشيطان كما تعرف ويعرف الناس عملة زائفة لا تفى بوزنها الحقيقى ، بل هى أخف قيمة . على حين أن الذى يرانى على ثقلى هذا لا يملك إلا أن يقبلنى على علاتى ، ذهباً خالصاً لا غش فيه ولا نقص فى قيمته ، دون أن يلجأ إلى الميزان . ولكنى أسلم مع ذلك أنى فى بعض الأحيان لست سريع الصرف والتداول ، فأنا بطىء المشى ولست أدرى ماذا أقول ، فلست ممن يستخدم فى الحساب ، والرجولة الحقة ليس لها حساب فى هذه الأزمان التى يقاس فيها كل شىء بما يجلبه من مال فى الاتجار الرخيص ، حتى إن الرجال ذوى الشجاعة الحقيقية قلما يجدون عملا يليق بهم خيراً من قيادة الدببة فى المعارض ، والرجال ذوى البديهة

الحاضرة والنكتة المسعفة لا يجدون عملا إلا سقاة فى الحانات ، ويصرفون ذكاءهم ويضيعونه فى جمع الحساب للزبائن، وأصحاب المواهب الإنسانية الأخرى ، خضوعاً منهم للزمان الغادر الذى لا يقدر كفايتهم فيغبطهم عليها ، لا يكادون يساوون حبة من خردل . وأنتم الكبار المتقدمون فى السن لا تكادون تعترفون بكفايتنا نحن الشباب ، إنكم تقيسون حرارة عواطفنا نحن الذين لانزال فى مقتبل العمر وميعة الصبا بمقياسكم العتيق الذى أحال كل شىء فى أنظاركم ، أنتم الكبار الذين جفت مرائركم ، إلى شىء مرير . إنى لأعترف صادقاً أننا نحن الطليعة من الشباب لانزل فتية لما

٢٠٣ تغادرنا الشقوة .

كبير القضاة : أما زلت تعد نفسك أنت الذى وخطك العمر وكتب اسمك فى سبت المسنين بأبرز الحروف التى يعملها الزمن فى أمثالك ؟ أما زلت تعد نفسك شاباً ؟ ألست تحس رطوبة العين ، ووهن اليد وصفرة الخد ، وبياض اللحية ، وانضمار الساق ، وانتفاخ البطن ؟ ألم يتكسر صوتك ، وتضيق نفسك ، ويترهل وجهك ؟ ويخبو ذكاؤك ؟ ألم يعد الزمن على كل أعضائك وحواسك ؟

ومع ذلك لا زلت مصراً على أن تسمى نفسك شاباً .

٢١٢ تبًّا لك يا سير جون . تبًّا . . تبًّا !

فولستاف : سيدى اللورد . لقد ولدت حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر برأس أبيض وبطن منتفخ بعض الشيء . لقد استقبلت الدنيا منذ مولدى كهل المنظر ، أما عن صوتى فقد كسرته صيحات الحروب والصيد وأناشيد الكنيسة المقدسة ، ولن أحاول بعد هذا مزيدا من الدليل على فتوتى وشبابى . وفى الحق أنى لست شيخاً إلا فى حكمتى وإدراكى . وإذا عن لإنسان أن يتحدانى ويباريني فى القفز والرقص على ألف مارك فليقرضنى قيمة الرهان ، وأنا على أتم استعداد أن أقبل تحديه وأن أدخل معه فى المباراة . أما عن اللكمة التى كالها الأمير لك فى أذنك فقد صدرت عنه بوصفه غراً أهوج ، وتقبلتها أنت بوصفك سيداً عاقلا رزيناً . وقد عنفته على صنيعه هذا ، وندم الأسد الشاب على فعلته وكفر عن خطيئته (مخاطبا نفسه) لا بالتمرغ فى التراب ولبس المخرق من الثياب . بل وحق العذراء كفر عنها بلبس الجديد من الحرير وشرب النبيذ الجاف .

٢٢٦

كبير القضاة : حسناً .. أسأل الله أن يرزق الأمير الشاب رفيقاً خيراً منك .

فولستاف : بل اسأل الله أن يرزق الرفيق أميراً خيراً منه .
٢٢٠ فأنا لا أستطيع أن أخلص يدى منه .

كبير القضاة : لقد تكفل الملك بالأمر فقطع ما بينك وبين الأمير هاري ، فقد علمت أنك ذاهب فى صحبة اللورد جون
٢٣٤ لا نكستر لملاقاة الأسقف هو ولورد نورثمبرلند .

فولستاف : أجل ، والفضل فى هذا لحيلتك يا سيدى . (رافعا صوته) ولكن أرجو يا سيدى ألا يفوتكم الدعاء لنا . أنتم يا من تقيمون آمنين فى أحضان الوطن تتمتعون بنعمة السلامة والأمن ، بألا تلتحم قواتنا بقوات العدو فى يوم حار ، فأنا وحق السيد المسيح لم أحمل معى إلا قميصين اثنين على أمل ألاّ أتعرض لعرق فياض . أما إذا كان لقاؤنا فى يوم حار واضطررت أن ألوح بشىء غير زجاجتى هذه ، فلا شربت بعدها أبداً ، حتّى لا أبصق بصاقاً أبيض من شدة السكر . ومهما يكن من شىء فإنه ما من خطر يطل برأسه ويتهدد البلاد حتّى أرمى به ويرمى بى لأعالجه ، ولكنى لن أدوم لهم أبد الدهر ، وهذا ليس عجيباً ، فهو شأن شعبنا الإنجليزى منذ خلق حتّى اليوم . لا يكاد يعرف عاملا مجداً حتّى يدفع به دائماً فى كل عمل ويدس به فى كل أمر ،

حتى تصبح بطولته أمراً عادياً . وإذا كان حقاً ما تقول
من أنى رجل مسن فمن واجبك أن تعمل على إراحتى ،
وما أكثر ما تمنيت على الله ألا يكون اسمى مرعباً للعدو
كما هو الآن ، إذن لكان خيراً لى أن أموت قاعداً من
البلى فى عقر دارى من أن تستنفذ قواى وأمزق إرباً
٢٥١ بهذه الحركة الدائبة التى لا تهدأ .

كبير القضاة : تحشم يا رجل . . وأحسن السلوك وليبارك الله لك فى مهمتك .

فولستاف : هل لسيادتك فى أن تقرضنى ألف جنيه لأستعين بها
٢٥٥ على تجهيز نفسى .

كبير القضاة : ولا مليما واحداً . ولا مليما واحداً . فثلك لا يحتمل
٢٥٨ الضرب وداعاً وأبلغ تحياتى إلى ابن عمى وستمورلند .

(يخرج كبير القضاة ومعه خادمه)

فولستاف : اقذف بى فى البحر بعتلة ذات ثلاث شعب إن أنا فعلت
ما قلت لى . إن الإنسان لا يستطيع بحال ما أن يفرق
ما بين الجشع وكبر السن ، إلا بقدر ما يفرق بين
الشباب والغواية ، ولكن النقرس يزيد مرارة المسنين
على حين يعذب الزهرى الشباب ويفريهم فرياً .
وهكذا لكل دور من أدوار الحياة لعناته التى تسبق
٢٦٤ لعناتى . يا غلام !

(١) يستعمل كلمة الضرب بمعنيين . ضرب النقود وضرب العقاب .

الغلام : سيدى

فولستاف : كم معى من النقود ؟

٢٦٧ الغلام : شلنان ونصف يا سيدى .

فولستاف : لست أعرف دواء لهذا الداء الذى يستهلك مالى ، فالاقتراض لا يشفى . . ولكنه يمد أجل العلة . . أما الداء نفسه فقد عز على العلاج . . اذهب يا غلام واحمل هذا الخطاب إلى سيدى لورد لانكستر ، وهذا إلى إيرل وستمورلند ، وذلك إلى محظيتى العجوز أرسولا ، التى ما فتئت أقسم لها كل أسبوع أنى سأتزوجها منذ نبتت أول شعرة بيضاء فى لحيتى . . هيا عجل عجل ونفذ ما أمرتك به . ثم عد إلى وأنت تعرف أين تجدنى .

(يخرج الغلام)

أواه لست أدرى ما ألم بإخمصى ! أهو النقرس أم هو الزهرى أهو داء المسنين أم داء الشباب ، إن أحدهما يفرى إخمصى ويؤلمه على أى حال . وإذا عرجت فما فى هذا من بأس فإن رداء الحروب عذر أتحمله لأخفى به دائى ، وسيضمن لى هذا مكافأتى عن بلائى . إن سعة الحيلة وحضور البديهة يستغلان كل شىء ، وسأحول العلة والعجز إلى راحة وكسب .

(يخرج وهو يعرج)

المنظر الثالث

قصر كبير أساقفة يورك

(يدخل كبير أساقفة يورك وهاستنجز وموبراى ولورد باردولف)

كبير الأساقفة : وهكذا استمعتم إلى قضيا وأحطتم علماً بمدى قوتنا ،
فناشدتكم الله جميعاً أيها الأصدقاء النبلاء
ألا ما كشفتم فى صراحة عن رأيكم فى موقفنا وآمالنا
فى النجاح ،
ولنبدأ بك يا سيدى القائد العام فما رأيك فى استعداداتنا
وقواتنا . .

موبراى : إنى أقر عن طيب خاطر بما حملنا السلاح من أجله ،
ولكنى أكون أسعد
لو عرفت مدى ما لدينا من وسائل
لتحسين مركزنا وتدعيمه
لمواجهة قوات الملك وسلطانه .

هيستنجز : إن مجموع القوات التى جندناها والتى نستطيع حشدها
فى الميدان
تبلغ خمسة وعشرين ألفاً من صفوة الجنود الممتازين ،

ونحن نعتمد فى تعزيز قواتنا على أمل راسخ
فى عون يأتينا من إيرل نورثمبرلند الذى يطوى حناياه
على ضغينة للملك تتقد بها جوانبه ،
وتسعرها ألوان الأذى التى حاقت به .

لوردباردولف : المسألة إذن ، يا لورد هيستنجز ، وضعها الآن هكذا :
أهل فى قدرة قواتنا الحالية وهى الخمسة والعشرون ألفاً
أن تصمد لقوات الملك دون عون من نورثمبرلند .

هيستنجز : بل قد تستطيع الصمود ، إن أعانها .

باردولف : هذه هى المسألة بحق العذراء . .
فإذا كنا نرى فى أنفسنا دون عونه ضعفاً ،
فرأيى أن الأولى بنا آلا نخطو خطوة لا نستطيع تلافيها ،
حتى نضمن أن مساعدته قد دنت منا .
أما التوهم والرجم بالغيب ، والتوقع وافتراض العون غير الأكيد ،
فأشياء لا يصح التعويل عليها فى تدبير شئون خطيرة
تسفك فيها الدماء كتلك التى نحن بسبيلها .

كبير الأساقفة : هذا صحيح جداً يا لورد باردولف .
وهذا هو الذى أودى بهوتسبر الشاب فى شروزبرى .

باردولف . هذا هو عين ما حدث يا سيدى اللورد فقد طعم بالأمل.

وأكل الهواء على أمل أن يأتيه العون
وأغرى نفسه بحساب إمدادات
جاءت أقل من أقل ما قدر فى فكره .
وبهذا الخيال الجامح
الخيال الذى هو أليق بالمجانين . اندفع بقواته إلى الموت
مغمضاً العين عن واقع الأمر ، فكان الهلاك مصيره .

هستنجز : ولكن ، إن أذنت لى ، ما من ضير أبداً فى أن يحسب الإنسان
حساب الاحتمالات وأن يشكل الآمال .

باردولف : نعم ما من ضير إذا كانت نتيجة الحرب الحاضرة
متوقفة على المعركة الآتية .
ولكن فى هذا كل الضير إذا كانت المعركة الدائره
كتلك التى نواجهها . .
فالاعتماد على النجاح فيها على الأمل
هو كالاعتماد على الثمر من براعم باكرة تظهر فى الربيع
قبل إبانها .
ذلك أن الاحتمال فى أن يقتلها الصقيع فى أكمامها قبل
أن تزهر
أكثر من احتمال نضجها وإثمارها .

إننا إذا أردنا البناء وجب علينا أن نقيس أبعاد الأرض
ثم نضع أنموذجاً للبيت .
فإذا عرفنا حجمه
قدرنا تكاليف البناء .
فإذا تبين لنا أنها تفوق قدرتنا
فأى شىء نعمل اللهم إلا أن نضع أنموذجاً جديداً
ننقص منه بعض المرافق لتتفق التكاليف مع قدرتنا .
أو على أسوأ الفروض أن يعدل عن البناء كلية .
والأمر العظيم الذى نحن مقبلون عليه أشد وأدهى
من مجرد بناء .
إنه لأمر عظيم نتيجته فى الأغلب هدم عرش من أساسه
وإقامة آخر مكانه .
ومن ثم فهو يستدعينا أن نفحص عن الموقف والخطة ،
وأن نتفق فيما بيننا على أساس متين ،
وأن نستجوب المختصين . وأن نعرف مقدار مواردنا ،
وكيف تستطيع خطتنا
أن تواجه خطة خصومنا
وإلا كنا كمن يتحصن بالورق ويتستر بالأرقام
ويعتمد على أسماء الرجال بدلا من الاعتماد على الرجال

إن مثل هذا كمثل الذى يضع نموذجاً لبيت
ليس فى طاقته احتمال تكاليفه فلا يقدر على تكملته
فيقف العمل فيه ولما يتم إلا نصفه . ويترك هذا
النصف الذى أنشأه
معرضاً للسحب الباكية
ولأن تخربه أنواء الشتاء القاسية .
هيستنجز :حتى ولو سلمنا بأن أمالنا
على ما كانت تحمل من علامات احتمال النجاح
قد ولدت ميتة ،
وأن ما لدينا الآن هو كل ما نرجو من النجدات ،
فإنى أرى أن ما نحن عليه من عدد وقوة — جيش قوى
متين
يكفل لنا أن نواجه الملك فى قوة توازن قواته .
باردولف : أقوات الملك لا تتجاوز خمسة وعشرين ألفاً عدا ؟
هيستنجز : إن القوات التى سنواجهها لا تزيد على ذلك . بل لعلها
لا تبلغ ذلك يا لورد باردولف . وهذا ما يعنينا ،
ففرقه الثلاثة
موزعة على ثلاثة جيوش .
فقد وجه جيشاً لقتال الفرنسيين
وآخر لمواجهة جلندور . والجيش الثالث لا مناص

من أن يواجهنا .
وهكذا ترى هذا الملك المزعزع وقد تفرقت قواه أثلاثاً ،
وأخوت خزائنه حتى باتت تصفر فيها الريح من الفقر
والخلاء .

كبير الأساقفة : ومن ثم فلا خوف إطلاقاً
من أن يجمع قواه جميعاً
ويواجهنا فى كامل عدته وعدده .

هيستنجز : لو أنه فعل ذلك لترك ظهره مكشوفاً ولتبعه الفرنسيون
والغاليون .
على أعقابه ينهشون أطرافه . . لا ، لا تخشوا هذا البتة .

باردولف : ومن الذى يحتمل أن يقود حملته علينا .

هيستنجز : دوق لانكستر ووستمورلند سيقودان الجيش ضدنا ،
وسيقود هو الحملة بنفسه ضد الغاليين ومعه هارى مونموث ،
أما من ينوب عنه فى الحملة على الفرنسيين
فلست اعلمه على اليقين .

كبير الأساقفة . هيا بنا إلى العمل .
ولنبدأ بإذاعة أنباء أسباب امتشاقنا لحسام وانتقاضنا
على الملك .
فقد مات الجماعة هذا الذى اختارته ملكاً عليها .

وطفح كيل المحبة حتى انقلب إلى ضده ،
وبدأ الشعب يمج هذا الذى أغرم بحبه يوماً ما ،
فلا قرار ولا غناء لمن يحاول أن يبنى عرشه على قاوب العامة المتأرجحة التى لا تثبت على شىء .
إيه لك أيتها العامة الحمقاء
ألم تشق عنان السماء بهتافاتك العالية بحياة بولنجروك والدعاء له
قبل أن يصبح ما أردته أن يكونه .
فلما ازدان بما كنت تطلبيه له
ملأت نفسك منه أيها الأكول النهم
حتى عفته وبدأت من نفسك تدافعيه لتلفظيه وتحاولى التخلص منه بكل سبيل
. . واهاً لكم أيها السوقة . . ما أشبهكم بالكلاب الضالة !
ألم تلفظوا من بطونكم الشرهة وتلقوا فى عرض الطريق ملككم رتشارد
وها أنتم الآن تعودون إلى قيئكم لتزدردوا ما لفظتم ،
ولتعظموا هذا الذى سبق أن تخليتم عنه . وأنتم تتصايحون شغفاً به وبحثاً عنه . فأى أمان لمثل هذا الزمان ؟

إن الذين تمنوا موت رتشارد حين كان حياً يرزق ،
أصبحوا اليوم يتمسحون فى قبره موطين به ،
وأنتم أيها السوقة الذين قذفتم بالرماد فى وجهه وهلتم التراب على رأسه المقدس —
يوم عاد إلى لندن فى أعقاب بولنجبروك الذى استثار إعجابكم
وسار هو فى شوارعها فى حال من البؤس والألم ،
وهى تحتفى مزهوة بمصرعه ،
أنتم أيها السوقة أنفسكم تصيحون الآن أيها الأرض انشقى وأخرجى لنا ذلك الملك، وخذى هذا !
ألا لعنة الله على تقلب أفكار الناس !
إنهم ليخيل إليهم أن الماضى والمستقبل كلهما خير ليس بعده خير ،أما الحاضر فشر ما بعده شر.

موبرى : ألا نذهب الآن فنجمع قواتنا ونبدأ العمل ؟

هستنجز : إننا رهن بمشيئة الظروف . وقد اقتضتنا الظروف أن نسير قدماً ولا بد لنا أن نطيعها فيما أمرت .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

ايست تشيب . بالقرب من حانة رأس الحلوف

(تدخل صاحبة الحانة ومعها المحامى فانج وهو رجل ضخم خبيث)

صاحبة الحانة : هل سجلت يا سيد فانج قضيتى ؟

فانج : لقد سجلتها .

صاحبة الحانة : وأين الشرطى ؟ هل هو شرطى قوى مقدام ؟ وهل سينفذ أمر القبض بشجاعة .

فانج : (ينادى بأعلى صوته) يا غلام أين سنير ؟

صاحبة الحانة : رباه ! السيد سنير الطيب .

(الشرطى سنير ، وهو شرطى أعجف ، يدخل جارا قدميه جرا)

سنير : ها أنذا . . ها أنذا

فانج : يجب أن تقبض على سير جون فولستاف يا سنير .

صاحبة الحانة : أجل يا سيدى الطيب سنير . يجب أن تقبض عليه . قد اتخذت كل الإجراءات.

سنير : قد يكلف هذا بعضنا حياته . فربما طعننا بخنجره .

صاحبة الحانة : واخيبتاه لهذا اليوم المنكود . . خذوا حذركم منه ، فقد طعنني ذات مرة في بيتي . . فعل ذلك بوحشية وأيم الحق . غير آبه لما يحدث من أضرار ما دام سيفه مشرعاً . إنه يطبق بسيفه على فريسته لا يبالي رجلا

٢٠ كان أو امرأة أو طفلا .

فانج : إذا استطعت أن ألتحم به ، فلن أبالي بطعناته .

٢٤ صاحبة الحانة : لا . ولا أنا ستجدني إلى جانبك .

فانج : آه لو استطعت أن أمسك به مرة واحدة . . وآه لو دنا من قبضتي وأصبح في متناول يدي

صاحبة الحانة . إن ذهابه إلى الحرب سيخرب بيتي ، وأؤكد لكم أنه مدين لي ديناً لا حد له ، فاقبض عليه جيداً أيها السيد الطيب فانج . وأحكم وثاقه . ولا تدعه يفلت يا سيد سنير . إنه سيحضر على الفور إلى باي كورنر — وأستمحيكم المعذرة — ليشتري سرجاً لحصانه وهو مدعو لتناول العشاء في حانة «رأس اللبؤة» ؟ في شارع لمبيرت عند السيد اسموث تاجر الحرير . أتوسل إليكم أيها السادة ما دام الإعلان قد تم ، وما دامت قضيتي قد ذاع نبأها في الدنيا كلها ، أن ترغموه على الحضور أمام القاضي ليجيب عن

دعواى ، فإن مائة مارك مبلغ ضخم لا تستطيع امرأة وحيدة مقطوعة مثلى أن تحتمل خسارته . . لقد احتملت واحتملت فوق طاقتى ، وماطلنى المرة بعد المرة ، ما طلنى واستأجلنى من يوم ليوم ، حتى بات مجرد التفكير فيما حدث عاراً وخزياً . إن مثل هذه المعاملة لا شرف فيها ولا أمانة ، إلا إذا أريد أن تكون المرأة مطية ذلولا تحمل الإساءة من وغد خئون .

(يدخل سير جون فلستاف و باردولف والغلام مقبلين من الشارع)

انظروا ها هو ذا قادم من بعيد ومعه الوغد باردولف ذو الأنف الأحمر ، هيا أديا واجبكما ، أديا واجبكما هيا يا فانج وأنت يا سنير هيا أديا واجبكما واقبضا

٤٧ عليه من أجلى .

فولستاف : هيه يا رجال . . فيم هذه الضجة التى لا طائل وراءها وما شأنكما ؟

٥١ فانج : سير جون إنى أقبض عليك بناء على طلب السيدة .

فولستاف : إليكم عنى أيها الأوغاد تنحوا ، جرد سيفك يا باردولف واقطع رقبة هذا الوغد بأمر منى ، وألق بهذه المرأة

٥٤ الدنسة فى قناة صرف الماء .

(باردولف يجرد سيفه و يبدأ القتال على الأثر)

صاحبة الحانة : أيلقيني في القناة ، لألقينك أنت فيها ، أتجرؤ على أن تفعل هذا ، اتجرؤ أيها الشقى الخبيث ؟ ويلك . هذه جريمة قتل نفس أيها الوغد القاتل ، أتجرؤ على قتل رجال الله ورجال الملك . . ويلك أيها الشقى القاتل السفاك . . ما أنت إلا قاتل سفاك دماء رجال ونساء .

فولستاف : نحهم عنى يا باردولف .

فانج : النجدة النجدة

(يتجمع بعض المارة)

صاحبة الحانة : أيها الرجال الطيبون . . أحضروا نجدة أو نجدتين (الغلام يهاجمها) إنك لن تجرؤ . . إنك لن تجرؤ.. أفى إمكانك أن تجرؤ على قتلهم ؟ أفى إمكانك هذا ؟ قل أيها الشقى تكلم يا سفاك الدماء (تضربه وتهرب)

(فانج يقبض على فلستاف)

فولستاف : (متعقبا) اغرب أيها الخادم الحقير ، تنح أيها الوغد المنتصب ، إليك عنى يا حامل العصا ، لتكونن آخرتكم على يدى .

(يدخل كبير القضاة ورجاله)

كبير القضاة : ماذا حدث . . الزموا الهدوء . . يا هؤلاء جميعاً .

صاحبة الحانة : سيدى الطبيب ، أتوسل إليك أن تحنو على وأن تقف
٧٢ فى صفى .

كبير القضاة : إيه يا سير جون . . ماذا تفعل ؟ أتتشاجر هنا وتضج وتصخب
أيليق هذا بمكانتك وبوقتك هذا أو عملك ؟
لقد كان حرياً بك أن تكون على الطريق تحث الخطى إلى يورك ؟
٧٦ . . ابتعد عنه يا رجل . لم تتعلق به هكذا ؟

صاحبة الحانة : أواه يا سيدى العظيم الموقر . . إن أذنت لى بالحديث
فأنا أرملة فقيرة من ايست تشيب ، وهذا الرجل مقبوض
عليه بناء على شكواى لأتقاضاة حقى .

كبير القضاة : وكم يبلغ حقك هذا ؟

صاحبة الحانة : إنه أكثر من بعض مالى . . إنه مالى كله يا سيدى ،
فقد أخذ كل ما جمعت وأتى على الأخضر واليابس
فى بيتى ، والتهم كل مؤنتى فى بطنه البدين هذا ،
ولابد لى أن أسترد بعضها وإلا أخذت أنفاسه وركبت
رقبته كما يركب الكابوس الثقيل .

فولستاف : فى زعمى أننى أدنى إلى أن أركب المشنقة إذا وجدت
٨٨ مرتفعاً من الأرض أصعد به عليها .

كبير القضاة : كيف حدث هذا يا سير جون ؟ تبًّا لك ، أو يليق بالرجل ذى الميول الطيبة أن يجلب على نفسه هذه العاصفة من السخط ؟ ألا تشعر بالخزى يا رجل حين تضطر أرملة فقيرة أن تركب هذا المركب الصعب لكى تتقاضى حقًّا لها عليك ؟ ٩٢

فولستاف : ما هى جملة المبلغ الذى أنا مدين لك به ؟

صاحبة الحانة : لو أنك كنت رجلا شريفاً فبحق العذراء أنت مدين لى بنفسك وبالمال أيضاً : ألم تقسم لى وأنت جالس إلى المائدة المستديرة فى حجرة الدرفيل فى فندقى وأنت تصطلى نار الفحم الذى تجلبه السفن ، على الكأس المذهبة يوم الأربعاء من أسبوع الأحد الأغر حين شج الأمير رأسك لتشبيهك إياه بأحد المغنين فى وندسور ، ألم تقسم لى وأنا أغسل جرحك أنك ستتزوجنى وتجعل منى السيدة زوجتك . هل تستطيع أن تنكر هذا ؟ ألم تحضر أثناء هذا الحديث المرأة الطيبة زوج الجزار لتستعير منى صبابة من خل وهى الثرثارة وروت لنا أن لديها طبقاً شهياً من الجمبرى فسال لعابك وأبديت رغبتك فى أن تأكل بعضاً منه ،

فقلت لك عندئذ أنه لا يناسب الجروح الحديثة
التى لم تندمل بعد ؟ وألم تقل لى عندما هبطت السلم
إنك لا تود أن أرفع الكلفة بينى وبين هؤلاء النسوة
الفقيرات لأنهن سيدعوننى بعد فترة قصيرة بسيدتى ؟
وألم تقبلنى على أثر ذلك وتطلب إلى أن أقرضك
ثلاثين شلناً ؟ إنى أدعوك الآن أن تجيب عن كل هذا
وأن تقسم على الكتاب المقدس أن تقول الحق ؟
١١٦ أنكر هذا يا رجل إن استطعت إلى الإنكار سبيلا .

فولستاف : يا سيدى ، هذه امرأة مسكينة ناقصة العقل ،
إنها تهذى فى كل مكان تذهب إليه وتقول على رءوس
الأشهاد إن ابنها الأكبر يشبهك تمام الشبه وتدعى أنك
أبوه . فقد كانت هذه المرأة فى سعة من الرزق ،
ولكنها فقدت مالها . والحق يقال أن الفقر قد ذهب
بعقلها . أما هؤلاء البلهاء من رجال الضبط فإنى أرجو
١٢٢ أن تنيلنى حقى منهم .

كبير القضاة : يا سير جون . . يا سيد جون إنى خبير بأساليبك التى
تقلب بها الحق باطلا ، أؤكد لك أن لا هذا التظاهر
بالعزة والكرامة ولا هذا السيل من الكلمات التى تتدفق
من لسانك فى صلف واعتداد يفوق كل وصف ،

يمكن أن يحول بينى وبين أن أقر العدل فى هذه المسألة . فأنا أرى أنك قد احتلت على هذه المرأة السهلة القياد وسخرتها لخدمة أغراضك بنفسها ومالها .

١٣٢ صاحبة الحانة: هذا صحيح وأيم الحق يا سيدى .

كبير القضاة : أرجو أن تلزمى الصمت . اسمع يا سير جون ، أد لهذه المرأة دينها الذى اقترضته منها وعوضها عما ألحقته بها من أضرار أد الدين نقدا صحيحاً واستغفر عن الاضرار بتوبة نصوح .

فولستاف : سيدى اللورد ، إنى لن أحتمل هذا التعنيف صامتاً . بل لابد لى من رد ، إنك تسمى يا سيدى الاعتزاز الشريف بالنفس صلفاً ووقاحة . فإذا ما استكان الإنسان ولزم الصمت قيل عنه أنه رجل عفيف صادق . لا يا سيدى ، ما هكذا يكون القول . . إنى مع الخضوع والاحترام اللائقين بشخصك أقول إنى لا أطلب مجاملة أو محاباة . وإنما أطلب تخليصى من قبضة هؤلاء الحراس لأنى أقوم بمهمة عاجلة فى

١٤٤ خدمة الملك .

كبير القضاة : إنك تتكلم كأنما المهمة التى كلفك الملك إياها تبيح لك أن ترتكب الأخطاء . تصرف فى الموقف يا رجل

بما تمليه عليك سمعتك ومكانتك وأوف هذه المرأة
المسكينة حقوقها .

فولستاف : تعالى إلى يا صاحبة الحانة . .

(ينتحى بها ناحية)

(يدخل السيد جور ومعه رسالة)

كبير القضاة : والآن أيها السيد جور . . ما الأنباء ؟

جور : إن الملك يا سيدى والأمير هنرى أمير ويلز على الأبواب
أما بقية الأنباء فهذه الرسائل كفيلة بإيضاحها .

(يقرأ كبير القضاء الرسالة وهو ممتعض فى أثناء قراءتها)

فولستاف : (جانبا إلى صاحبة الحانة) أعدك بشرفى وأنا السيد الشريف

صاحبة الحانة : لعمرى لقد قلت لى هذا من قبل .

فولستاف : أعدك وأنا الرجل الشريف . لا تتحدثى فى هذا الأمر
بعد .

صاحبة الحانة : بحق هذه الأرض الشريفة التى أقف عليها أن كلامك
هذا سيضطرنى إلى أن أرتهن صحافى ومعلقاتى التى أزين
: بها حجرة مائدتى .

فولستاف : دعك من الصحاف . . والأكواب . الأكواب هى
الأوعية الوحيدة المفضلة للشراب ، أما المعلقات فصورة
قصة مضحكة أو صورة قصة طفل من الإنجيل ،

أو صورة مقلدة لمنظر ألمانى لصيد الغزال خير ألف مرة
من ستائر حجرة النوم أو معلقات الحوائط التى عشش
عليها الذباب . . اجعلى المبلغ عشرة جنيهات إن
استطعت . . هيا اهدئى فتالله لولا هذه الحدة التى
تنتابك أحياناً لما فضلتك إمرأة فى إنجلترا . اذهبى
واغسلى وجهك ، واسحبى شكواك ، اهدئى فما ينبغى
أن تعاملينى بهذه الغلظة ، ألا تعرفيننى ؟ وما من شك
١٦٨ : فى أنك قد دفعت إلى هذا العمل دفعاً .

صاحبة الحانة : أرجوك يا سير جون أن تكتفى بعشرين نبيلا[1] ، فوأيم
١٧٢ الحق إنى لأكره أن أرهن صحافى والله يتولانى بعد ذلك .

فولستاف : خل عنك يا سيدتى . . فسأدبر الحصول على المال من
جهلك أخرى ولكنك ستظلين طول عمرك حمقاء .

صاحبة الحانة : اسمع ستحصل على المبلغ ولو اضطررت إلى رهن
ردائى . . وآمل أن تأتى للعشاء وأن ترد لى جميع مالى
١٧٧ مرة واحدة .

فولستاف : إذا عشت . . (إلى باردولف) اذهب معها ،
صاحبها ، لازمها حتى تحصل على القرض .

---

(١) النبيل عملة إنجليزية تساوى ٨ بنس و ٦ شلن

صاحبة الحانة : ألا تلقى دول ترشيت على العشاء ؟

فولستاف : حسبنا كلاماً ، دعيها تحضر .

(تخرج صاحبة الحانة و باردولف ومن وراثهما رجال الضبط والغلام)

كبير القضاة : (إلى جور) لقد سمعت أنباء ليست طيبة .

فولستاف : وما هى الأنباء يا سيدى ؟

كبير القضاة : (إلى جور) وأين قضى الملك ليلة أمس ؟

جور : قضاها فى باسنج ستوك يا سيدى .

فولستاف : أرجو أن يكون كل شىء على ما يرام يا سيدى . . ترى ما الأنباء يا سيدى ؟

كبير القضاة : (إلى جور) وهل عادت كل قواته معه ؟

جور : لا بل ذهب ألف وخمسمائة راجل وخمسمائة فارس لمعاونة لورد لانكستر فى حملته على نورثمبرلند وكبير الأساقفة .

فولستاف : هل عاد الملك من ويلز يا سيدى النبيل ؟

كبير القضاة : (إلى جور) ستتلقى خطابات منى فوراً ، فتعال معى واصحبنى أيها السيد الطيب جور.

(يهمان بالذهاب)

فولستاف : سيدى !

كبير القضاة : (محتدا) ماذا تريد ؟

فولستاف : (إلى جوار) أيها السيد جور أتسمح لى أن أدعوك

لتناول العشاء معى ؟

جور : إن على أن أتبع سيدى الطيب هذا انتظاراً لأوامره ، شكراً لك يا سير جون الطيب .

كبير القضاة : يا سير جون إنك تطيل التسكع هنا أكثر مما ينبغى ، مع أن مهمتك تقتضيك أن تجند الجنود من كل البلاد التى تمر بها . وأنت فى طريقك للانضمام إلى الأمير جون .

فولستاف : (إلى جور) هل لك فى تناول العشاء معى أيها السيد جور ؟

كبير القضاة : عن أى سيد أحمق أخذت هذا الأدب يا سير جون

فولستاف : أيها السيد جور . . إذا كان سلوكى غير لائق فتالله إن من علمنى هذا الأدب لأحمق . (إلى كبير القضاة) يا سيدى هذا هو أسلوب المبارزة وأدبها الصحيح . دقة بدقة . . ثم يفترق الندان على وفاق .

كبير القضاة : فليخفف الله عنك ويرشدك . . فما أنت إلا أحمق كبير .

(يخرجون)

المنظر الثانى

لندن . حجرة فى بيت الأمير

(يدخل الأمير هنرى و بوان وقد وصلا أخيراً من و يلز)

الأمير : (وهو يلقى بنفسه على مقعد) أشهد الله أننى فى غاية الإعياء

بوان : أبلغ الأمر هذا الحد ؟ لقد كنت أحسب أن الإعياء لا يجرأ على أن يرقى لمن كان مثلك من ذوى المراكز السامية . ٤

الأمير : فى الحق قد أصابنى الاعياء ، وإن كان فى الاعتراف به ما يشين عظمتى و يخجلنى ، ألا يبدو مهيناً بى أن تشتهى نفسى زجاجة صغيرة من الجعة ؟

بوان : إن نزعات الأمير ينبغى أن لا تنزل به إلى اشتهاء مثل هذه الأشياء الدنية .

الأمير : إن شهيتى فيما يبدو ليست نبيلة كمحتدى . فى الحق أن نفسى لتشتهى الجعة الصغيرة ، وإنى والحق لأذكر الآن تلك الجعة وهى ذلك الشىء التافه ، ولست أشك فى أن هذه الأشياء الحقيرة لتبغضنى فى مكانتى السامية ، وما أشد ما يصيبنى من العار إذ تبذلت إلى

حد أن أذكر اسمك ، بل وإلى أن أتعرف على وجهك في الغد حين تلقاني وأن أعنى بعدد الجوارب الحريرية التي تملكها — أي هذا الزوج الذي تلبسه الآن والزوج الآخر الذي كان قرمزي اللون وذهب طول الاستعمال بلونه — وأن أعي في ذاكرتي مجموعة قمصانك التي لا تتجاوز واحداً للاستعمال وآخر يستبدل به بعد . ولكن هذا الأمر يعرفه خيراً مني حارس ملعب التنس ، فأنت لا تهجر أرض الملعب ولا تكف عن تسلية نفسك بالكرة والمضرب ما دام في جعبتك قميص تستطيع أن تظهر به هناك ، وهذا ما لم تفعله منذ زمن طويل لأنك اضطررت اضطراراً إلى أن تتخذ من قميصك الثاني ملابس لأطفالك غير الشرعيين . وهكذا أتت شهواتك الدنية على فضلة قميصك كما أتت الأراضي الواطئة على هولندا . والله وحده هو الذي يعلم هل هؤلاء الأطفال غير الشرعيين الذين أوهنوا قواك سيرثون ملكوت السموات . ومع ذلك فالقابلات يقلن دائماً إنه لا تثريب على هؤلاء الأطفال لأن بهم يكثر
٣١ النسل ولأنهم يزيدون الأعقاب قوة وعدداً .

بوان : يا لسوء العاقبة . ابعد كل الأمجاد التي أتيت بها تذهب

روعة ما صنعت بهذا القول الغث ؟ هلا قلت لى
أيها الفتى كم من الأمراء الأمجاد ذوى الفتوة يلغون
لغوك هذا ، بينما أباؤهم يئنون تحت عبء المرض
٣٦ كما يئن أبوك الآن ؟

الأمير : بوان . . أأفضى إليك بشيء واحد أطويه فى دخيلة نفسى .

بوان : نعم وأيم الحق . . على أن تقول شيئاً طيباً عظيماً .

الأمير : هو شيء يطيب سماعه لذوى الأفهام الذين لا يبذونك
٤١ نشأة ومحتداً .

بوان : هات ما عندك . . فأنا مهيأ لتلقى أية صدمة ولن يهزنى هذا الشيء الوحيد الذى ستلقى به إلى .

الأمير : لعمرى قد يكون من غير اللائق بى أن أكون حزين النفس الآن لأن أبى مريض ولكن رغم هذا دعنى أسر إليك بوصفك رجلا اتخذته صديقاً لأنى لا أجد
٤٨ خيراً منه . إنى محزون لمرضه محزون حقاً .

بوان : ما أثقله من عبء أن تحزن لمرض أبيك .

الأمير : تا لله إنك لتأخذنى كأنما وهبت نفسى للشيطان وسجلت اسمى فى كتابه كما فعلت أنت وفلستاف فأصبحتما بلا شعور ولا وجدان مغرقين فى النذالة إلى أقصى حد .

لتكن النهاية هى المحك الذى يكشف عن معدن الرجال. ومع ذلك فدعنى أفضى إليك أن قلبى يذوب حسرة ويتقطع لأن أبى مريض وأن مصاحبتى الأشرار من امثالك قد جعلتنى بالتطبع غليظ المظهر لا أكاد
٥٦ أظهر ما أخفى من حزن دفين .

بوان : وما سبب هذه الشكوى ؟

الأمير : ترى ماذا تظن بى لو أنى بكيت ؟

٦١ بوان : لا أظنك إلا أميراً مسرفاً فى النفاق .

الأمير : وهذا ما سيظنه كل إنسان، فما أنت إلا رجل محظوظ حين توافق خواطرك خواطر الناس جميعاً ، وما من إنسان أقدر على أن يحذو فى تفكيره حذو تفكير الناس منك يا بوان . فإنك تسير على دربهم ولا ريب أن كل إنسان سيتعتنى بالنفاق والرياء . ولكن هلا قلت لى ما الذى دعاك أيها القاضى الفاضل أن تحكم على مسلكى هذا الحكم .

بوان : لأنك غارق فى الملذات . . ولأنك شديد الارتباط
٦٩ بفلستاف لا تكاد تفارقه .

الأمير : وشديد الصلة بك أيضاً .

بوان : تالله انى رجل حسن السمعة طيب الأحدوثة . ولقد

سمعت ثناء الناس على بأذنى هاتين ، وأسوأ ما يقال عنى أنى رجل معسر لأنى الأخ الأصغر وأنى رجل قوى البنية جبار وهما صفتان أقر أن لا حيلة لى فيهما .

٧٦ ياالله هذا هو باردولف قادم .

(يدخل باردولف ومعه الغلام فى ثياب غريبة)

الأمير : ومعه الغلام الذى أعطيته فلستاف . . لقد كان حين أعطيته إياه لا يزال بشراً سوياً ومسيحياً ، ولكن انظر كيف مسخه هذا الوغد البدين قرداً .

٨٠ باردولف : حفظ الله عظمتك .

الأمير : وحفظك أنت أيضاً . . أى باردولف النبيل !

باردولف : رويدك أيها الحمار الطيب . . أيها الغر الخجول ألا بد لك من أن تعلوك حمرة الخجل ؟ وفيم تشتد حمرة خجلك الآن لقد صرت أقرب إلى امرأة خجول منك إلى تابع سيد مقدام من المحاربين الأفذاذ كسيدك هذا ؟ أثمة ما يدعو إلى أن تسيل حمرة الشراب من قنينة
٨٦ مغلقة هكذا ؟

الغلام : لقد نادانى يا سيدى منذ لحظة من كوة الحانة الحمراء حيث كان يحتسى زجاجة من نبيذ ولم أستطع أن أميز بين وجهه الأحمر وبين زجاج النافذة الأحمر ،

ولكن أخيراً وقعت على عينيه وقد بدتا وكأنما تطلان

٩٢ من ثقبين هما فى ثوب صاحبة الحانة الأحمر الجديد .

الأمير : ألا ترى أن الغلام قد انطلق لسانه واستفاد من صحبة فلستاف ؟

باردولف : إليك عنى أيها الوغد الصغير . . أيها الأرنب المذعور الذى يشب على رجليه الخلفيتين .

٩٦ الغلام : إليك عنى يا حلم الثيا[1] اللعين . . إليك عنى .

الأمير : أفدنا يا غلام أى حلم هذا ؟

الغلام : بحق العذراء يا سيدى ، لقد حلمت الثيا أنها ولدت

١٠٠ شعلة من نار ، ولذلك أسميته حلم الثيا .

الأمير : هذا تأويل تستحق عليه نصف جنيه يا غلام . . وهاك هو ذا (يعطيه نقودا)

بوان : أواه ليت هذه الزهرة الطيبة تعيش بمنجاة من الآفات ،

١٠٥ وها هو ذا نصف شلن يصونك ويرد عنك المكروه .

باردولف : لئن لم تؤد به صحبتكم إلى المشنقة ، فإن هذه المشنقة ستحرم من نصيبها المشروع الحق .

---

(١) حلم الثيا : رأت هكبيا فى منامها قبل أن تلد باريس إنها ولدت شعلة نار ولما ولدت مليجر قيل لها إنه سيظل حياً ما دامت الشعلة لم تحترق . وسواء كان تكسبير هو الذى خلط بين الأسطورتين أو لم يكن فإن صدور هذا القول من الغلام يدل على أنه أوتى شيئاً من العلم بالأدب القديم .

الأمير : وكيف حال سيدك يا باردولف ؟

باردولف : بخير يا سيدى . لقد سمع بمقدم عظمتك إلى المدينة وهاك خطاباً منه .

(يفض الأمير الرسالة ويقرأ)

بوان : يا له من خطاب يقدم بمزيد من الاحترام . وكيف
١١٢ حال سيدك المكتنز لحماً ؟

باردولف : إنه سليم الجسم معاف يا سيدى ؟

بوان : لعمرى إن شطره الخالد فى حاجة إلى طبيب ، ومع ذلك فهو لا يتحرك لخطاياه ، وروحه إن تكن مثقلة بالخطايا مريضة فهى كعهدها لا تكف عن الشرور أبداً ولن
١١٦ تموت .

الأمير : إنى لا أجيز لهذا السرطان الخبيث أن يألفنى كما يألفنى كلبى ، وهو يستغل مركزه منى إلى أقصى حد . .
١١٩ انظر كيف يكتب إلى !

(يظهر عنوان الرسالة)

بوان : (يقرأ) « من جون فلستاف الفارس » إنه يصر على أن يعرف كل إنسان أنه فارس ، لأنه لا يتحدث عن نفسه فى أية مناسبة إلا أقحم هذا اللقب فى حديثه ، مثله فى ذلك مثل الأقربين إلى الملك فإنهم إذا ما وخزوا

أصبعهم نادوا « إن بعض دم الملك قد أريق » .
فإذا سألهم سائل متغابياً : « كيف يحدث هذا ؟ »
أسرعوا بانتهاز الفرصة إسراع المستدين إلى تحية من
يتوسم فيه الاستعداد لإقراضه ، وقالوا على الفور
« نحن أبناء عمومة الملك الفقراء يا سيدى» . ١٢٨

الأمير : لا ريب فى ذلك فهم يصرون على أن يثبتوا صلتهم بنا
ولو رجعوا القرون القهقرى إلى يافث[1] . ما علينا من
من هذا ، ولنقرأ الرسالة (يقرأ) « من سير جون
فلستاف الفارس إلى ابن الملك وأقرب الناس إلى أبيه ،
هارى أمير ويلز ، أهدى تحياتى »

بوان : ويحه . . هذه شهادة .

الأمير : صه (يقرأ) « سأقلد الرومان الأشراف فى الإيجاز »

بوان : لا مشاحة أنه يعنى قصر النفس ، إن أنفاسه ضاقت .

الأمير : (يقرأ) « أحييك وأتمنى لك أطيب التمنيات وأقدم لك
ثنائى العاطر وأستودعك الله . لا تسرف فى الألفة مع
بوان ، فإنه يسىء تقدير مكرماتك إلى أبعد حد حتى
ليقسم أنك ستتزوج أخته نل . استغفر لخطاياك
كما يجب حين لا تجد شيئاً أفضل تشغل به نفسك . .

(١) يقال إن يافث هو الجد الأعلى للأوروبيين .

وداعاً . المخلص لك إذا أحسنت معاملته . وغير
المخلص لك إذا أسأت معاملته . جاك فلستاف
كما يلقبنى خلصائى ، وجون عند إخوتى وأخواتى
وسير جون فلستاف كما تعرفنى أوربا كلها . »

١٤٩ بوان : سأغمر هذا الخطاب فى النبيذ يا مولاى وأطعمه إياه .

الأمير : معنى هذا أنك ستجعله يبتلع كلماته عشرين مرة . .
ولكن قل لى يا ند ، أتتحدث عنى بهذه الطريقة ؟
١٥٢ وهل صحيح أنك قلت أنى سأتزوج أختك لا محالة ؟

بوان : أرجو ألا يصيب الفتاة حظ أسوأ من هذا ، ولكنى
لم أقل ذلك أبداً .

الأمير : إننا نمضى حياتنا فى العبث ، والملائكة من فوقنا تشرف
علينا من عليائها ساخرة من فعالنا (إلى باردولف) هل
سيدك هنا فى لندن ؟

باردولف : أجل يا سيدى .

الأمير : وأين تناول عشاءه ؟ هل تناول الحاوف العجوز طعامه
١٦٠ فى حظيرته المعتادة ؟

باردولف : أجل فى مكانه القديم يا سيدى فى ابست شب .

الأمير : وفى صحبة من ؟

باردولف فى صحبة من أهل المجون المنحلين من أصدقائه القدامى .

الأمير : وهل تتعشى معه امرأة ما ؟

باردولف : لا نساء إطلاقاً يا سيدى . اللهم إلا السيدة كويكلى العجوز والسيدة دول تيرشيت .

١٦ الأمير : وأيًّا تكون هذه الداعرة ؟

باردولف : إنها امرأة شريفة يا مولاى وتمت بصلة القرابة إلى سيدى.

الأمير : لعلها قرابة من طراز قرابة أبقار القرية لثور المدينة .

١٧٣ ألا نسقط عليهم يا ند فى موعدالعشاء ؟

بوان : أنا ألزم لك من ظلك وسأتبعك حيثما تذهب .

الأمير : اسمع يا باردولف . . وأنت يا غلام . . لا تفوها بكلمة عن وجودى فى المدينة لسيدكما . . وها كما ثمن هذا السكوت .

(يعطيهما نقودا)

١٧٩ باردولف : لن أنطق ببنت شفة يا سيدى فليس لى لسان .

الغلام : أما أنا يا سيدى فسأصون لسانى .

الأمير : اذهبا إذن رافقتكما السلامة (يخرج باردولف والغلام) لابد أن ترشيت هذه عاهر .

بوان : أؤكد لك يا سيدى أنها امرأة متبذلة مطروقة لكل إنسان

١٨٥ كالطريق بين لندن وسانت أولبنز .

الأمير : كيف السبيل إلى أن نرى فلستاف منطلقاً على سجيته

١٨٨ دون تحفظ وأن نراقبه الليلة دون أن يرانا ؟

بوان : فلنتنكر فى قميصين من الجلد ومیادع كالسقاة ونقوم

١٩١ بالخدمة على مائدته .

الأمير : أأنحط من إله إلى ثور ؟ يا له من مسخ ثقيل ! لقد فعلها جوبتر من قبل ، وأنا سأنزل من ابن ملك إلى ساق ، فياله من تحول حقير هذا الذى سأفعله ، ولكن الغاية الحمقاء تبرر الوسيلة الحمقاء . فهيا اتبعنى يا ند .

(يخرجان)

المنظر الثالث

وركورث . أمام القلعة

(يدخل نورثمبرلند والسيدة زوجه والسيدة برسى)

نورثمبرلند : أتوسل إليك يا زوجى العزيزة وأنت يا ابنتى الكريمة ، ألا تحاولا الوقوف فى وجهى ومنعى من السير فى هذا الطريق الوعر .
وأتوسل إليكما ألا تسايرا الزمان فى عبوسه
فتسببا مثله المتاعب لبرسى [1] .

الزوجة : لقد سلمت الأمور للمقادير وكففت عن الكلام
فافعل ما بدا لك ولتكن حكمتك رائدك .

نورثمبرلند : واأسفاه أيتها الزوجة الحبيبة . . إن شرفى فى الميزان
ولا سبيل إلى أن أسترده إلا بالذهاب إلى الحرب .

السيدة برسى : أواه . . ومع ذلك فأستحلفك بالله ألا تذهب إلى هذه الحرب !
لقد أتى عليك يا أبتاه وقت حنثت فيه بعهدك

---

(١) يقصد نفسه

حين كان الوفاء تدعوك إليه أسباب أقوى كثيراً من
أسباب اليوم
كان ذلك يا أبتاه حين كان فلذة كبدك برسى ،
وشغاف قلبي هارى المحبوب
يصوب النظرة تلو النظرة إلى الشمال مستطلعاً مقدم أبيه
بقواته ،
ولكن نظراته المتصلة ارتدت خائبة .
فمن ذا الذى أغراك يومئذ بالتخلف والبقاء فى عقر دارك ؟
لقد ضاع بسبب قعودك يومئذ شرفان شرفك وشرف ابنك
فأما شرفك فأسأل الله إله السماء أن يرده عليك أبيض
ناصعاً .
أما شرفه فقد كان بريقه يخطف الأبصار من فوق رأسه
كما تلمع أضواء الشمس فى حلكة السماء .
وعلى هدى نوره تحرك فرسان إنجلترا كلهم
ومضوا يملأون الكون بفعالهم النبيلة .
لقد كان حقًّا المرآة التى يرى فيها شباب النبلاء أنفسهم
والمنوال الذى ينسجون على مثاله .
وما كان أحدهم ليرى نفسه ذا ساقين إن لم يقلد مشيته ،
وسرعة عباراته وهى من عيوبه الطبيعية

أصبحت الطراز المحبب لذوى الشجاعة من الشبان
وكان أهل الرزانة فى الحديث يخرجون عن هذه الصفة
النبيلة ويزدرونها
ويتصنعون طريقته ليبدوا على مثاله .
وهكذا كان برسى المثل الأعلى الذى يسعى كل منهم
لبلوغه . كان مثلا فى حديثه وفى مشيته
وفى طعامه وفى هواه
وفى مسلكه العسكرى وفى نزواته .
كان المثل — والمرآة والصورة والكتاب والمدرسة —
الذى شكل الآخرين ووجههم . فيا له من معجزة
بين الرجال !
هذا المخلوق المثالى الذى لا يدانيه إنسان قد تخليت
أنت عنه
وتركته بلا عون وتركته وحيداً
يلقى إله الحرب الرهيب فى صراع غير متكافئ
وخليته يخوض غمار معركة
ليس فيها من عدد الدفاع إلا رنين اسم هوتسبر .
خلوت به وحرمته مساعدتك وعونك ،
فحذار ، ثم حذار أن تسئ إلى روحه

باعتقاد أن دوافع الشرف تملى عليك أن تسارع إلى
معاونة الآخرين
أكثر مما كانت تملى عليك معاونته . ذرهم وشأنهم . .
فإن الفريق وكبير الأساقفة قويان بنفسيهما
ولو كان لحبيبي هارى نصف ما لهما من قوات وجند
لكنت اليوم أشبعه عناقاً وتقبيلا
وأنا أتحدث عن موت الأمير مونموث .

نورث : تبًّا لك ولقلبك ،
إنك لتسلبيننى يا بنيتى الجميلة شجاعتى وعزمى
بإثارتك هذه الأخطاء القديمة .
ولكنى مع ذلك يجب أن أذهب إلى الحرب وأن ألقى
الخطر وجهاً لوجه
وإلا سعى الخطر إلى فى مكان آخر
وأخذنى على غرة فى غير استعداد له .

الزوجة : بل إلى أسكتلندا
حتى يجرب النبلاء والعامة المسلحون
قواهم فى المعركة ضد الملك بعض التجربة .

السيدة برسى : فإذا ما أحرزوا تقدماً وظهرت قواتهم على الملك
فسارع بالانضمام إليهم وشد أزرهم وزدهم قوة على قوة .

ولكنا نستحلفك بالحب الذى نكنه لك
أن تدعهم وحدهم أول الأمر ليجربوا قواهم ، لقد فعل ذلك من قبل ابنك
فقد تركته بلا عون وخليته وحده يجرب قواته فى المعركة
فكان فى هذا هلاكه وترملى .

ولن تطول حياتى بعده
وقتاً يسمح لى أن أروى ذكراه بدمعى الهتون
حتى تنمو وتسمق وتطاول عنان السماء
وتبقى ذكرى خالدة حية لزوجى النبيل .

نورث : مهلا ، مهلا أدخلا معى
فقد بلغ السيل الزبى فى رأسى وشل تفكيرى عن الحركة
ولم أعد أدرى أى سبيل أسلك .
وبودي لو أذهب للقاء كبير الأساقفة ،
ولكن آلاف الأسباب تمنعنى وتمسك بى فى مكانى .
لأحسمن أمرى وأذهبن إلى اسكتلندة !
حيث أبقى إلى أن تحين الفرصة ويدعونى داعيها للعمل .

(يخرجون)

المنظر الرابع

لندن

(حجرة خاصة فى حانة رأس الحلوف فى إيست تشيب صفت فيها مائدة وكراسى و بها أبواب ثلاثة واحد إلى الخلف وثان إلى اليمين وثالث إلى اليسار . فرانسس يعد المائدة فيضع عليها النبيذ والفاكهة . يدخل ساق آخر يحمل طبقاً من التفاح) .

فرانسس : يا للشيطان . . ما هذا الذى جئت به إلى هنا ؟ تفاح قديم متغضن ؟ ألا تعلم أن سير جون لا يطيق منظر هذا التفاح المتغضن المسمى تفاح جون .

الساقى الثانى : تالله لقد قلت الحق ، فقد حدث ذات مرة أن وضع الأمير أمامه طبقاً من تفاح جون المتغضن ثم قال له : إن أمامنا الآن خمسة آخرين كلهم سير جون ، ورفع قبعته فى تحية ساخرة وهو يقول : « سأستئذن الآن من هؤلاء الفرسان الستة ذوى الوجوه الذابلة المستديرة » ، وقد أثار هذا القول غضب سير جون الشديد ولكنه تناساه الآن .

فرانسس : مد الغطاء إذن على المائدة ثم ضع التفاح عليها وحاول إن

استطعت أن تحضر ضوضاء سنيك[١] فإن السيدة تيرشيت تؤثر أن تستمع إلى بعض الموسيقى .

الساقى الثانى : هيا اسرع فإن الحجرة التى يتناولون فيها طعامهم شديدة الحرارة وهم سيأتون على الفور .

فرانسس : اسمع يا غلام . . سيحضر الأمير إلى هنا ومعه السيد بوان حالا وسيتنكران فى لباسنا وميادعنا ويجب أن لا يعلم سير جون بمقدمهما وقد أنبأنا بهذا بارودولف .

(يدخل فلستاف من اليسار وهو يغنى ثم يخرج على الفور)

الساقى الثانى : (وهو يلاحقه بنظراته) تالله لتكونن تسلية رائعة ، وما أجملها من خطة !

فرانسس : سأذهب لأبحث عن سنيك ، ولعلى أوفق لإحضاره .

(يخرج وتدخل صاحبة الحانة والسيدة دول تيرشيت من الحجرة التى إلى اليسار)

صاحبة الحانة : إنى لأراك وأيم الحق يا عزيزتى غاية فى قوة البنية سليمة الجسم وأحس بنبضات قلبك تدق بانتظام كما يهوى الفؤاد ووجهك أحمر كالوردة ، إن كل شىء فيك والحق أقول على غاية ما يرام ، ولكن يبدو أنك وأيم الحق قد أسرفت على نفسك فى شرب نبيذ الكنارى ،

---

(١) Sneak

وهو نبيذ نفاذ قوى التأثير يذهب بعقل شاربه ويملأ
دمه بالأبخرة ويجعل الإنسان شديد الاضطراب سريع
٣٢ الاستثارة قبل أن يدرك شدة أثره . فكيف حالك الآن ؟

دول : (فى أعياء) أحسن مما كنت . . !

(يأخذها الفواق — تجلسان)

لقد أحسنت القول فإن القلب الطيب يساوى ثقله
ذهباً ولكن مهلا فهذا هو سير جون قادم نحونا .

(يعود فولستاف وهو يغنى)

فولستاف : « عندما جاء أرثر إلى القصر فى أول الأمر » (إلى الساقى جانباً) — أخل الحانة — « وكان ملكاً عظيماً » .
٣٨ (يخرج الثانى من اليمين) مرحى ، أهذه أنت يا سيدة دول .

صاحبة الحانة : إنها تشكو أزمة وأيم الحق .

فولستاف : هكذا كل من على شاكلتها . يشكون الأزمة إذا خلت
٤١ حياتهم من الحركة والمغامرة .

دول : يا لك من وغد قذر . أهذا كل ما عندك من سلوى لى .

٤٤ فولستاف : إنك تسمنين الغزلان النحيلة يا سيدة دول .

دول : أنا أخرج الغزلان البدينة . إنما يخرجهم النهم والعلل أما أنا فلا .

فولستاف : إذا كان الطاهى يعيش على النهم فأنت تساعدين على

ظهور العلل يا دول . إننا نأخذها منك يا دول ،
إننا نأخذها منك . . اعترفى بهذا سلمى به يا عزيزتى .

دول : أى نعم وحق العذراء إنكم تأخذون حلينا وجواهرنا
تخطفونها خطفاً .

فولستاف : « قلائدك وعقودك اللؤلؤية . . ماساتك وجواهرك » .
فإن يأتيها مقتحم جسور فسيرتد عنها وهو يجرر ساقيه .
وإنك لتعرفين ذلك . وليخرجن ، من حمأتها وقد
انثنت حربته وليحتملن تضميد بثورة وقروحه بشجاعة
وليعرضن نفسه للخطر فوق فوهات المدافع النارية فى
جلد وشجاعة .

دول : اشنق نفسك أيها الثعبان الموغل فى الوحل . اشنق نفسك
وإلى حيث ألقت .

صاحبة الحانة : قسماً إن هذا دأبكما من قديم . . لا تتخلفان عنه .
إذا اجتمعتما فلن تلبثا أن تختلفا وتتشاحنا وكلاكما
والحق يقال حاد الطبع لا تستويان فى قدر ، ولا يستطيع
أحدكما أن يحتمل نقائص أخيه أو يسكت عنها .
فيا لسوء الطالع ، (إلى دول) لابد لأحدكما أن
يصبر ويحتمل الآخر ، ومن واجبك أنت أن تحتملى
فأنت الجانب الضعيف أو الإناء الخالى كما يقولون .

دول : وهل يستطيع إناء خال ضعيف أن يضم هذا البرميل الضخم الممتلىء ؟ إنه ممتلىء بحمولة تزيد على حمل سفينة من نبيذ بوردو . إنك لن ترى فى حياتك سفينة قد شحنت من الداخل بمثل هذا الحمل الضخم ، ومع ذلك فتعال يا جاك نعش صديقين فأنت ذاهب إلى الحرب وما أدرى هل أراك بعد أو لا . وما يدرى
٧٢ ما يكون .

(يدخل فرانسس)

فرانسس : سيدى إن الملازم بيستول موجود فى الدور الأسفل ويود أن يتحدث معك .

دول : فليشنق هذا الوغد العربيد . لا تأذن له بالمجىء إلى هنا
٧ إنه أسلط الأوغاد لساناً فى إنجلترا .

صاحبة الحانة : إذا كان ماجناً عربيداً فلا تأذن له بالقدوم إلى هنا ، لا تأذن له فإننى وأيم الحق أريد أن أعيش محترمة وسط جيرانى ، أريد أن أحافظ على مظهرى بينهم ولا أسىء إليهم بالسماح لأمثال هذا العربيد بالدخول فى بيتى ، إننى امرأة طيبة السمعة محترمة عند خير جيرانى ، ولا أريد أن أخسر سمعتى . أغلق الباب فلن أسمح للمعربدين أن يدخلوا بيتى . . أغلق الباب من فضلك .

فولستاف : اسمعى يا صاحبة الحانة .

صاحبة الحانة : هدئ روعك يا سير جون . وكن على ثقة إنى لن اسمح للمعربدين أن يدخلوا بيتى أبداً .

فولستاف : ألم تسمعى ما قيل أنه أحد ضباطى .

صاحبة الحانة : دعك من هذا . . دعك من هذا فلا فائدة من وراء تأكيدك أنه أحد ضباطك . إن المعربدين لا يسمح لهم بدخول بيتى مهما يكن الأمر . لقد استدعانى السيد تسك [١] ممثل القانون فى يوم مضى وقال لى ، وكان ذلك غير بعيد بل قبل يوم الأربعاء الماضى . قال لى بحضور السيد « أبكم » واعظنا : « أيتها الجارة كويكلى يجب أن تستقبلى فى بيتك الشرفاء حسنى السيرة . لقد جلبت على نفسك سوء السمعة وجعلت الناس يلوكون اسمك بألسنتهم . وقد أدركت الآن السر فى قوله هذا . عرفت إن ذلك سببه سماحى لهؤلاء المعربدين من أمثال ضابطك بالدخول فى بيتى . فقد قال لى إنك امرأة شريفة والناس يحسنون الظن بك ، لذلك يجب أن تعنى باختيار الذين يترددون عليك . ثم قال ولا تستقبلى فى بيتك أبداً المعربدين . ولذلك لن أسمح

Master Tisick. (١)

بدخول المعربدين إلى بيتى إطلاقاً ولعلك تدهش إذ تسمع ما قال لى . . لا لن أسمح للمعربدين أن يدخلوا إلى هنا أبداً .

فولستاف : إنه ليس عربيداً يا صاحبة الحانة . إنه شاطر خفيف اليد فى الزهر والورق . تستطيعين أن تربتى عليه كما تربتين على كلب أليف دون أن يلحقك أذى . وأيم الحق إنه لن يعربد مطلقاً مع دجاجة هلوك إذا أحس منها نفوراً أو غضباً . ناده أيها الساقى .

(يخرج الساقى فرانسس)

صاحبة الحانة : أتقول إنه شاطر مخادع من رجال الخزانة إنى لن أمنع الرجال الشرفاء من دخول بيتى ولن أمنع المخادعين ولكن أكره العربدة وأمقتها وتنقبض نفسى بمجرد ذكرها انظروا أيها السادة كيف أرتعد إن جسمى ينتفض غضباً .

دول : أجل إنك تنتفضين يا صاحبة الحانة .

صاحبة الحانة : أحق هذا ؟ إنى أنتفض وأهتز وأيم الحق كأنى ورقة فى مهب الريح ، فأنا لا أطيق العربدة ولا المعربدين .

(يدخل بستول وباردولف والغلام)

١١٩ بستول : حفظك الله يا سير جون . .

فولستاف : مرحباً بك أيها الملازم بستول . هانذا أشرب كأساً نخبك (يشرب) ، وهأنذا أملأ لك كأساً فأفرغه فى صحة سيدتى صاحبة الحانة .

(يملأ الكأس ويقدمها له)

١٢٤ بستول : سأفرغ فيها قذيفتين يا سير جون .

فولستاف : إنها حامل يا سيدى ومن ثم فلن تؤثر فيها قذائفك .

صاحبة الحانة : رويدك فلن أشرب سلافاً ولا نبيذاً ، لن أشرب إلا ما أجد فيه الخير لنفسى ، لن أحمل نفسى على
١٢٩ ما يسر الآخرين ، فنفسى أولا .

بستول : إذن فلأفرغ كأسى لديك يا سيدة دورثى .

(يرفع الكأس إلى فه)

دول : تفرغ كأسك لدى ؟ أنت ! إنى أحتقرك أيها الوضيع أأنت الذى تقول هذا أيها الوغد الحقير ، المفلس ، الغشاش ، الذى لا يملك قميصاً ؟ اغرب عنى أيها
١٣٥ الشقى القذر . أنا لست لأمثالك إنى فى مستوى سيدك .

بستول : إنى أعرفك يا سيدة دورثى حق المعرفة .

دول : اغرب عن وجهى أيها الوغد النشال . إليك عنى أيها اللص القذر ، بحق هذا النبيذ لأضربن وجهك

العفن بمديتى إذا سولت لك نفسك أن تعبث بى
أو تتخذنى مادة لمجونك ابتعد أيها الوغد الدنئ المخادع
الذى يتظاهر بالجندية لمجرد حمله سلاحاً زائفاً
من منذ متى يا سيدى خلعت على نفسك هذه الجندية
وزينت كتفيك بهذه الأربطة . ألا قلت لى بحق نور
السماوات منذ متى اصطنعت هذا المظهر ؟ يالك من
١٤٣ ضابط هزيل .

بستول : لا عشت إن لم أفسد زينتك واقطع هذا العقد الذى
تزينين به رقبتك جزاء لك على هذه القحة .

فولستاف : كفى يا بستول — ولا تزد ، وما أريدك أن تقدم لى
برهاناً على قوة انطلاقك أكثر من أن تنطلق من هنا ،
وتفرغ صحبتنا من وجودك .

صاحبة الحانة : لا . لا تفعل شيئاً هنا أيها اليوزباشى الطيب بستول
١٥٠ أيها اليوزباشى الكريم .

دول : يوزباشى ! يالك من مخادع كريه ملعون . . ألا تخجل
من نفسك حين تدعى بما ليس لك ، ألا تحس عار
حين يدعونك يوزباشياً آه . . لو أن اليوزباشية كانوا
من رأيى ، وأحسوا بما أذنبت فى حقهم ، إذن لطردوك
خارج هذه الحجرة ، وانهالوا عليك بهراواتهم مؤدبين

لعدوانك على ألقابهم قبل أن يكون لك حق فيها . أتدعو نفسك يوزباشياً أيها العبد الحقير ؟ وبم بلغت هذه المرتبة ؟ التجرؤك على قطع عقد غانية فى بيت من بيوت الخنا ؟ أهو يوزباشى ، إلى حيث ألقت أمها الشق إنه يعيش على القراصية العفنة والفطير الجاف . أهذا يوزباشى . . يا للعار . . بحق نور السماوات إن هؤلاء الأوغاد سيبتذلون هذه الكلمة حتى تغدو كريهة فى الأسماع ككلمة « المباشرة » التى كانت كلمة طيبة قبل أن يسيئوا استعمالها ، ولذلك فإن من واجب من يحملون لقب اليوزباشى أن يعملوا على صيانته .

باردولف : أتوسل إليك أيها الملازم الطيب أن تنزل من هنا .

فولستاف : ادن منى يا سيدة دول . . واستمعى لما أقول لك

(يتنحيان جانبا)

بستول : لا لن أنزل . أوكد لك يا أنباشى باردولف أنى قادر على أن أمزقها إرباً ولابد لى من أن أنتقم منها .

الغلام : أتوسل إليك أن تنزل من هنا .

بستول : لا لن أنزل حتى تحل بها اللعنة أولا . . لن أتحرك حتى ألقى بها فى بحيرة بلوتو الملعونة فى أعماق جهنم فى

ملكوت أريبوس إله الظلام . . لا لن أنزل حتى
أسلمها للعذاب الأليم ألا فليكن التوفيق حليفى
فيما أهدف إليه . إلى الجحيم . . إلى الجحيم أيتها
الكلاب . . إلى الجحيم أيها الأشرار . . أليس فى
١٧٣ يدى إيرين[1] .

صاحبة الحانة : (وهى ترتعد خوفا) ناشدتك الله أيها اليوزباشى الطبيب
بيستول أن تهدأ ، إننا فى ساعة متأخرة من الليل . .
أتوسل إليك أن تخفف من غضبك .

١٧٦ بستول : هذه حيلة خداعة من أفانينك تريدين بها أن تخدعينى
وأن تسخرى منى لتتخلص من وجودى وتلقى بى إلى
الخارج
ولكن أنى لك هذا . . أنى للأوغاد والجياد المهزولة من
حثالة آسيا
التى لا تقوى على مسيرة ثلاثين ميلا فى اليوم ،
أنى لها أن تقارن بقيصر وكانيبال[2] وأبطال طروادة . .
ألا فلتحل عليهم اللعنة وليركسوا فى أعماق القبور

---

(١) إيرين : اسم للسيف إذ كانوا يطلقون على سيوفهم أسماء محبوباتهم .
(٢) يريد هانيبال .

مع سير بروس ملك الظلام . ألا خل السحب
١٨٠ تصخب وتجلجل بأصواتها،
فما كان لنا أن نتطاحن أو نتعارك من أجل أمثال هذه
الترهات التافهة

١٨٤ صاحبة الحانة : تالله إن هذه الكلمات لمرة أيها اليوزباشى .

باردولف : اذهب أيها الملازم الطيب ، فأخشى ما أخشاه أن ينقلب الأمر إلى شجار فى الحال .

بستول : (يصيح) حسبك ، أيموت الرجال هوناً كما تموت الكلاب ؟ وأتسلم التيجان فى خضوع كما تسلم المشابك التافهة وفى أيدينا الحديد الصارم ؟ أليست
١٨٨ هنا إيرين ؟ .

صاحبة الحانة : إيرين ! أقسم لك بشرفى أيها اليوزباشى إن هذه المرأة ليست هنا ، ولو كانت هنا ، فيا للجحيم . . كيف تظن أنى أمنعها عنك . . سألتك بالله أن تهدأ .

بستول : إذن كلى واسمنى أى كاليبولس الجميلة ، وهيا اسقنى
١٩٣ بعض النبيذ
فإن يكن الحظ قد خاننى فإن الأمل لا يزال يحدونى —
أتحسبينا نخشى نيران المدافع ؟ كلا ذريها ترسل
نيرانها وتندفع بألسنة الجحيم فما أبالى . .

على بالنبيذ وأنت أيها السيف الحبيب ارقد هاهنا . .
(يضع سيفه) ترى هل سنمضي الوقت هنا وننهي جهادنا عند
هذه النقطة ونختتم بها أعمالنا أم لا تزال أمامنا جولات
١٩٧ أخرى واشتباكات بظبي السيوف ؟

فولستاف : أود أن أهدأ يا بستول .

بستول : أيها الفارس الحبيب دعني أقبل راحتك وأستأذن
٢٠٠ منصرفاً ماذا ! لقد سبق أن سهرنا نرقب النجوم السبعة .

دول : أواه . . سألتك بالله أن تلقي به إلى الدور الأسفل .
فلقد ضقت ذرعاً بثرثرة هذا الوغد .

بستول : فلتلق بي إلى الدور الأسفل . . ألا نعرف سبيلنا
٢٠٤ أيتها المهرة الصغيرة .

فولستاف : ألق به إلى الدور الأسفل يا باردولف كما تلقي بالقرش
في لعبة الحظ ، وما دام لا يستطيع أن يفعل شيئاً
إلا أن يثرثر بهذا اللغو الفارغ فما يليق أن يبقى في
صحبتنا .

٢٠٨ باردولف : هيا انزل إلى الدور الأسفل .

بستول : ماذا . . أنلجأ إلى سيوفنا . . أنعمد إلى سفك الدماء
(يلتقط سيفه) إذن أيها الموت خذني حتى تحبب
إلى النوم وقصر أيامي المليئة بالهموم والآلام ،

وذروا الجروح العميقة المخيفة المفتحة الأفواه تقطع
حبال الحياة التى نسجتها بنات القدر الثلاث ،
وخلوا اتروپس يقرضها بمقراضه . . هيا يا اتروپس
دونك فافعل ما شئت . ٢١٢
(يتقدم ويعرض نفسه للقتال)

صاحبة الحانة : إنا مقبلون على ثورة عظيمة .

فولستاف : أعطنى سيفى يا غلام .

٢١٦ دول : أتوسل إليك يا جاك . . أتوسل إليك . . ألا تسل سيفك .

فولستاف : (يسل سيفه) انزل إلى الدور الأسفل (باردولف يمسك بستول ويرغمه على الارتداد نحو الباب الأيمن ومن ورائه فلستاف يتبعه)

صاحبة الحانة : هذه ثورة عنيفة لأهجرن إدارة هذه الفنادق قبل أن تحيط بى المتاعب والمخاوف .
(فلستاف يسدد سيفه نحو بستول) أؤكد لك أن هذه الطعنة ستكون نتيجتها القتل ، واأسفاه . . اغمدوا سيوفكم المشهرة اغمدوا سيوفكم (باردولف يدفع بستول من خلال الباب ثم يدخل وراءه فلستاف يغمد سيفه ، ويعود أدراجه وهو يلهث وينفخ من التعب والجهد ويجلس على مقعده) .

دول : أرجو أن تهدأ يا جاك فقد ذهب الوغد . . إيه لك

٢٢٥ أيها الشقى المقدام الصغير . . إيه لك أيها البطل .

صاحبة الحانة : ألم يمسك الوغد بأذى . . ألم تصب بجرح فى سرتك . . لقد خيل إلى أن الوغد وجه طعنة خبيثة إلى أحشائك .

(يعود باردولف)

٢٢٨ فولستاف : هل طردته خارج الأبواب

باردولف : أجل يا سيدى إن الوغد سكران وقد أصبته بجرح فى كتفه .

فولستاف : يا للوغد ! كيف تجرأ على وتحدانى !

دول : إيه يا صغيرى الحبيب الشقى . . إيه أيها القرد المسكين وا أسفاه . . إنك تتصبب عرقاً . . رويدك دعنى أجفف لك وجهك . . تعال إلى أيها المنتفخ الأوداج . . اقترب منى يا شقى فما أكثر ما أحباك وايم الحق . . إنك عظيم الهمة مقدام كهكتور بطل طروادة . إنك تعدل فى شجاعتك خمسة من أمثال أجممنون بل تفوق عشر مرات الأبطال التسعة . . إيه أيها الشقى!

(تلاطفه)

فولستاف : واه لك أيها العبد الخبيث ، لأجازينك أشد الجزاء

٢٤٠ وأخمد أنفاسك فى ملحفتك يا شقى .

دول : عاقبه إذا استطعت إراحة لفؤادك فإن فعلت فلك عندى

أن ألفك فى مئزرى وأحمد أنفاسك من الرقص بين عطفى .

(يدخل الموسيقيون)

٢٤٤ الغلام : لقد جاءت الموسيقى يا سيدى .

فولستاف : دعهم يلعبوا . . العبوا أيها السادة . . اعزفوا (تنساب الموسيقى رقيقة) تعالى يا دول واجلسى على ركبتى ، يا له من عبد وغد متبجح ، لقد أفلت الشقى من يدى كما يفلت الزئبق .

دول : (جانبا) وتبعته أنت وأم الحق ككنيسة ضخمة متحركة .

(تجلس على ركبته) ألا قل لى متى تنتهى يا خنزير بارثلميو المكتنز الرقيق ، من هذه الحروب ومتى تقلع عن الطعان آناء الليل وعن القتال أطراف النهار

٢٥٢ ومتى تبدأ ترقيع جسمك البالى هذا للآخرة

(يدخل من الخلف الأمير و بوان متخفين فى لباس السقاة)

فولستاف : كفى عن هذا الكلام يا دول الطيبة ، ودعك من حديث الآخرة ، ولا تحاولى أن تجعلى من نفسك نذيراً كرأس الميت[١] لا تحاولى أن تذكرينى بآخرتى يا دول.

---

(١) التى يحلون بها الخواتم لتذكر الناس بالآخرة .

دول : اسمع يا فتى ما مزاح الأمير وما مشربه

فولستاف : إنه فتى طيب المشرب ولكنه ليس فائق العقل ، وربما كان الأصلح له أن يكون خبازاً ماهراً يجيد تقطيع الخبز .

دول : يقال أن بوان فتى حاضر البديهة .

فولستاف : حاضر البديهة ! . ذريه إلى حيث ألقت ، هذا القرد ! . إن عقله أغبى من خردل توكس برى[1] ، وخياله وأفكاره لا تعدو أفكار بطة برية حمقاء .

دول : إذن ففيم حب الأمير له هذا الحب العظيم

فولستاف : لأنهما من طراز واحد وقدم واحدة ، ولأنه يحسن رمى الأطواق ، شديد الغباء فائق الملق بارع فى ضروب الجسارة ، يشرب النبيذ ويقطع من اللهب جرعة واحدة . يركب الأراجيح مع الغلمان ويقفز فوق الكراسى المطوية فى خفة ومهارة ، ويقسم فى وقار مستحب ، ويلبس أحذية تبدو غاية فى النعومة والملاسة كأنما هى قطع فنية للعرض أو للإعلان عن محل أو متجر ، لا يثير إحنا ولا أحقاداً فهو لا يروى إلا القصص

---

(١) Tewksbury

الفاحشة ، إلى غير ذلك من ضروب المهارة فى ركوب
الخيل التى تنم عن قوة فى البدن وضعف فى العقل .
هذه هى المزايا التى جعلت الأمير يؤثره بالرعاية
٢٧٧ والعطف . ذلك أن الأمير نفسه ليس إلا صورة منه ،
لا يفترق عنه مقدار شعرة فى ميزان الأمور (تمسح رأسه)

الأمير : (جانبا) ألا يدعونا هذا الوغد المكتنز بكلامه هذا إلى صلم أذنيه عقاباً له على هذا الكذب

بوان : (جانبا) الأفضل أن نضربه أمام بغيه هذه .

٢٨٠ الأمير : (جانبا) انظر هل خمشت دول رأس هذا العجوز الفاجر الذى جفت عروقه بأظافرها كما تخمش الببغاء رأسها بمخلبها .

بوان (جانبا) أليس عجيباً أن تبقى الشهوة سنوات عدة بعد
٢٨٤ فقد القدرة

فرلستاف : قبليني يا دول (يلتقيان فى قبلة وفى الوقت نفسه يضع باردولف دراعه حول صاحبة الحانة)

الأمير : (جانبا) لقد اجتمعت الزهرة وزحل فى قران هذا العام ، فماذا يقول التقويم فى هذا

بوان : (جانبا) وانظر ألا ترى هذا الوغد الملتهب إنه رجله باردولف يغازل صاحبة الحانة ويعانقها ، وهى موضع

٢٩٠ : سر سيده ونجواه ، ويبثها غرامه .

فولستاف : هذه القبلات التى اعطيتنيها قبلات نفاق .

دول : أقسم لك بشرفى أنى أقبلك من قلب محب مقيم على العهد .

فولستاف : إنى رجل شيخ . . إنى رجل شيخ .

دول : إنى أحبك أكثر مما أحب أى شاب من هؤلاء الفتيان

٢٩٦ الحقيرين جميعاً .

فولستاف : من أى قماش تريدين أن أشترى لك رداءك . سأقبض نقوداً يوم الخميس ، وسأحضر لك قبعة غداً ، فهيا غنى أغنية مرحة فالوقت بات متأخراً وسنأوى إلى

٣٠١ فراشنا ، ولسوف تنسينى عندما أبتعد عنك .

دول : أقسم لك بشرفى إن قولك هذا يجعلنى أجهش بالبكاء ، وإنى أتحداك أن تثبت أنى تجملت بالثياب أثناء

٣٠٥ غيبتك ، وعليك أن تنتظر حتى ترى .

فولستاف : على ببعض النبيذ يا فرانسس .

٣٠٨ الأمير وبوان : قادم حالا ، حالا يا سيدى (يسرعان إلى الإمام)

فولستاف : (ينهض) ها ، هذا ابن غير شرعى للملك . . وأنت ألست بوان أخاه

الأمير : وأنت : يا كرة محشوة بالخطايا والذنوب . . أى حياة

٣١٢ تلك التى تحياها

فولستاف : حياة أفضل من حياتك ، فأنا سيد شريف وما أنت
إلا ساق .

الأمير : هذا صحيح جداً يا سيدى وقد جئت لأسحبك إلى

٣١٦ إلى الخارج من أذنيك .

صاحبة الحانة : فليحفظ الله عظمتك . . ومرحباً بك فى لندن . .
أقولها بإخلاص نضر الله وجهك الجميل بحق المسيح . .

٣٢٠ أقادم أنت من ويلز

فولستاف : يا لك من حقيرة مجنونة بجلال الملكية . . وحق هذا
الجسد الهزيل وهذا الدم الفاسد (مشيراً إلى دول) أنت
على الرحب والسعة .

٣١٤ دول : وايحك أيها البدين الأحمق إنى أحتقرك .

بوان : (جانبا) مولاى إنه سيخرجنا عن الموضوع ويلهيك
عن انتقامك ويحيل الأمر كله إلى مزاح خفيف
إذا أنت لم تطرق الحديد وهو ساخن وتأخذه بخطيئته
فوراً دون أن تتيح له فرصة للتخلص من ورطته .

الأمير : اسمع أنت أيها الحقير . . يا منجم الشحم الذى
لا ينفد . . كيف جرؤت على أن تتحدث عنى بسوء
الآن أمام هذه السيدة الشريفة العفة .

٣٣٢ صاحبة الحان : فليبارك الله قلبك الطيب يا مولاى . . فهى بحق امرأة شريفة .

فولستاف : هل سمعتنى

الأمير : نعم سمعتك .. ولقد عرفتنى كما عرفتنى وفررت منى يوم جادزهل . لقد عرفت أنى من ورائك ، ولذلك
٣٣٧ تكلمت بما تكلمت قصداً لتمتحن صبرى .

فولستاف : لا . . لا . . لم يكن الأمر كذلك ، وما حسبت قط أنك على مسمع منى .

الأمير : سأحملك إذن على أن تعترف بالكذب العمد والإساءة المتعمدة التى وجهتها إلى وعندئذ سأعرف كيف أعاقبك

فولستاف : أقسم لك بشرفى يا هال لم تكن هناك أية إساءة ولا مذمة.

الأمير : لم يكن هناك أية مذمة ! ألم تنتقص قدرى ، وتسمنى خبازاً ومقطعاً للخبز ، إلى غير ذلك من النعوت .

فولستاف لا مذمة يا هال .

٣٤٨ بوان :لا مذمة !

فولستاف : لا مذمة يا ند .. لا مذمة قط يا ند الأمين .. لقد انتقصت منه أمام الأشرار حتى لا يتولهوا فى حبه ، وبتصرفى هذا أديت واجبى كما يؤديه الصديق والفرد المخلص من أفراد الرعية ، وأعتقد أن أباك ينبغى أن

يشكر لى هذا الصنيع لا مذمة يا هال . ولا أساءة يا ند ، لا شىء من ذلك أبداً . . لا شىء . . لا شىء البتة

٣٠٥ وأيم الحق يا فتيان .

الأمير : ألا ترى الآن أن خوفك الخالص وجبنك الكامل قد جعلاك تسىء إلى هذه السيدة الفاضلة وذلك لكى تسوى أنت موقفك منا أهى واحدة من عداد الأشرار ؟ وهل صاحبة حانتك هذه من الأشرار ؟ وهل غلامك هذا من الأشرار ؟ وهل باردولف الأمين الذى تشتعل

٣٦٢ حماسته فى أنفه من الأشرار ؟

بوان : اجب أيها السند المتداعى . أجب .

فولستاف : لقد اتخذ الشيطان باردولف فريسة من فرائسه ووضع اسمه فى قائمة ضحاياه وجعل إبليس من وجهه مطبخه الخاص حيث يشوى ملمنى الجعة . أما الغلام فهو ملاكه الطيب يصاحبه فى الحياة . ولكن الشيطان

٣٦٨ يغالبه و يغريه بالخطيئة .

الأمير : وما شأن النسوة ؟

فولستاف : أما إحداهما فى جهنم فعلا وهى تعدى الأرواح البريئة وأما الأخرى فأنا مدين لها ببعض المال ،

٣٧٣ ولست أدرى هل ستنزل عليها اللعنة من أجل ذلك أو لا .

صاحبة الحان : لا وأؤكد لك .

فولستاف : لا . لا أعتقد أن اللعنة ستحل بك ، أعتقد أنك خلصت بسبب هذا العمل الطيب ، ولكن هناك جريرة أخرى بحق العذراء توشك أن تودى بك ، فأنت تسمحين بأكل اللحم[1] فى فندقك مخالفة بذلك القانون ، وهذا ذنب عظيم سيحملك على أن تجأرى بالصياح طلباً للرحمة .

صاحبة الحان : إن كل أصحاب الحانات يفعلون ذلك ، وما قيمة فخذة
٣٨١ أو اثنتين تؤكلان فى أيام الصوم كلها .

الأمير : أيتها السيدة الطيبة .

دول : ماذا يقول عظمة الأمير ؟

فولستاف : إن عظمة الأمير يقول من الكلام ما تثور عليه رجولته

(يسمع طرق على الباب من الخارج)

صاحبة الحان : من هذا الذى يدق الباب دقاً عالياً . انظر من الباب يا فرانسس .

(يدخل بيتو)

٣٨٨ الأمير : أهذا أنت يا بيتو ؟ . وما وراءك من أنباء ؟ .

---

(١) يقصد بأكل اللحم فى أيام الصيام .

بيتو : إن والدك الملك فى وستمنستر ،
وقد أتى عشرون رسولا من الشمال كلهم ضعاف منهكون ،

وقد مررت فى طريقى إليكم
باثنى عشر ضابطاً يسيرون على عجل مكشوفى
٣٩٢ الرؤوس .
يتصببون عرقاً ، وهم يدقون أبواب الحانات
ليسألوا كل من يلقاهم عن سير جون فولستاف .
٣٩٥ الأمير : بحق السماء يا بوان . إنى لأشعر بأنى الملوم
على إضاعة هذا الوقت الثمين عبثاً ،
بينما الثورة العاتية لا تزال مسلطة على رؤوسنا
كريح الجنوب المحملة بالأبخرة السامة المؤذية
وقد بدأت تذوب وتتساقط فوق رؤوسنا العارية المكشوفة
على بسيفى ومئزرى . وأنت يا فولستاف طاب ليلك .
(يخرج الأمير هنرى و بوان و بيتو و باردولف مسرعين)
فولستاف : والآن وقد حانت أطيب ساعات الليل وأحلاها فأنا
نغادر المكان دون أن نغتنمها (يسمع قرع جديد على الباب)
إن الباب يدق من جديد (يعود باردولف)
٤٠٤ مرحى . . . ماذا حدث

باردولف : يجب أن تسارع إلى القيادة على الفور يا سيدى إن بالباب اثنى عشر ضابطاً جاءوا كلهم لاستدعائك.

فولستاف : (إلى الغلام) يا غلام أد أجر هؤلاء الموسيقيين ، ووداعاً يا صاحبة الحانة ووداعاً يا دول ، وإنكما لتريان يا سيدتى الطيبتين إن ذوى المواهب يجد فى البحث عنهم ويسعى وراءهم ، فأما الخاملون فينامون ملء جفونهم وأما رجال الجد والعمل فيطلبون كلما جد الجد . وداعاً يا سيدتى الطيبتين . وإذا كان الأمر لا يستدعى سفرى على عجل ، فسأعود لرؤيتكما
٤١٤ مرة أخرى قبل أن أرحل .

دول : أنا لا أستطيع الكلام . . إن قلبي يكاد ينفجر (تبكى وتنتحب) أيها العزيز جاك أرجو أن تعتنى بنفسك

فولستاف : وداعاً . . وداعاً

(يخرج مع باردولف)

صاحبة الحان : رافقتك السلامة يا سيدى ؛ فقد عرفتك تسعة وعشرين عاماً ، فعد فى مستهل الصيف عندما تنضج البازلاء ، رافقتك السلامة يا سيدى ، فما عهدتك إلا أميناً طيب القلب (تبكى) مع السلامة . . مع السلامة .

باردولف : (من عند الباب) يا سيدة تيرشيت .

صاحبة الخان : ماذا حدث ؟

باردولف : مرى السيدة تيرشيت أن تأتى لسيدى .

صاحبة الخانة : أسرعى يا دول . . أسرعى يا دول الطيبة .

باردولف : هيا هيا أسرعى .

صاحبة الخان : إنها آتية حالا . . إنما تمسح دموعها المتساقطة

(تجفف وجه دول)

باردولف (يدخل) حسناً ألا تسرعى يا دول ، فإن سيدى ينتظرك

(يقودها إلى الداخل بينما تخرج صاحبة الخانة من الجهة اليسرى)

الفصل الثالث

المنظر الأول

القصر فى وستمنستر والوقت بعد منتصف الليل

(يدخل الملك فى جلباب النوم ومعه غلام)

الملك : اذهب يا غلام وادع ايرل سرى وايرل ورويك لمقابلتى
وقل لهما قبل أن يمثلا بين يدى أن يقرآ هذه الرسائل بإمعان
وأن يدرساها دراسة دقيقة . هيا عجل
(يخرج الغلام) ترى كم ألف من أفقر رعاياى فى هذه الساعة نائمون .
أيها النوم . . أيها النوم الجميل
يا طائر الطبيعة الحانى بالله ألا قلت لى كيف أزعجتك
وحرمت أجفانى لذة الرقاد ،
وسلبت حواسى نعمة النسيان ؟
ويحك أيها النوم . . كيف تؤثر الجحور الحبيسة برعايتك
وتهجر القصور الفسيحة المعطرة ويك أيها النوم . .

كيف تغشى عيون النوام فوق الوسائد الخشنة المقلقة
وتغرقهم فى لجة النعاس والذباب من حولهم يطن طنيناً
يؤرق الجفون ،
وتفضلها على الأسرة العالية ذات الكلات النفيسة التى
تضم مخادع الملوك
ومن حولك أنغام حلوة تنساب فى رقة تغرى بالسبات
العميق .

ويلك أيها الإله الوسنان لم تختار مثواك بين الرعاع
والسوقة
وعلى الفرش الخشنة الكريهة وتذر مخادع الملوك ذات
الستر الذهبية المبرقشة
قلق أصحابها مؤرقون لا يهدأون كأنما هى آلة حساب
الزمن فى علبتها إذ الناقوس دق لا يغفل لهم جفن أبداً ،
مالك أيها النوم تداعب عينى فتى سفينة
وتغرقها فى سبات عميق وهو جاثم فوق الصارية العالية
التى تتأرجح فوق مهد من اللجة العاتية ،
والريح من حولها تعصف وتثور فى غير انقطاع
وتمسك بناصية الأمواج الصاخبة

وتثنى رؤوسها الجبارة ، وتداخل ما بينها ،
وتغرق اللجة فى اللجة ، وترفعها حتى تتعلق بالسحب العابرة المتغيرة
فى أصوات مجلجلة وصخب يبعث الموتى من الأجداث.
إيه أيها النوم الظلوم ! مالك وأنت القادر على إغراق
فتى البحر المبلل فى سباتك العميق ، فى أشد الساعات اضطراباً وخشونة
تتأبى على ملك بلمسة لجفونه المؤرقة فى هدأة من الليل وبالغ من السكون ،
حيث الراحة مكفولة والوسائل كلها متوافرة ! ألا فلتهنأ
بالنوم أيها الحقير السعيد
وما أشقى الرأس الذى يلبس التاج .

(يدخل ورك وسير جون برن وسرى)

وارويك : نعمت أصباحك وسعدت أيامك يا صاحب الجلالة .

الملك : أهو صباح سعيد يا سادة ؟

وارويك : لقد جاوزت الساعة الواحدة يا مولاى .

الملك : إذن عمتم صباحاً جميعاً يا سادتى اللوردات .
هل قرأتم الرسائل التى بعثت بها إليكم

وارويك : قرأناها يا مولاى .

الملك : إذن رأيتم كيف اعتلت بنية مملكتنا
وأدركتم الأدواء التى تنتاشها
والخطر الذى يتهدد قلبها .

وروك : إنها أشبه بالجسم المنحرف المزاج منها بالمعتل ،
ولن تلبث أن تستعيد قوتها
حين يطب لها بالنصح السديد ويقدم لها شىء من دواء قليل ،
وسيدى لورد نورثمبرلاند لن يلبث أن تزول عنه حرارة الحمى وتهدأ شرته .

الملك : رباه . . ليت فى طوق الإنسان أن يطلع على الغيب
ليرى ما يأتى به الزمان من حدثان .
فيرى حيناً كيف تخر الجبال
وكيف تمل الأرض صلابتها وثباتها فتذوب فى البحر .
ويرى حيناً آخر
كيف ينحسر المحيط
تاركاً وراءه شاطئاً أوسع من ردف نبتون ،
ويرى كيف تملأ كأس الزمان صروفه وتقلباته وسخريات القدر .

أواه لو أمكن أن يطلع الإنسان على الغيب إذاً لطوى كتابه
حين يقلب النظر فيه ويسترجع ما مر به من أهوال
وحين يطلع سلفاً على ما سيَلْقى من فشل ،
إذاً لطوى كتابه وجلس مستسلماً للموت :
لم تمض بعد عشر سنوات
منذ كان رتشرد ونورثمبرلند الصديقين الحميمين
يطعمان معاً وما كادت تمر سنتان
حتى انقلبا عدوين لدودين يتحاربان . ومنذ ثمان سنوات
كان برسى هذا أقرب رجل إلى قلبي ،
يجد في خدمتي والعمل لصالحي كأنه أخ شقيق
وكرس لي حبه وحنانه ،
فعل كل ذلك من أجلي وتحدى ريتشاد جهاراً
(إلى وروك) ولكن أيكم كان حاضراً
يوم قال ريتشارد وعيناه تغيضان بالدمع
هذه الكلمات التي ثبت الآن أنها كانت نبوءة صادقة منه ؟
قالها حين لامه نورثمبرلند وعنفه .

أظنك أنت يا ابن العم نيفل الذى شهدت الحادث إذا
لم تخنى الذاكرة ،
لقد قال ريتشارد يومها « يا نورثمبرلند أنك إنت الدرج
التى سيرقى عليها ابن عمى بولنج بروك إلى عرشى »
وإن أكن علم الله حينئذ خلوا من هذه الرغبة
ولكن بلغ من ثقل وطأة الظروف على الدولة
أن اضطررت إلى أن أحتضن العظمة ،
وواصل ريتشارد حديثه قائلا : ولابد أن يأتى الوقت
الذى تتجمع فيه هذه الخطيئة الدنيئة
ثم تنفجر ليعم الفساد »
ومضى ريتشارد فى حديثه متنبئاً بما وقع فى هذه الأيام
ومنذراً بتفرق شملنا .

ورويك : إن فى حياة جميع الناس سجلا من التاريخ
يصور ما فات من طبائع ومن أزمات .
وإذا ما تأمل فيها إنسان فإنه يمكنه أن يتنبأ
على وجه قريب من إصابة الهدف .
بما ستتمخض عنه تطورات الأحداث
من نتائج لا تزال مطوية فى بطون الزمن
لم يحن مولدها بعد .

ومن تقليب النظر فى أحداث الماضى على هذا النحو
استطاع ريتشارد أن يصل إلى نبوءة صحيحة
عن نورثمبرلند العظيم ؛ رآه قد خانه ،
ورأى بذرة الخيانة هذه تنمو إلى خيانة أكبر .
وهذه لا تجد تربة تنمو فيها
إلا فيك أنت .

الملك : وهل هذه النتائج ضربة لازب .
إن يكن ذلك حقاً فلنواجهها إذن بشجاعة وصبر على
أنها أمور لا مناص ولا مفر منها
على أن هذه الكلمة لا تزال ترن فى آذانى محذرة وداعية
إلى أن ننهض ونعمل حتى لا نؤخذ على غرة .
إنهم يقولون إن قوات رئيس الأساقفة ونورثمبرلند
قد بلغت خمسين ألفاً .

ورك : هذا غير ممكن يا مولاى .
إن الإشاعات تضاعف تعداد المرهوبين
كما يضاعف الصدى الصوت .
قر عيناً يا مولاى وأرجو أن تذهب إلى فراشك مطمئناً
فإن القوات التى وجهتها إليهم
كفيلة أن تحرز النصر عليهم فى سهولة ويسر .

ولأزيدك اطمئناناً يا مولاى أقول لك
إنى تلقيت معلومات أكيدة بأن جلندور قد مات . .
لقد أمضيت يا صاحب الجلالة طيلة الأسبوعين الماضيين وأنت تعانى المرض .
وما من شك فى أن بقاءك ساهراً إلى هذه الساعة المتأخرة
سيزيد من مرضك شدة .

الملك : سأعمل بنصيحتك
ولو أن هذه الحرب الأهلية سكنت ريحها وانتهت
لذهبنا جميعاً أيها السادة الأعزاء إلى الأراضى المقدسة .

(يخرجون)

المنظر الثانى

أمام منزل القاضى شالو فى جلوستر شاير

(يدخل شالو وسيلنس و يلتقيان وجها لوجه ومن خلفهم مولدى وشادو ووارت وفيبل وبل كاف وخدم)

شالو : تعال يا سيدى تعال . هات يدك ، أعطنى يدك يا سيدى وحق الطبيب إنك لمن القوامين المباكرين (يتصافحان) كيف حالك يا ابن العم سيلنس الطيب .

٥ سيلنس : نعمت صباحاً يا ابن العم الطيب شالو .

شالو : وكيف حال ابنة العم قرينتك ، وكيف حال ابنتك الجميلة وابنتى فى العماد إلين

٩ سيلنس : وا أسفاه إنها غراب نوحى يا ابن العم شالو .

شالو : إنها جميلة ولا شك أقولها بكل تأكيد يا ابن العم . أعتقد أن ولم أصبح طالب علم ممتاز ألا يزال يدرس فى أكسفورد كما عهدته ؟

١٣ سيلنس : أجل يا سيدى وهو يبهظ كاهلى بنفقاته .

شالو : لا بد له أن يتابع بعد ذلك دراسة القانون فى إحدى كلياته وأظن أن ذلك بات قريباً ، وقد التحقت بعض

الوقت بكلية كلمنت وأعتقد أنهم لا يزالون هناك
١٩ يتحدثون عن شالو المجنون .

سيلنس : لقد كانوا يدعونك حينئذ شالو الماجن يا ابن العم .

شالو : فبحق القداس لقد كنت أنعت بكل النعوت وكنت أفعل كل ما بدا لى عامداً متعمداً من غير تحرز ولا مبالاة بشيء ما . لم أترك شيئاً لم أفعله ، لقد كنا صحبة فى هذه الأيام أنا وجون دويت من استافوردشير وجورج بارنز الأسود وفرنسيس بكبون وول سكويل من أبناء كوتسول المتمرسين بأعمال الفروسية وضروب الرياضة البدنية . وما أظن كليات القانون قد احتمع لها مثل هؤلاء الأربعة من الشبان الماجنين الصاخبين بعد ذلك ، وأقول لكم الحق إننا كنا أعرف الناس
٢٥ بالأماكن التى تغشاها بنات الهوى من الطبقة الممتازة ، وكانت خيرهن مقاماً طوع بناننا ، وكان جاك فلستاف ، سير جون الآن ، وقتئذ غلاماً صغيراً وتابعاً لدوق نورفولك توماس مبراى .

سيلنس : أهو سير جون هذا الذى سيأتى إلى هنا الآن ليجمع
٣١ المجندين يا ابن العم .

شالو : هو نفسه . . هو بعينه لقد رأيته يشج رأس سكوجان

عند باب القصر ، وكان لم يزل حدثاً لم يبلغ هذه المكانة بعد . وفى اليوم نفسه تشاجرت أنا خلف كلية جراى مع فاكهى متجول يدعى سمبسون استكفش . يا لها من أيام بحق يسوع ، أيام الطيش والنزق التى أمضيناها ، إنى لأذكرها فأذكر الكثيرين من
٣٨ إخواننا الذين قضوا نحبهم .

سيلنس : هم السابقون ونحن اللاحقون يا ابن العم .

شالو : هذا أمر لا ريب فيه ، مؤكد لا مفر منه ، فالموت كما يقول مؤلف المزامير حتم مقضى على العباد جميعاً ، والكل مساقون إلى الموت ؛ كم بلغ ثمن الزوج من
٤٣ : الثيران الجيدة فى سوق استمفورد .

سيلنس : لم أكن فى السوق وأيم الحق .

شالو : الموت حتم . . قل لى أيزال ابن بلدتكم دبل العجوز حياً يرزق ؟

٤٧ سيلنس : لقد مات يا سيدى .

شالو : مات . . يا يسوع يا يسوع . . أمات مع أنه كان بارع الرماية بالقوس لقد كان صائب الرمية . . وكان جون جونت يحبه حباً جماً ويراهن بأموال كثيرة على براعته . . أيمكن أن يموت مثل هذا الرامى البارع ؟

لقد كان يطلق السهم من كنانته على بعد مائتين وأربعين ياردة ، فيصيب قلب الهدف تماماً وكانت سهامه المستقيمة بعيدة المدى تبلغ أهدافها من مسافة مائتين وثمانين ياردة أو مائتين وتسعين . لقد كانت رمياته تدخل السرور على قلوب مشاهديها ، كم تساوى عشرون نعجة الآن ؟

سيلنس : هذا يتوقف على حالتها . فإن كانت فى حالة جيدة فإنها تساوى عشرة جنيهات .

شالو : فقد مات ديل العجوز !

(يدخل باردولف ومعه شخص آخر)

سيلنس : هاهما اثنان من رجال سير جون فولستاف قادمان فيما أظن .

شالو : عمتما صباحاً أيها السيدان الشريفان .

باردولف : أرجوك يا سيدى . . من منكم هو القاضى شالو ؟

شالو : أنا روبرت شالو يا سيدى . . سيد متواضع من أهل هذه المقاطعة وأحد قضاة الملك . . فما الذى تبتغيه منى

باردولف : إن قائدى يا سيدى يحييك أحسن تحية ، وقائدى هو سير جون فولستاف فارس مقدام بحق السماء ، وزعيم آية فى الكرم والشهامة .

شالو : إنه يبعث لى بأطيب التحيات . . لقد كان حين عرفته يا سيدى مبارزاً بارعاً بالعصا . كيف حال الفارس الطيب ؟ وهل لى أن أجرؤ وأسأل كيف حال سيدتى
٦٥ زوجة الفارس ؟

باردولف : عفواً يا سيدى . . فالجندى يكون مكفول الراحة أكثر ، من غير زوجة .

شالو : أحسنت القول يا سيدى وأيم الحق . . أحسنت القول حقاً . أجل هو مكفول الراحة هذا كلام طيب . . نعم كلام طيب حقاً ، والعبارة الطيبة تستحق بالتأكيد بالغ الإطراء وهى دائماً أبداً تذكر بالحمد . . مكفول الراحة إنها مشتقة من أراح يريح . . هذا تعبير جيد . إنها عبارة جيدة .

بادولف : عفواً يا سيدى لقد استمعت إلى الكلمة كلمة الأمر أتسميها عبارة ؟ وحق هذا الصباح أنا لم أسمع قط عن هذه « العبارة » ولكنى سأحافظ على هذه الكلمة وأحميها بسيفى ، لتكون بحق السماء كلمة خليقة بجندى وأمراً حقيقاً أن يصدر من أفواه قائد رشيد . مكفول
٨٤ الراحة يا سيدى كلمة تقال عندما يكون الرجل كما يقولون متمتعاً بالراحة أو عندما يظن أنه حيثما يكون

تكفل له الراحة ، وهو أمر آية فى الإبداع .

(يدخل فلستاف)

شالو : هذا كلام صحيح ، أنظر ها هو ذا سير جون فلستاف الطيب قد أقبل (يسرع نحوه) . . مد لى يدك الكريمة يا سيدى . . هات يدك الكريمة يا صاحب السماحة ، تالله إنك تبدو غاية فى الصحة والقوة ، فتيا لم تمسسك الشيخوخة ، مرحباً بك يا سير جون الطيب .

(يتصافحان)

فولستاف : إنى سعيد أن أراك بخير يا سيدى الطيب روبرت شالو وهذا فيما أظن هو السيد شوركارد .. أليس كذلك .

شالو : كلا يا سير جون إنه ابن عمى سيلنس . زميلى فى القضاء

فولستاف : أيها السيد الطيب سيلنس أن مهنة السلام تصلح لك وتليق باسمك .

سيلنس : مرحباً بك يا صاحب السماحة الطيب .

فولستاف : (وهو يجفف جبينه) تبا لهذا الجو الشديد الحرارة أيها السادة ، هل أعددتم لى ستة من الرجال الأقوياء الأشداء لتزودونى بهم ؟

شالو : أجل وحق العذراء . . لقد أعددناهم لك ، فهلا جلست يا سيدى .

١٠٥ فولستاف : (يجلس) دعونى أراهم أرجوكم .

شالو : (مضطربا) أين كشف المجندين ، أين الكشف ، أين الكشف ؟ دعونى أره، دعونى أره ، . دعونى أره . فلان وفلان وفلان هذا حسن يا سيدى . رالف مولدى ، ذرهم يتقدموا كلما ناديت أحدهم بالاسم ، مرهم أن يفعلوا ذلك، مرهم أن يفعلوا ذلك ودعونى

١١١ أرهم . أين مولدى .

مولدى : هأنذا إذ أذنت يا سيدى .

شالو : ما رأيك فى هذا يا سير جون ؟ إنه فتى مفتول ، فتى وقوى وذو نسب عريق .

١١٥ فولستاف : هل اسمك مولدى (العفن) ؟

مولدى : أجل إن أذنت يا مولاى .

فولستاف : هذا أدعى إلى أن تستخدم فوراً لتزيل الأرساخ التى علقت بك .

شالو : ها .. ها . . ها هذه نكتة بارعة وأيم الحق ، فالأشياء العفنة قد تعفنت من قلة الاستعمال . . هذه نكتة فريدة بارعة . لقد أحسنت القول وأيم الحق يا سير جون. نعم لقد أحسنت القول .

١٢١ فولستاف : . . اثقب اسمه فى القائمة .

مولدى : كفى وخزاً . . لقد لقيت من الوخز الأمرين من قبل ، وخير أن تخلى سبيلى ، وتدعنى لحالى ، فإن أمى العجوز ، ستهلك أسى إن أنا جندت من العوز ، فهى ستعدم من يكدح ويفلح من أجلها . . وما أحسبك فى حاجة إلى أن تزيد متاعبى ، ومن الناس غيرى من

١٢٦ هم أكثر صلاحية منى للخروج إلى الحرب .

فولستاف : لا عليك من هذا والزم الصمت يا مولدى . لابد أن تذهب يا مولدى فقد حان الوقت لتستهلك .

مولدى : أستهلك ! .

شالو : اصمت يا رجل . . اصمت وتنح جانباً ، ألا تعرف أين أنت ؟

فلننتقل إلى الآخرين يا سير جون ولأنظر من يكون

١٣١ التالى إنه سيمون شادو .

فولستاف : حسناً وحق العذراء لآخذن هذا الشادو (الظل) لأجلس تحته ليكونن جندياً فاتر الحماسة .

شالو : أين شادو ؟

(يتقدم رجل نحيل)

شادو : هأنذا يا سيدى .

١٣٧ فولستاف : اسمع يا شادو ابن من أنت ؟

شادو : ابن أمى يا سيدى .

فولستاف : ابن أملك . . هذا أمر جد محتمل . . نعم ابن أملك وصورة من أبيك فابن الأنثى خيال الذكر . هذا فى
١٤٢ الأغلب ولكن فى هذا الخيال كثير من بنية الأب .

شالو : أيعجبك هذا الرجل يا سير جون ؟

فولستاف : سنجنده للخدمة فى الصيف ، فاذكر اسمه فى القائمة ، فإن لدينا أشباحاً كثيرة لا وجود لها نملأ بها قائمة
١٤٦ المجندين .

شالو : توماس وارت

فولستاف : أين هو ؟

(رجل ممزق الثياب)

وارت : هأنذا يا سيدى .

١٥٠ فولستاف : أ اسمك وارت

وارت : أجل يا سيدى .

فولستاف : إنك ممزق الثياب حقاً وياوورت .

شالو : أتأذن لى أن أثقب اسمه ياسير جون .. أأخزه .

فولستاف : خل عنه فهذا لا لزوم له وكفاه أن ملابسه معلقة فوق
١٥٦ ظهره لا تمسكها إلا الدبابيس . فبالله لا تزده وخزاً .

شالو : ها . ها . . إنك بارع النكتة يا سيدى . إنك حاضر

البديهة أنا شديد الإعجاب بظرفك يا سيدى .
فرانسس فيبلْ !

(يتقدم رجل ضئيل الجسم)

فيبل : هأنذا يا سيدى .

١٦٠ شالو : ما صناعتك يا فيبل

فيبل : حائك ملابس النساء يا سيدى .

شالو : هل أثقب اسمه يا سيدى

فولستاف : لك ذلك ، ولو أنه كان للرجال لكان هو الثاقب لك ، أرجو أن تحدث من الثغرات فى صفوف العدو ما أحدثته

١٦٦ فى ملابس السيدات .

فيبل : سأبذل غاية جهدى ، ولن أدخر وسعاً ، وليس لك على أكثر من ذلك .

فولستاف : أحسنت القول يا حائك السيدات الطيب . أحسنت القول يا فيبل الشجاع ، لتكونن جسوراً كالحمامة الغضبى شديد الإقدام كالفأر الشجاع اثقب اسم

١٧٣ اسم حائك النساء جيداً يا شالو وعمق الثقب يا شالو .

فبيل : وددت لو يذهب وارت يا سيدى ؟

فولسناف : وددت لو كنت حائك رجال لتصلح من شأنه وتجعله أهلا للذهاب . فليس فى طوقى أن أجعل من قائد

للآلاف التي تكمن في ملابسه المهلهلة جندياً متطوعاً — وفي هذا القدر الكفاية يا فيبل القوى .

فيبل : في هذا الكفاية يا سيدى .

فولستاف : أنا شاكر لك يا فيبل المحترم . هات التالى يا سيدى .

شالو : بيتر بل كاف من المروج .

فولستاف : فلنر بل كاف هذا . .

بل كاف : (شاب بدين) هأنذا يا سيدى .

فولستاف : أشهد الله أنه فتى ممتلئ قوى البنية . . هيا خز هذا العجيل حتى يخور خواراً عالياً .

بل كاف : أواه يا سيدى . . سيدى القائد .

فولستاف : ما بك يا رجل أتخور قبل أن توخز ؟

بل كاف : أواه يا سيدى إنى رجل معتل ممروض .

فولستاف : وما علتك ؟

بل كاف : برد لعين يا سيدى وسعال شديد أصابنى حين عينت في خدمة الملك لأدق أجراس الفرح يوم تتويجه يا سيدى .

فولستاف : لا بأس عليك لتذهبن إلى الحرب في معطف يدفئك

بدلا من بزة جندى وسنخلصك من هذا البرد الذى تشكو منه ، وسأتخذ تدابير ليقرع إخوانك الناقوس بدلا منك ولك إن استشهدت فى المعركة . أهذا كل ما عندكم من رجال ؟ ١٩٩

شالو : لقد استدعينا اثنين أكثر من العدد المطلوب لك . فالتعليمات التى لدينا أن نعد لك أربعة رجال فقط يا سيدى . وما دمنا قد انتهينا فأرجوك يا سيدى أن تدخل معى لتناول العشاء .

فولستاف : هيا بنا سأدخل لأشرب معك.ولكنى لا أستطيع أن أتأخر لتناول العشاء . . إنى مسرور وأيم الحق برؤيتك يا سيد شالو . ٢٠٥

شالو : أتذكر يا سير جون تلك الليلة التى قضيناها بطولها معاً فى حانة الطاحونة فى ميدان جورج القديس .

فولستاف : خلنا من هذا الحديث يا سيد شالو الطيب ودعك منه .

شالو : ها . . ها لقد كانت ليلة بهيجة مرحة وبهذه المناسبة ألا تزال جيل نايت ورك على قيد الحياة ؟ ٢١١

فولستاف : حية ترزق يا سيد شالو .

شالو : إنها لم تكن تقدر على بعدى أبداً .

فولستاف : أبداً . . أبداً . . وكانت تحب دائماً أن تقول إنها

٢١٥ لا تستطيع الصبر على السيد شالو .

شالو : تالله لقد كنت أستثير غضبها من الأعماق . . كانت من أجمل بنات الهوى . . فهل يا ترى لا تزال محتفظة بجمالها ؟

٢١٩ فولستاف : لقد هرمت . . هرمت يا سيد شالو .

شالو : أجل لابد أنها أصبحت عجوزاً ، ولا اختيار لها فى ذلك ، لقد بلغت الشيخوخة لا محالة ، فقد زفها روبن العجوز إلى روبن نيت ورك قبل أن التحق أنا بكلية كليمنت .

٢٢٤ سيلنس : كان هذا منذ خمس وخمسين سنة .

شالو : آه لو أنك رأيت يا ابن العم سيلنس ما رأيته أنا وهذا الفارس . إيه يا سير جون أليس صحيحاً ما قلته ؟

فولستاف : أجل ولطالما سهرنا الليل نعربد ونسكر ونسمع الساعة تدق منتصف الليل .

شالو : نعم فعلنا هذا يا سير جون . . هذا ما فعلناه وأيم الحق وكانت كلمة السر بيننا ودعوة السهر والعربدة « مرحى يا أولاد » هيا نتناول العشاء . هيا نتعشى هيا بنا .. هيا .

(يتقدم شالو وفولستاف إلى الداخل ومن ورائهما سيلنس)

سيدى الطيب البشجاويش باردولف ، أترسل إليك

أن تكون شفيعى ، وهاك أربعة أنصاف جنيه من عملة الملك هارى أدفعها لك بالأرباع الفرنسية ، خذها لك مقابل خدمتك لى ، فأنا أفضل أن أشنق على أن أذهب إلى الحرب ، وفى الحق يا سيدى أن الأمر من ناحيتى لا يعنينى فى كثير ولا قليل ولكن المسألة أننى لست راغباً فى الذهاب وإنما أحب أن أبقى مع أصدقائى ،ولولا ذلك يا سيدى لما حفلت من جانبى بهذا الأمر .

باردولف : لا عليك ، تنح جانباً يا رجل .

مولدى : سيدى الطيب الباشاويش القائد . . أتوسل إليك أن تكون شفيعى وأن تتوسط فى إطلاق إكراماً لأمى العجوز ، فليس لها من يعولها بعدى أو يقضى حوائجها إن انا ذهبت إلى الحرب . . إنها عجوز ولا تستطيع أن تخدم نفسها بنفسها ، ولك مقابل هذا يا سيدى أربعون شلناً .

(يلوح له بشلن فى يده)

٢٤٩ باردولف : لا عليك تنح جانباً .

فيبل : وأيم الحق إن هذا الأمر لا يهمنى فى شىء ، والإنسان لا يموت إلا ميتة واحدة ، وإذا كنا سنموت لا محالة ،

فلا مفر من أن توفى بهذا الدين إن عاجلا وإن آجلا .
وأنا أضيق صدراً بالعقول الأسنة وإذا كان فى ذهابى
موتى فأهلا ومرحباً بالموت . وإلا يكن فلا بأس .
وما من أحد أعظم من أن يموت ليخلص فى خدمة
أميره ، فلتسر الأمور كما تسير ، وفى أى طريق تشاء
فمن يلق حتفه اليوم فقد خلص من ذنبه وأعفى من
٢٥٥ : دينه غداً .

باردولف : أحسنت القول وما أنت إلا رجل طيب .

فيبل : فى الحق أنى لا أطيق العقول الحقيرة .

(يعود فلستاف والقاضيان)

فولستاف : تعال يا سيدى وقل لى أى الرجال من نصيبى ؟

شالو : أى أربعة منهم ترضى عنهم .

باردولف : (جانبا) سيدى أرجو أن تسمح لى بكلمة لقد أخذت
٢٦١ ثلاثة جنيهات مقابل إطلاق مولدى وبل كاف .

فولستاف : لا عليك كما تشاء .

شالو : تعال يا سير جون واختر الأربعة الذين تريدهم .

فولستاف : اختر أنت لى .

٢٦٧ شالو : بحق العذراء إذن خذ مولدى ، وبل كاف . وفيبل
وشادو .

فولستاف : فأما مولدى وبل كاف فخلفهما . يا مولدى ابق فى بيتك حتى تتجاوز سن الخدمة وتعفى منها ، وأنت يا بل كاف أكبر حتى تبلغ سن الخدمة فتطلب إليها . لن آخذ أياً منكما .

شالو : يا سير جون . . يا سير جون . . لاتخطئ فى حق نفسك ، إنهما أمثل رجلين للعمل معك ، وأنا أود أن أزودك برجال أكفاء يعدلون خير جنود جيشك . ٢٧٤

فولستاف : أتعلمنى يا سيد شالو كيف أختار الجندى الذى ينفعنى ؟ أفأعنى بالأطراف المفتولة والعضلات القوية والهيئة والجسم والرجل الطرير ؟ لا ، وإنما الذى يعنينى هو الروح . . الروح يا سيد شالو . اعطنى الروح يا سيد شالو ثم لا تسل عن شىء بعد ذلك . فهذا وارت نحيل تزدريه العين ولكن فى أثيابه أسد هزبر ، هذا الوارت سيشحن بندقيته ويطلقها ويشحنها فى سرعة المطرقة التى يدق بها الحداد المعادن ويرفعها ويخفضها فى لمح البصر وبأسرع وأخف من رافع جرار الجعة . وهذا الرجل شادو ذو الوجه النحيل المشطور مثله ، اعطنى هذا الرجل فهو فى ضآلته لا يصلح أن يكون هدفاً للعدو ، فالعدو قد يستطيع

أن يحكم التصويب على رأس مبراة وأن تتاح له فرص محققة للإصابة وهذا فيبل حائك ملابس النساء ما أسرعه فى العدو عند التراجع بالله عليك اعطنى هؤلاء النحال وخل لك الطراوه يا باردولف اعط وارت بندقية وأرنى كيف يمسك بها .

باردولف : (يعطيه بندقية) قف مكانك ، تقدم إلى الأمام ، إلى الخلف سر على هذا النحو ، سر . عد هكذا هكذا .

فولستاف : اقترب منى وأرنى كيف تستعمل بندقيتك . . هذا هذا . حسن جداً لا عليك هذا حسن جداً (وارت يمسك بالبندقية ويستعملها بطريقة سمجة مضحكة) ناشدتك الله أن تعطنى دائماً الصغار العجاف المسنين ذوى الوجوه المتغضنة الرماة . أحسنت صنعاً يا وارت وأجدت وأيم الحق . إنك أجدت يا وارت . قف وخذ هذا النصف شلن مكافأة لك .

شالو : (يمسك بالبندقية) إنه ليس حاذقاً فى هذه الصنعة فهو لا يحسنها ولا يؤديها على وجه صحيح ، وإنى لأذكر يوماً فى ميل اند جرين عندما كنت مقيماً فى كلية كليمنت أننى قمت بدور سير داجونيت مضحك الملك أرثر

فأذكر رجلا سرسع كتلك التماثيل الهزيلة التى يصنعها
الآكلون بعد العشاء من قشور الجبن ليسلوا أنفسهم ،
وحين كان يتعرى كان يبدو كأنه فجلة حمراء
صنع لها رأس خيالى عجيب ، بحز السكين . لقد
كان نحيفاً مهزولا قميئاً تقتحمه العين وتزدريه .
لقد كان الجوع مجسماً ، ولكنه كان شبقاً كالقرد ،
وكانت البغايا يسمينه اللقاح . وكان ذا هيئة فى
ملبسه وطباعه لا يساير الزمن فى طرزه ولا سلوكه
وكان يغنى للعاهرات الساقطات اللاتى تهرأ جلودهن
السياط الأغانى والأنغام التى يرددها سائقو العربات ،
ثم يقسم لهن أنها من وحى خياله ومن تأليفه وتلحينه
نظمها فى الهوى والحب . هذا السيف من خشب أصبح
الآن سيداً يتحدث عن جون جونت من غير كلفة
كأنما هما صديقان حميمان ، مع أنى أقسم إنه لم يره
قط فى حياته إلا مرة واحدة فى التلت يارد [١] وقد شج
رأسه وقتئذ لأنه أقحم نفسه بين منظمى هذه المسابقات .
وقد شهدت ما حدث وقلت لجون جونت إنه ضرب

(١) فى وستمنستر حيث تعقد المسابقات الدورية .

رجلا يستحق اسمه بحق ، لأنه كان فى إمكانه أن يطويه هو وجميع ملابسه يدسه فى ثوب ثعبان السمك[1] . لقد كانت حقيبة المزمار الرفيع الطويلة فى نظره منزلا فخما بل قصراً عظيما ، ولكنه الآن يمتلك أراضى وأبقاراً حسنا . . لأتقربن إليه إن عدت وأزداد به معرفة . . ستكون الطريقة شاقة ولكنى سأوطئه لخدمتى وأستغله لفائدتى كأنما هو حجر الفلاسفة ، ولكنى سأبتز منه الفائدة ضعفين ، وإذا كان الحوت الضخم يأكل السمك الصغير النشط فلست أرى فى قوانين الطبيعة ما يمنعنى من أن أتغذى أنا الآخر على هذا الشالو البليد . ألا فلتستقر الدنيا على وضع وبعدها أتفرغ أنا لهذا الأمر وأقلبه على وجوهه

(يخرج)

---

(١) أى أنه ضئيل الجسم .

الفصل الرابع

المنظر الأول

يوركشير . غابة جولترى

(يدخل رئيس أساقفة يورك فى لبوس من حديد وممبراى وهيستنجز ولورد باردولف وآخرون)

كبير الأساقفة : ما اسم هذه الغابة ؟

هيستنجز : إنها غابة جولترى إن أذنت يا صاحب النيافة .

كبير الأساقفة : فلنقف هنا أيها السادة ونبعث بعيوننا وأرصادنا
ليتأكدوا لنا من تعداد عدونا .

هيستنجز : لقد بعثنا بهم فعلا .

كبير الأساقفة : أحسنتم صنعا
إن واجبى يقتضينى يا أصدقائى وإخوانى . فى هذا الأمر العظيم
أن أفضى إليكم أنى تلقيت مؤخراً
رسائل حديثة التاريخ من نورثمبرلند
خائرة المرمى فاترة اللهجة والمبنى يقول فيها

إنه كان بوده أن يكون هنا معنا بشخصه ومعه قوات
١ تتفق فى عددها وعدتها مع ماله من مكانه رفيعة .
ولكنه لم يرفق إلى تجنيد هذه الجيوش ،
ومن ثم فقد اضطره هذا العجز عن تجميعها
أن ينسحب الآن فى اسكتلندا حتى تواتيه الفرص التى
أخذ يدنو قطافها .
واختتم رسائله بخالص الدعوات أن يكلل الله جهودنا
بالنجاح . وأن يكتب لنا الغلبة
ويجنبنا شر ما تأتى به الأيام من حادثات فى المعارك
الرهيبة مع خصومنا الذين نحاربهم .

مبراى : وهكذا انهارت صروح الآمال التى بنيناها عليه ،
وتناثرت حطاماً وذهبت أدراج الرياح .
(يتقدم رسول)

هيستنجز : هيه . . ما وراءك من أنباء .

الرسول : إلى الغرب من هذه الغابة وعلى مسيرة أقل من ميل
من هنا
يربض العدو على أتم أهبة
ومن مساحة الأرض التى تتستر فيها قواته
قدرت عدده بثلاثين ألفاً أو نحوها .

مبراى : هذا هو نفس العدد الذى قدرنا به قواته .
فهيا نتحرك قدماً للقائه فى الميدان .

(يرى وستمورلند و بعض الضباط من حاشيته يقتربون)

كبير الأساقفة : من هذا القائد الشاكى السلاح الذى يواجهنا هنا ؟
مبراى : أظن أنه سيدى اللورد وستمورلند
وستمورلند : أهديكم أطيب التحيات وأمانى الصحة والعافية
من قائدنا الأمير ولورد جون ودوق لانكستر .
كبير الأساقفة : قل وأنت آمن يا سيدى وستمورلند . .
ما هو الهدف من مقدمك
وستمورلند : إذن ، يا سيدى ،
إلى نيافتك على وجه الخصوص أسوق حديثى .
فلو أن هذا العصيان لبس ثوبه المعتاد ،
وقام به جماعات السوقة من السفلة والأوغاد .
يقودهم شبان طائشون فى أسمال بالية
وغلمان معوزون ،
أقول يا سيدى . . لو أن هذه الثورة اللعينة بدت فى صورتها الطبيعية
وظهرت على حقيقتها وفى شكلها الطبيعى الملائم لها ، .
لما وجدتم هنا يا سيدى الأب المحترم ، ولا هؤلاء

السادة النبلاء

ليخلعوا على هذه الثورة الكريهة الطائشة الوضيعة
ثوب القداسة و يظهرو ها بمظهر الكرامة
الذى تنتحله بانتسابها إليكم أيها السادة الشرفاء .
وأنت بالذات يا سيدى رئيس الأساقفة
يا من تدين بكرسيك المقدس لقيام حكومة مدينة؟ منظمة
تحافظ على السلام والأمن .
ويا من وخطت يد السلام الفضية لحيته .
ويا من أعانه السلام على نشر ثقافته وعلمه .
ويا من تصور ملابسه الأسقفية البيضاء البراءة
وتصور رقة الحمائم رسل السلام وروح المحبة المباركة
فيما تنكرت يا سيدى لرسالتك رسالة السلام
وأسأت التعبير عن نفسك
فتحولت من حديث السلام المحوط بالبركات ونطقت
بلسان الحرب الخشن اللعان ؟
وأحلت كتبك إلى قبور ، ومدادك إلى دماء ،
وأقلامك إلى حراب ولسانك الإلهى المقدس
إلى نفير عال للطعان وداعية للحروب .

كبير الأساقفة : أتسائلنى لم فعلت ذلك ؟ . . إذن إليك الجواب . .

فعلت ذلك فى اختصار لا بلغ هذا الهدف ،
إننا جميعاً معتلون مرضى و بإسرافنا فى الملذات والشهوات
جلبنا على أنفسنا الحمى المحرقة ،
ولا مفر لنا إذا أردنا الشفاء من أن نريق بعض الدماء .
وقد أصيب ملكنا السابق وتشرد بهذه الحمى وقضى
بها نحبه ،

ولكنى يا سيدى اللورد النبيل وستمورلند
لا أحب أن اجشم نفسى مشقة القيام بدور الطبيب ،
فأصف الدواء الناجع لهذه العلة ،

لا ولست أنضم إلى هذه الجحافل المجندة من رجال
الحرب

لأنى عدو للسلام
وإنما أوثر فى هذه الأيام أن أتظاهر بشن حرب مروعة
لأرد الذين صدأت نفوسهم وبشمت من الترف واللين
إلى حياة مستقيمة وإلى صحة كاملة بإلزامهم عادات
الجندية المنظمة
ولأطهر نفوسنا من هذا التراخى الذى يكاد يفسد علينا
حياتنا ويجمدها عن الحركة

واسمعني أزيد الأمر إيضاحا :
ولقد وازنت بميزان دقيق
بين الأضرار التي قد تحدثها سيوفنا التي امتشقناها وبين
المظالم التي نشكو منها
فوجدت أن متاعبنا وآلامنا أثقل موازين من ذنوبنا
وخطايانا
إننا نتابع مجرى الزمن بأنظارنا ونرى إلى أى طريق نتجه
ولكن الأمواج العاتية الطارئة
قد انتزعتنا انتزاعاً من أحضان الشاطئ الآمن والسلام .
وحملتنا على أن نعدد آلامنا ومظالمنا
وأن نحددها تفصيلا لنقدمها عندما تسنح الفرصة .
هذه المظالم بالذات قد رفعناها من أمد طويل قبل ذلك
إلى الملك ،
ولكنها رغم كل ما بذلنا لم تجد منه أذناً صاغية كما
أملنا .
وحين يعتدى علينا وتنزل بنا المظالم ونرغب فى أن نفضى
إليه بآلامنا وشكوانا
يحال بيننا وبين أن نلقاه شخصياً .
وممن ؟ من أولئك الذين بالغوا فى إحاقة الأذى بنا .

إن مصائب الأيام القريبة
التى مرت والتى لا تزال ذكراها عالقة بالأذهان ،
ولم تختف معالمها الدامية
والتى ما تزال كل دقيقة تمر بنا الآن ،
تقيم الدليل عليها وتمدنا بالبرهان الحى ،
هذه المصائب هى التى حملتنا على أن نظهر بهذا
المظهر الثائر ممتشقين الحسام،
لا لنعكر السلام أو أى فرع من فروعه ؛
بل لنقيم حقاً سلاماً دائماً ؛
اسماً وفعلا .

وستمورلند : قل لى متى رفض الملك طلبكم ؟
وأين أساء معاملتكم . وتجافى عنكم ؟
بل أى لورد من اللوردات حرضه الملك سراً على تحديك
أو استثارة غضبك
حتى تبارك هذه الثورة الطائشة المفتعلة غير المشروعة
وتمنح القداسة لسيفها ؟

كبير الأساقفة : إن ثورتى يا سيدى هى من أجل الصالح العام على
العموم
ومن أجل أخى الذى قتل بأمر من الملك بصفة خاصة

لأن موته خسارة لأسرتنا تمسنى بالذات .

وستمورلند : لا داعى لدفع هذا الحيف ،
وإذا كان ولا بد منها فلست أنت الذى تدفعه .

مبراى : لم لا يقوم بنصيبه منه ونقوم نحن جميعاً بنصيبنا . .
نحن الذين تحملنا جراح الأيام الماضية ومصائبها ،
وما زلنا نقاسى الظروف التى تفرضها علينا هذه الأيام العصيبة
التى تنزل من قدرنا ومكانتنا وتعرضنا للمهانة ظلماً وعدواناً .

وستمورلند : سيدى الطيب لورد مبراى . .
لو أنك فسرت الأمور على ضوء الضرورات التى تمليها
لوجدت نفسك مضطراً إلى أن تسلم بأن الزمن
هو الذى يوقع بك الأضرار وليس الملك ،
ومع ذلك يا سيدى ، لو أننا أخذنا الأمر من ناحيتك الشخصية بالذات
لما وجدنا أدنى سبب فيما أرى
يدعوك إلى الشكوى من تصرفات الملك أو من صروف الزمان .
ألم تستعد
كل حقوق دوق نورفلك وممتلكاته ؟

وألم تسترد كل مخصصات آبائك الأمجاد المذكورين
بالحمد والثناء وألقابهم أيضاً ؟

مبراى : ما دمنا نتحدث عن الشرف فأى ذنب جناه أبى
استوجب تجريده من ألقاب الشرف
حتى يقال إننى حوبيت بإعادتها إلى وأكرمت بخلعها
على ؟
إن أبى لم يأثم قط بل إن الملك الذى كان يحبه
دفعته الضرورة الملجئة فى ظل الظروف والحوادث التى
وقعت فى عهده إلى أن يتخلى عنه وينفيه ،
فى نفس الوقت الذى كان هو وهنرى بولنج بروك
قد امتطيا جواديهما وتأهبا لخوض المعركة ، واشرأبا
برأسيهما للقتال ،
وصهل جوادهما صهيلا متصلا ليحثاهما على أن يعملا
مهمازيهما ويطلقا لهما العنان ،
فى نفس الوقت الذى استلا فيه رمحيهما وشرعاهما تأهباً
للنزال ،
وقد أسدلا على وجهيهما ، وقدحت عيونهما
بالشرر من خلال ثقوب الصلب الذى تدرعا به ،
وقد أطلق نفير الحرب عالياً إيذاناً بالالتحام .

عندئذ وعندئذ حين لم يكن شيء
يحول بين أبي وبين صدر بولنج بروك ،
وا أسفاه . . قذف الملك بهراوته إلى الأرض مؤذناً
بوقف القتال ،
وقد كانت حياته معلقة على هذه العصا التي ألقاها .
وهكذا أهلك نفسه وأهلك جميع من كانوا معه ،
هلكوا جميعاً في عهد بولنج بروك إما بسيف القانون
الذي سلط عليها ،
وإما بحد السيف في ميادين القتال .

وستمورلند : إنك ترجم بالغيب يا لورد مبراي
فمن أدراك لأيهما كان سيبسم الحظ في هذا الصراع ،
فايرل هيرفورد كان معروفاً في إنجلترا كلها حينئذ
بأنه سيد مغوار وفارس مقدام .
ومع ذلك لو أن النصر حالف أباك
لما استطاع أن ينعم به ولا أن يفر بجلده من كوفنتري ،
لأن البلاد كلها كانت مجمعة على كراهيته ؛
على حين كانت دعواتهم وحبهم جميعاً
تتجه إلى هيرفورد الذي كانوا يتوطون في محبته
ويباركون خطواته ويعظمونه ويعاملونه بالإكبار أكثر

مما يعاملون الملك
ولكن هذا انحراف عن الهدف الذى جئت من أجله .
لقد جئت من الأمير القائد
لأقف على ما تشكون منه وأقول لكم باسمه
إنه على استعداد لأن يلقاكم وأن يصغى إليكم ،
وإذا بدا له بعد أن يستمع إليكم أن مطالبكم عادلة
فإنه سيجيبكم إليها ، وسيمحو كل شك فى ولائكم
ويسقط من الحساب كل ظن أوريبة فيكم بأنكم أعداء .

مبراى : ولكنه ، يضطرنا اضطراراً لأن نفرض عليه هذا العرض ،
ومن ثم فهو يصدر منه عن الحيلة ولم يصدر بوحى من الحب .

وستمورلند : أى مبراى! إنك لتعدو طورك إذا حملت عرضنا على هذا المحمل
فهو عرض مرده الرحمة لا الخوف ،
فعلى مرمى البصر من هنا تربض جيوشنا .
واقسم لك بشرفى إن كل رجالنا تملأهم الثقة البالغة بأنفسهم ،
بحيث لا يسمحون لأية فكرة عن الخوف أن تتسلل إلى نفوسهم

وجيوشناتضم رجالا مبرزين فى القتال وأسماء لامعة فى
النزال أكثر مما تضم جيوشكم ،
ورجالنا أكثر دربة على حمل السلاح واستخدامه ،
ودروعنا أشد قوة والقضية التى نحارب من أجلها أعظم
شأناً من قضيتكم ،
والمنطق ينادى بأن إيماننا بالنصر لا يقل عن إيمانكم ،
وقوتنا وشجاعتنا كشجاعتكم .
ومن ثم فلا محل للقول بأنكم قد ألجأتمونا إلى أن نتقدم
إليكم بهذا العرض .

مبراى : هيه ، لو أن الأمر لى فى قيادة هذه الجماعة ، لما
سمحت بهذه المفاوضة .

وستمورلند : إن هذا الإصرار على الرفض يكشف عن شعورك
بالخجل من تصرفاتك
فالقضية الخاسرة لا تثبت للنقاش .

هيستنجز : وهل للأمير جون مطلق التصرف ،
بحيث يمثل أباه فى جميع سلطاته ، وينوب عنه ؟
وهل هو مفوض أن يستمع إلينا وأن يقطع برأى حاسم
فى الشروط التى نعرضها
ونصر على أن يكون التفاهم والصلح على أساسها ؟

وستمورلند : هذا الحق مخول له بوصفه قائداً عامًّا
وإنى لأعجب كيف تسأل هذا السؤال التافه .

كبير الأساقفة : ما دام الأمر كذلك ، فخذ يا سيدى اللورد وستمورلند هذه القائمة
فهى تضم كل ما نشكو منه وتجمع تظلماتنا الأساسية .
فإذا تحقق لنا رد هذه المظالم وإصلاح هذه الأخطاء كل واحدة على حدة
فإن كل رجالنا المؤيدين لقضيتنا أينما يكونون
والذين عقدوا الخناصر على تنفيذ هذه الخطة فى مقاومة الملك
إذا منحوا عفواً عامًّا صحيحاً رسميًّا وقانونيًّا
وأجيبت مطالبهم وتأكدوا من التنفيذ السريع لكل رغباتهم
فيما يمس ذواتهم وأهدافهم ،
فإنهم يعودون إلى التزام جانب الطاعة
وبذل كل جهد فى طرقنا لتدعيم السلام والأمن .

وستمورلند : سأعرض هذا على القائد العام ، ولنعقد اجتماعاً إذا كان يرضيكم يا سادتى
لنناقش هذا الموضوع على مرأى من الجيشين ،

فإما أن ننتهى إلى السلام . وهذا ما أثق أن الله سيوفقنا
إليه ،
وإما أن نحتكم إلى السيف إذا لم نوفق إلى الاتفاق
لننهى هذه القضية .

كبير الأساقفة : سيدى . . سنفعل ذلك .

(يخرج وستمورلند هو ورجاله)

مبراى : إنى أحس هاتفاً فى صدرى يقول لى :
إن أى شروط للسلام نتفق عليها لن تنهى هذه المشكلة .

هيستنجز : لا تخشى شيئاً يا سيدى ، لأننا إذا وفقنا إلى أن نقيم
السلام
على شروط واسعة كهذه ، ونهائية وحاسمة ،
كالتى تقدمنا بها فإن السلام سيرتكز على دعائم ثابتة
ثبات الجبال الشم .

مبراى : أجل . . أجل . لكن مكانتنا عند الملك ستكون فى وضع
يجعلها تتأثر بكل قيل وقال وبكل نميمة تافهة .
أجل إن رأى الملك فينا
سيتأثر بكل أمر مغرض وكل كلمة عارضة وكل
حديث غث ،
لأن الملك سيزن مثل هذه الترهات بموازين هذه الثورة

ويشم فى كل نأمة ريحها .
ومهما نبالغ فى إخلاصنا للملك ونستشهد فى سبيل محبته
فإن رياح الشك العارمة ستذرونا كما تذرو الهشيم ،
وتجعلنا خفافاً ، لا فرق بين حب وهشيم ،
وهكذا يختلط الحق بالباطل .
كبير الأساقفة : لا لا يا سيدى ، ينبغى أن نضع موضع الاعتبار أن الملك قد مل
من طول الغربلة ودقة التنقية بحثاً وراء الأخطاء والمثالب ،
وأدرك أن التخلص من عدو بالقتل
يبعث فى الخلف الذين يرثون هذه المظالم أعداء
أشد وطأة وأعظم قوة .
لذلك سيمحو من كتبه هذه الشكوك والريب ،
ويردها بيضاء نظيفة ،
ليعفى ذاكرته من كل قيل وقال ،
ويجنب نفسه أن يعيد تسجيل هذه المساوئ إلى ذاكرته
تاريخ خسائره كل حين وآن . ذلك أنه يدرك تمام الإدراك
أنه لا يستطيع لكل إثارة من شك تعرض لذهنه أن
يجتث كل أسباب الفتنة فى هذه البلاد واحداً إثر واحد ،

فأعداؤه ملتفون بأصدقائه تتشابك جذورهم ،
فإذا عمد إلى اقتلاع عدو
فإنه بهذه الطريقة قد يقلقل صديقاً ويزعزعه ،
وبذلك تكون هذه الأرض أشبه بالزوجة الشكسة
التى تستثير زوجها وتلجئه إلى تأديبها بالعصا ،
فإذا ما رفع عصاه ليضربها أمسكت بطفلها
ورفعته فى وجهه ليحميها وبذلك تقف الضربة
التى أوشكت أن تحيق بها .

هيستنجز : أضف إلى ذلك أن الملك قد استنفد كل آلات تعذيبه
فى تأديب المذنبين السابقين ، حتى باتت تعوزه
الأيدى الباطشة المؤدبة
وبذلك أضحت قوته كقوة الأسد الذى انتزعت أنيابه ،
قد يستطيع الهجوم ولكنه لا يقدر على البطش بفريسته
لأنه لا يقوى على الإمساك بها .

كبير الأساقفة : هذا جد صحيح ، ولذلك كن على ثقة يا سيدى القائد الطيب
أننا لو أقمنا اتفاقنا على أساس وطيد سليم ،
فإن سلامنا بعد ذلك سيكون أوطد وأقوى بعد هذه القطيعة ،

كالساق التى تصبح أقوى وأشد بعد أن تجبر من الكسر .

مبراى : فليكن الأمر كما ترجون . . ها هو ذا سيدى لورد وستمورلند قد عاد .

(يعود وستمورلند ويرى الأمير جون وجيشه عن بعد)

وستمورلند : إن الأمير على مقربة من هنا فإذا أذنت يا سيدى اللورد فى لقاء سمــوه فى منتصف الطريق بين معسكرى الجيشين فبها ونعمت .

مبراى : على اسم الله هيا نتقدم يا صاحب النيافة كبير أساقفة يورك .

كبير الأساقفة : اسبقنا يا سيدى وسنلحق بك على الفور .

(يخرجون)

المنظر الثانى

جزء آخر من نفس الغابة

الأمير جون : (يتقدمون ويلقاهم الأمير جون) إنى مسرور بلقائك هنا
يا ابن العم مبراى .
طاب يومك يا سيدى كبير الأساقفة النبيل .
وطاب يومك يا لورد هيستنجز وعمتم صباحاً جميعا
أيها الساده .
سيدى لورد يورك لقد كان أوقع وأجمل بك
أن ترى وقد أحاط بك رعيتك الذين تجمعهم أجراس
الكنيسة
ليستمعوا فى خشوع
إلى تفسيرك للكتاب المقدس
من أن ترى وقد تمنطقت بالحديد
تتحدث إلى عصبة من الثوار تستثير حماسهم بدقات
الطبول
واضعاً السيف موضع الكلمة المقدسة التى هى أليق

بك وأخلق ومحيلا الحياة إلى الموت
ـــ تصور أن رجلاً ما كان يحتل مكاناً قريباً إلى قلب
ملك ويتخذه مشيراً له فى مجالسه وشئونه الخاصة ،
تصور أن هذا الرجل الذى استوى له المجد ودانت
له الدنيا مستمتعة بشمس عطفه
تنكر لهذا العطف الذى يسبغه عليه الملك وأحال
النعمة نقمة .
فوا أسفاه أية أضرار وأية إساءات يجريها هذا الرجل
ويتركها تتدفق
وهو يتفيأ الأمن فى الظل العظيم ! إن الأمر فى شأنك
يا سيدى الأسقف
لا يختلف عن ذلك أبداً فمن منا لم يسمع ما يتردد على
الألسنة
من تمرسك بالكتب المقدسة وسعة اطلاعك فيها ؟
فأنت عندنا بمثابة رئيس البرلمان الإلهى ،
صوتك من صوت الله فأنت الوسيط بين الله وبيننا ،
تكشف لنا عن رحمته وإرادته المقدسة
وتقربها إلى أذهاننا نحن الذين نتخبط فى الظلمات
. . أواه منذا الذى يصدق

إنك تسيء استغلال جلال منصبك المقدس ،
وإنك تستخدم تأييد السماء وعونها
كما يستغل حظيّ الأمير ومحسوبه المزيف اسم سيده فى
الأعمال المنكرة المشينة .
فتحت ستار الدين وبحجة الدفاع عنه
حشدت رعايا ظل الله فى الأرض ،
وجندتهم وزودتهم بالأسلحة ليثوروا على الملك أبى ،
وجمعتهم فى أهبة وعدة كاملة ليعكروا السلام وينقضوا
على ظل الله فى الأرض .

كبير الأساقفة : سيدى لورد لانكستر الطيب
أنا ما جئت إلى هنا لأثور على أبيك وأعكر سلام
بلادى ،
ولكن الحقيقة كما قلت لسيدى لورد وستمورلند ،
أن اضطراب الأيام هو الذى حملنا
على أن نتجمع فى هذه الجموع المخيفة الهائلة
بدافع من شعورنا بالخطر الذى يتهددنا جميعاً لنعمل
على أن نصون سلامتنا ونحمى أنفسنا من المخاوف .
ولقد بعثت إلى سموك تظلمنا وآلامنا
التى سبق أن رفعناها إلى القصر فقوبلت بالرفض المهين

وأدى هذا الرفض إلى مولد هذه الحرب المتعددة الرؤوس
والتى لا يزال فى الإمكان تسكينها بسهولة
بالاستجابة إلى مطالبنا الحقة العادلة
وعندئذ تشفى الطاعة المخلصة من لوثتها الجنونية
وتفىء إلى السكون وترتمى مستسلمة عند أقدام الملك .

ميراى : أما إذا لم تجب مطالبنا فإنا على استعداد أن نجرب حظوظنا وأن نخوض هذه الحرب حتى آخر رجل فينا .

هيستنجز : وإذا أخفقنا نحن فى محاولتنا هذه وقضى علينا
فلن تهدأ المعركة فإن وراءنا أمداداً ستجرب هى الأخرى وتعاود الكرة
فإن لم توفق جاءت ثالثة من ورائها لتحذو حذوها
وهكذا دواليك يتوالى الشر ويتوالد
ويرث جيل عن جيل حمل عبء هذا الصراع
ويظل هذا الحال ما ظلت إنجلترا تعقب .

جون : إنك ضحل التفكير يا هيستنجز وإن بصرك لا ينفذ كثيراً .
بل لا ينفذ فى أمر أبداً حين تتعرض لسبر أغوار ما يجد من أيام

وستمورلند : إن أذنت يا صاحب السمو أرجو أن تجيبهم بصراحة
إلى أى مدى أرضتك مطالبهم

جون : لقد رضيت عنها جميعها وسلمت بها جميعاً
وإنى لأقسم هنا بشرف محتدى
إن مقاصد أبى قد أسيء تأويلها
وإن بعض من حوله من أصدقائه المقربين
قد أسرفوا فى تحريف أغراضه وإساءة استخدام سلطانه .
سيدى إن هذه المساوئ كلها ستقوم على الفور
وقسماً بحياتى لتقومن جميعاً وتصلح . فإذا راقكم هذا
وحاز عندكم القبول
فأرجو أن تسرحوا قواتكم . وتدعوها تتفرق إلى مواطنها فى المقاطعات المختلفة ،
ونحن أيضاً سنفعل هذا بقواتنا . وهيا بنا فى هذه البطحاء وسط معسكرنا
نشرب معا فى صداقة وود . ونتعانق أمام جنودنا
ليروا بأعينهم أمارات المحبة والصفاء وعودة الحب إلى قلوبنا
ولينقلوا ذلك إلى بنى وطنهم إذا رجعوا إليهم .

(وفى أثناء الحديث يأتى الخدم بموائد عليها زجاجات النبيذ والكؤوس)

كبير الأساقفة : إنى أتقبل كلمتك يا سيدى وآخذك عند وعدك فى تقويم المساوئ وإصلاحها .

جون : وأنا أعطيك العهد والميثاق وأعدك أن أحافظ على كلمتى وهأنذا أشرب نخبك

هيستنجز : اذهب أيها اليوزباشى وأذع فى الجيش أنباء السلام وأدّ لهم رواتبهم ، ومرهم أن يرحلوا إلى بلادهم ،
فأنا واثق أنهم سيتلقون النبأ بالبشر والسرور . . هيا أسرع أيها اليوزباشى

(يخرج اليوزباشى)

كبير الأساقفة : فى صحتك يا سيدى لورد وستمورلند النبيل .

وستمورلند : فى صحتك يا صاحب النيافة ولو علمت كم بذلت من المتاعب
ليتمخض الموقف عن هذا السلام الحالى
لشربت فى حرية وبلا تحفظ ولكن مهما يكن من شىء
فإن حبى لك سينكشف فى وضوح فى القريب العاجل .

كبير الأساقفة : ما أشك فى حبك لى

(يشربان)

وستمورلند : إنى لسعيد بهذا . .

الصحة لسيدى وابن عمى الكريم مبراى .

مبراى إنك تتمنى لى الصحة فى مناسبة غاية فى السعادة
لأنى أحس إحساساً مفاجئا بشئ من المرض .

كبير الأساقفة : حين يشعر الإنسان بالصفو ويكون فى أحسن حالاته
من البهجة والسرور يحدث الكدر
وعلى العكس حين يشعر بالضيق والانقباض يكون
ذلك إيذاناً بالفرج وموافاة الحظ .

وستمورلند : إذن قر عيناً يا ابن العم ما دام هذا الانقباض المفاجئ
ينبئ أن الغد سيأتى بالفرج والمسرة .

كبير الأساقفة : صدقنى يا أخى . . فأنا أشعر بنشوة وسرور بالغين .

مبراى : وهذا ينذر بالشر إذا سلمنا بأن قاعدتك صحيحة .

(هتافات)

جون : لقد بلغت كلمة السلام مسامعهم وأعلنت لهم . .
اسمع كيف يضجون فرحاً

مبراء : لو أن هذه الصيحات جاءت فى أعقاب النصر .
لكانت أكثر بهجة .

كبير الأساقفة : إن السلام كالنصر سواء بسواء
ذلك أن الفريقين فى ظله يغلبان فى نبل وترفع
دون أن يخسر أى من الفريقين شيئا .

جون : اذهب يا سيدى ومر جيوشك أن تتفرق هى الأخرى .
(يخرج وستمورلند)
وأنت يا سيدى الطيب أرجو إن أذنت أن تأمر قواتك
أن تسير أمامنا لنستعرض الرجال
الذين كنا سنلتحم بهم ونخوض غمار المعركة معهم .

كبير الأساقفة : اذهب أيها السيد الطيب هيستنجز ، ومرهم أن يمروا
أمامنا قبل أن يتفرقوا .
(يخرج هيستنجز)

جون : إنى على ثقة أيها السادة أننا سنمضى الليلة معاً هنا
(يدخل وستمورلند) إيه يا ابن العم فيم وقوف جيشنا
صامداً إلى مكانه .

وستمورلند : إن القواد قد تلقوا أوامرهم منك بالوقوف .
ولن يتفرقوا حتى يسمعوك تأذن لهم فى ذلك .

جون : إنهم يعرفون واجباتهم حق المعرفة (يدخل هيستنجز)

هيستنجز : سيدى اللورد . إن جنودنا قد تفرقوا
كالغزلان الصغيرة حين يطلق سراحها
وأخذوا يعدون شرقاً وغرباً وشمالا ويميناً متخذين طريقهم
إلى بيوتهم
أو كالمدرسة حين يؤذن لها فى الانصراف يسارع

تلاميذها إلى بيوتهم أو أماكن لهوهم

وستمورلند : هذه أنباء سارة يا سيدى لورد هيستنجز تستحق من أجلها
أن أقبض عليك أيها الخائن بتهمة الخيانة العظمى ،
وعليك أيضاً يا سيدى كبير الأساقفة وأنت يا سيدى اللورد مبراى ،
أنى أتهم كليكما بتهمة الخيانة العظمى .

(يوضعون تحت الحراسة)

مبراى : وهل هذا إجراء عادل وشريف ؟

وستمورلند : وهل كان تجمعكم كذلك ؟

كبير الأساقفة : وهل تنقض عهدك على هذا النحو ؟

جون : أنا لم أتعهد لكم بشئ فيما يتصل بسلامة أشخاصكم ،
فقد وعدتكم أن أقوم المساوئ التى شكوتم منها وأن أصلحها ؛
وهذا ما أقسم بشرفى إنى سأنفذه بكل دقة شأن المسيحى الشريف
أما أنتم أيها الثوار فأعدوا أنفسكم
لتذوقوا جزاء ما جنت أيديكم وما أحدثتم من ثورة .
لقد بدأتم بجمع هذه القوات فى غباء وحمق ، دون أن

تسبروا غور الأمور ،
وجئتم بها إلى هنا فى طيش ونزق ، ثم فرقتموها من هنا
ببلاهة وغباء .
دقوا طبولنا وتابعوا هذه القوات التى تفرقت أيدى سبأ
فلله وحده ندين اليوم بهذا النصر الذى لا يد لنا فيه ،
وليحرس بعضكم هؤلاء الخونة إلى المقصلة
التى هى المثوى الحق لأمثال هؤلاء الخونة فهى المخمدة
لأنفاسهم القاضية على حياتهم .

(تدق الطبول وتسير الجيوش)

المنظر الثالث

نفير الحرب — حملات ومناوشات بين جند الأمير جون وبعض الثوار الفارين يقدم فولستاف ويواجه شخصا يسمى كولفيل ويستعدان للقتال

فولستاف : ما اسمك يا سيدى . . وما رتبتك ومن أين أنت

٤ كولفيل : أنا فارس يا سيدى واسمى كولفيل من أبناء الوادى ؟

فولستاف : حسناً يا سيدى إذن ، كولفيل اسمك ، والفارس رتبتك والوادى
مكانك . سيظل كولفيل اسماً لك ، وسيكون الخائن رتبتك ، والجب مكانك وهو مكان جد عميق ، ومن
١٠ ثم ستظل تحمل اسم كولفيل من الوادى العميق .

كولفيل : ألست سير جون فولستاف ؟

فولستاف : رجل فى أصالته يا سيدى أيًّا أكون .. هل تستسلم يا سيدى أو تحملنى على أن أقاتلك وأتصبب فى جهادك ؟ إن أنت حملتنى على أن أتصبب عرقاً فكن على ثقة أن هذه القطرات هى دموع محبيك التى سيذرفونها حزناً على مصرعك . لذلك هز مشاعر الخوف والفرق ، وأيقظها فى نفسك واستسلم شاكراً بين
١٧ يدى رحمتى .

كولفيل : (يركع) أعتقد أنك سير جون فلستاف وبوحى هذا الاعتقاد أستسلم لك .

فولستاف : إن بطنى تدل علىّ؛ فهى أشهر من نار على علم ، وكلها ألسنة تنطق باسمى فى كل مكان . ولو كانت لى بطن أقل بروزاً وأكثر ضموراً لكنت أشد الفتيان نشاطاً وأخفهم حركة فى أوربا كلها . . أواه إن رحمى . . رحمى [1] تحطمنى وتفسد على حياتى هذا هو قائدنا يقبل (يعود الأمير جون وستمورلند وبلنت)

جون : لقد هدأت حدة القتال فكفوا عن المتابعة الآن
واستدع قواتنا يا ابن العم الطيب وستمورلند
(يسرع وستمورلند خارجا) هيه . يا فلستاف أين
كنت طوال هذه المدة .
أو عند ما ينتهى كل شىء تقبل أنت ؟
إن ألاعيبك هذه لابد أن تؤدى
إلى كسر مشنقة من المشانق يوما من الأيام[2] .

فولستاف : إن الأسف ليعرونى يا سيدى اللورد لو أننى لم أعنف

---

(١) أى كأننى امرأة .

(٢) يعنى أنه لضخامة جسمه لن تتحمله المشنقة بل ستنكسر به .

ولم ألم لوماً كهذا الذى وجهته إلى فإن مدح المرء
بما لا يستحق هو ذم فى قالب المدح ولكنى أعرف دائماً
أن اللوم والتعنيف هو جزاء البسالة . . ماذا كنت
تحسبنى يا سيدى ؟ . . .
أحسبتنى طائراً خفيف الجناحين أم حسبتنى سهماً
مارقاً ، أم حسبتنى رصاصة منطلقة ، أم حسبت أن لى
أنا البطئ الحركة الضعيف الخطو سرعة كلمح الفكر ؟
٣٧ ومع ذلك فقد أسرعت إلى هنا مستغلاً كل ما وجدت
من الوسائل إلى أبعد مدى ، واستبدلت فى الطريق
إلى هنا نيفاً ومائة وثمانين حصاناً ، ركبتها جميعاً حتى
كلت الواحد بعد الآخر . وما أن بلغت هذا المكان
مجهداً أشعث أغبر من رحلتى الطويلة كما أنا بين
أيديك الآن حتى أسرت سير جون كولفيل من أهل
الوادى بما لى من جسارة معصومة من الزلل نقية لم تشبها
شائبة ، أسرت هذا الفارس العضود والعدو الحسور ،
ولكن ماذا وراء هذا ، لقد رآنى فاستسلم حتى حق لى
أن أقول كما قال قيصر روما ذو الأنف الأقنى !
جئت فرأيت فانتصرت .

جون : لك أن تمتدح تواضعه لا أن تثنى على مزاياك، إن الفضل

٤٨ فى تسليمه يرجع لمجاملته أكثر مما يرجع لجهدك .

فولستاف لست أدرى لأيهما يرجع الفضل ، ولكنى قد أسرته على أى حال وهأنذا أقدمه إليك ، وأرجو يا صاحب السمو أن تأمر بإدراج هذه المفخرة فى عداد مفاخر هذا اليوم ، وألا تفعل فبحق السيد المسيح لأضمنها أغنية تكتب خصيصاً لتمجيد هذه الذكرى وأنشرها متوجة بصورتى ، وكولفيل ينحنى ليقبل قدمى . وإذا اضطررت اضطراراً إلى أن أسلك هذا المسلك ، وإن لم أجعلكم تبدون إلى جانبى كما يبدو — البنى المذهب إلى جانب الحنية الذهب ، وإن لم أخسف بنورى فى سماء المجد الصافية أنواركم كما يطمس نور البدر بصيص أضواء الشهب والنجوم فى السماء التى تبدو إلى جانبه كأنها رؤوس الإبر ، فلا تصدقوا بعد ذلك كلام نبيل مثلى . فاكفوا أنفسكم مئونة هذا وأظهروا

٦١ حقى ومكنوا لكفايتى صعود درجات المجد .

جون : كفايتك من ثقلها لا تقوى على الصعود .

فولستاف : إذن فكنوها من أن تضىء .

حون : سمنك قد فاق الحد ؟ هى أثخن من أن تضىء .

فولستاف : دعوها تفعل أى شىء من أجلى يا سيدى اللورد الطيب ،

٦٦ وسموه ما شئتم ما دام ذلك يحقق لى الخير .

جون : هل اسمك كولفيل ؟

كولفيل : هو ذلك يا سيدى .

جون : أنت من الثوار المعروفين يا كولفيل ؟

٧٠ فولستاف : وقد أسره أحد الرعايا المخلصين ومن المعروفين أيضاً يا سيدى .

كولفيل : أجل يا سيدى . ولست فى هذا بأقل ممن هم خير منى ممن قادونى إلى هنا
غير أنهم لو كانوا تحت أمرى ولم يسلموا لك بلا حرب
لكلفك أخذهم غاليا يا سيدى .

فولستاف : لست أدرى الثمن الذى باعوا به أنفسهم ، غير أنى أعلم أنك سلمت نفسك كما يفعل الرجل الكريم بلا مقابل
٧٦ وبلا شرط . وأنا شاكر لك أن أهديت نفسك لى .

(يسمع صوت النفير من بعد تأمر بالارتداد ويدخل وستمورلند)

جون : هيه . . هل كففتم عن الطراد ؟

وستمورلند : لقد تم التراجع ولم يبق إلا تنفيذ الإعدام .

جون : ارسل كولفيل لينضم إلى رفاقه فى المؤامرة ،
٨٠ إلى يورك ليواجه الإعدام .
أى بلنت خذ الرجل إلى هناك وأمعن فى حراسته .

(يخرج بلنت ومعه كولفيل) والآن أيها السادة هيا بنا
نستعد للرحيل لنذهب إلى القصر .
فقد سمعت أن الملك أبى اشتدت عليه وطأة المرض ،
وستسبقنا أنباء النصر إلى مسامع جلالته
وستحملها إليه يا ابن العم لتدخل السرور على نفسه ،
وسنأتى على أثرك بأقصى سرعة تسمح بها ظروفنا .

فولستاف : سيدى أرجوك أن تأذن لى أن أعود عن طريق جلوستشير . وأتوسل إليك ، سيدى حين تعود إلى القصر أن تكون شفيعى وأن تؤثرنى بعطفك فى تقريرك الطيب .

جون : رافقتك السلامة يا فلستاف . سأتحدث عنك فى تقريرى
بخير مما تستحق بدافع من طبيعتى

(يخرج الجميع عدا فلستاف)

فولستاف : وددت لوتوافر لك الألمعية والذكاء اللذان تستطيع بهما أن تتحدث عنى بخير مما أستحق ، ليت هذه الموهبة تتوافر لك فهى خير لك من دوقيتك . وأيم الحق أن هذا الفتى الرزين الجاد لا يحبنى ، وما من أحد يستطيع أن يحمله على الضحك . ولا عجب فى هذا فهو

لا يشرب النبيذ . وما من أحد من هؤلاء الفتيان الجادين المتزمتين قد برهن على أنه كفء لأى شيء حين وضع فى محك الاختبار . ذلك أن مداومتهم على شرب الماء القراح وما إليه من سوائل تبرد دماءهم وإقبالهم على أكل السمك فى سرف أصابهم بداء الخلوروز [١] ومن ثم فإنهم حين يتزوجون يصبحون هم أنفسهم كالنساء ولولا المثيرات[٢] لكان بعضنا عرضة لهذا أيضاً . أجل لولا النبيذ الطيب السخى الذى يلفح جسومنا وينشطنا ويحفزنا لكنا عرضة لذلك ! إن النبيذ الطيب السخى يؤدى لنا وظيفتين فهو يصعد إلى الدماغ ويمتص كل الأبخرة المعتمة المنومة والمتخمرة التى تغلفه ، وينشطه فيتفتق للفهم حياً مبدعاً خلاقاً ممتلئاً بالصورة الخفيفة والملتهبة والمبهجة . هذه الصور البهيجة التى تخلقت فى الدماغ حين يتمخض عنها الصوت أو اللسان تخرج إلى الدنيا وتصير بديهة بارعة . أما الخاصية الثانية من خواص النبيذ فهى تسخين الدم

---

(١) Green sickness أو Chloropis مرض مصحوب بفقر الدم يصيب الفتيات أعراضه إخضرار الجلد بعض الشيء واضطراب الحيض إلخ .

(٢) كالخمر وغيره . . .

وتنشيطه، فالدم قبل النبيذ يكون عند خروجه من الكبد أبيض مصفراً بارداً راكداً وهذه الصفرة من أعراض الخور والجبن . ولكن النبيذ يدفئ الدم ويحركه فيندفع من داخل الجسم إلى الأطراف القصية منه ، ويضئ الوجه الذى يقوم بدور النذير عند الخطر لبقية أجزاء هذه المملكة الصغيرة التى تكون الإنسان لتتسلح وتأخذ أهبتها . وعندئذ تتجمع قوات الجسم الثانوية حول قائدها القلب ، ليجندها . والقلب حين يشتد أزره ويعظم أمره بهذه الحاشية المجندة حوله يقدم على أى عمل من أعمال الشجاعة والبسالة تطلب إليه ؛ هذا الإقدام كله مرده إلى النبيذ السخى . ومن ثم فالحذق فى استعمال الأسلحة لا قيمة له بدون النبيذ ، لأنه هو الذى يطلقه من جموده وينشطه للعمل . وليس التعلم إلا كنزاً من الذهب مخبوءاً تحرسه الأبالسة ، لا يمنح الإجازة فى استغلاله ولا يأذن بممارسته والانتفاع به إلا النبيذ . وبهذا ينجلى الأمر فى شأن شجاعة الأمير هارى فالدم البارد الذى ورثه بالطبيعة عن أبيه قد تعهده كما تتعهد الأرض الضعيفة الجدباء القحلة بالتسميد والحرث والرعاية ، تعهده بالجهود المتصلة فى

تخير أطيب الأنبذة وشربها ، وتزويد نفسه بكميات وافرة منها ، كلها دسم مخصب حتى حمي دمه وصار شجاعاً مقداماً . ولو كان لى ألف ولد لكان أول درس دنيوى أحرص على تلقينه إياهم هو أن يقسموا على أن ينبذوا شرب الماء القراح والسوائل الخفيفة وأن يلمنوا شرب النبيذ .

(يدخل باردولف من الخلف و يمسه من فوق كتفه) ما وراءك يا باردولف ؟

باردولف : (وهو يضحك بصوت منخفض) لقد سرح الجيش كله وتفرق .

فولستاف : ذرهم يذهبوا أما أنا فسأمر بجلوستشير حيث أزور السيد روبرت شالو المالك . لقد أصبح عجينة رخوة بين سبابتى وإبهامى أشكله وفق مشيئتى ولن يمضى إلا قليل من الوقت حتى أستخدمه فيما أريد . فهيا بنا نذهب .

(يخرجون)

المنظر الرابع

(القصر – قاعة أورشليم – الملك يجلس على كرسى العرش وقد وقف حوله الأمير توماس كلارنس والأمير همفرى جلوستر وأيرل ورك وأيرل كنت وآخرون) .

الملك : هيه . . أيها السادة إذا من الله علينا بالنصر
في هذا القتال الدامى الناشب بين ظهرانينا
فلأقودن شبابنا لخوض معارك أنبل غاية .
ولن نجرد سيفاً بعد ذلك إلا لإعلاء كلمة الدين
إن أسطولنا يقف متأهباً للعمل ، وجيوشنا قد تجمعت ،
ونوابنا فى الحكم قد عينوا ومنحوا سلطاتهم ليقوموا مقامنا حال غيابنا ،
وكل شىء يسير وفق مشيئتنا
ولم يعد يحول بيننا وبين الرحيل إلا انتظار بعض العافية
وانتظارنا أن يسلم هؤلاء الثوار القائمون الآن بحركتهم
ويفيئوا إلى الطاعة

ورك : ما أشك فى أن كلتا الأمنيتين ستنعم بها جلالتك حالا

الملك : أى ولدى همفرى – دوق جلوستر –

أين أخوك الأمير ؟

جلوستر : أظنه خرج للصيد فى وندسور يا مولاى .

الملك : ومن صحبه ؟

جلوستر : لست أدرى يا مولاى .

الملك : ألم يصاحبه أخوه توماس دوق كلارنس ؟

جلوستر : كلا يا مولاى الطيب فتوماس حاضر معنا هنا .

كلارنس : (يتقدم) ما هى مشيئتك يا مولاى وأبى؟ .

الملك : لا شيء إلا الخير لك يا توماس دوق كلارنس .
كيف حدث أن تركت صحبة أخيك الأمير
مع أنه يؤثرك بالحب وأنت تتجافاه يا توماس؟
لك مكانة فى قلبه أكثر من كل أخوتك ،
فزدها يا فتاى وأحطها بالرعاية
لتستطيع أن تقوم بالوساطة النبيلة
بين عظمته وبين أخوتك الآخرين
بعد أن أثوى فى لحدى ،
ولهذا أطلب إليك ألا تتغافل أو تتقاعس عن الفوز بقلبه ، ولا تثلم حدة محبته ،
ولا تضيع مزية عطفه
بتصنع البرود وإظهار عدم المبالاة لإرادته .

فهو كريم السجايا إذا أحيط بالرعاية وخص بالعناية ،
قريب الدموع يلبي نداء الرحمة إذا استثيرت كوامنه ،
سخي اليد ندى كالصبح حين تستدر شفقته
ولكنه رغم كل ذلك صخر لا يلين إذا غمز جانبه ،
يقدح شرراً إذا أورى زناده قاس متقلب النزوات كالشتاء
سريع مفاجئ كالعاصفة الثلجية التى تحمل البرد فى
مطلع النهار
ومن ثم يجب أن ترعى مزاجه غاية الرعاية ،
عنفه على أخطائه ولكن فى كرامة
حين تتلمس فيه ميلا للمرح ،
فإذا أحسست منه العبوس واكتئاب المزاج فارخ له
الزمام ومد له حبل الصبر
حتى تستنفذ هذه النزوات أغراضها وتهمد كما يهمد
الحوت الذى جر إلى الأرض
بعد أن يستنفذ قواه فى المجاهدة والمقاومة
تذكر هذا ياتوماس تكن ملجأ لأصدقائك ومثابة لهم
وأمناً
وتكن العروة الوثقى التى تربط بين إخوتك جميعاً برباط
متين

حتى لا تتعرض سفينة القربى التى تجمعهم ووشيجة
القربى التى توحدهم
إلى أن تخرق أو تنبت حين تختلط بسموم الألسنة
الحاقدة والوقيعة
وهو أمر لا مفر منه لأنه من طبيعة الزمان والإنسان
مهما تكن هذه السموم شديدة الفاعلية
كالسم الزعاف أو البارود المتفجر .

كلارنس : سألحظه بالعناية وأحيطه بالرعاية والحب .

الملك : ولماذا لست معه فى وندسور يا توماس ؟

كلارنس : إنه ليس هناك اليوم . فهو يتعشى فى لندن .

الملك : ومن فى صحبته ؟ ألا تستطيع أن تخبرنى ؟

كلارنس : فى صحبة بوان وغيره من صحابته المعتادين .

الملك : إن أشد الأراضى خصوبة هى أكثرها تعرضاً للآفات
والأعشاب الضارة
وها هو ذا ابنى وظل شبابى النبيل
قد طغت عليه هذه الأعشاب وغلبته على أمره
لشد ما أنا محزون حزناً يمتد بى إلى ما بعد ساعة الموت .
إن قلبى لينفطر ويمج دماً حين يسرح بى الخيال

وأتصور ما سيئول إليه الحال عندما أوارى فى التراب
إلى جانب أسلافى
حين تبدو لعين خيالى أيام الفوضى والإباحية
التى ستواجهونها حين تنطلق شهوته العارمة على هواها
ولا تجد من يرد جماحها ،
وحين يصبح الهوى والنزق دليله وقائده ،
وحين تتجمع فى يده الحدة والسلطة ،
فواحزناه كيف تلخ به عندئذ شهواته وعلى أى جناح
من سرعة تطير به نزواته
معجلة به نحو الخطر الداهم والدمار المحيق .
ورك مولاى الرحيم ، إن اهتمامك بالنظر إلى هذه الشرور
والآثام التى تحيط بالأمير قد جعلك تجاوز حقيقته
وتباعد عن طبيعته ،
ذلك أن الأمير إنما يدرس أصحابه
كما يفعل الغريب حين يدرس لساناً جديداً ،
فهو مضطر إلى أن يدقق النظر فى كل كلمة وأن
يحفظها حتى ولو كانت نابية
ليملك ناصية اللغة ، حتى إذا ما ملكها
هجر حوشيها ، كما تعلم يا صاحب الجلالة ،

وأدرك أن هذه الكلمات إنما تعرف لتهجر وكذلك شأن
الأمير
فإنه حين تكمل تجاربه وتنضج أيامه
سيهجر هؤلاء الصحاب كما يهجر حوشى القول
ومتبذله ،
وتبقى ذكراه فى نفسه كالطراز أو النمط الذى تقص
عليه الملابس
ليقيس سموه حياة الآخرين :
فينفض عنه مفاسد الماضى ويخلعها ويرتدى مكانها
مفاخر وأمجاداً .

الملك : قلما تهجر النحلة حليتها
ولو بنتها فى الجيفة الميتة .

(يدخل وستمورلند)

من هناك ؟ أهاذا أنت يا وستمورلاند .

وستمورلند : الصحة لمولاى الملك ، وفيض السعادة والسرور
فوق ما أحمل من خير ! مولاى . إن الأمير جون
يقبل يديك الكريمتين ،
وقد أخضع مبراى والأسقف سكروب . وهيستنجز
ودانوا جميعاً لحكم قانونك ،

ولم يبق الآن سيف مشرع من سيوف الثوار
بل نشر السلام أغصان الزيتون فى كل مكان
أما كيف تم الأمر لنا
فهنا فى هذه الرسائل تستطيع أن تقرأ وقت فراغك يا مولاى
تفصيل الحوادث واحدة واحدة .

الملك : أى وستمورلند . . لأنت البشير . لأنت صداح الصيف
الذى يأتى دائماً آخر الشتاء ليغرد ترانيم انبلاج الصبح ،
انظر ها هى ذى أنباء جديدة تفد علينا .

(يدخل هاركورت)

هاركورت : وقاك الله يا مولاى شر أعدائك ،
فإن تعرضوا لك فليذهب الله بريحهم
كما ذهب بريح أولئك الذين جئت أحمل إليك أنباء اندحارهم ،
فقد هزم ايرل نورثمبرلند ولورد باردولف
ومعهم جيوش مجندة من الإنجليز والإسكتانديين .
فقد قضى عليهم وهزمهم شر هزيمة حاكم يوركشير .
أما كيف هزموا وكيف سار القتال لغايته

فهذه الرسائل إن أذنت يا مولاى تحمل كل الأنباء بالتفصيل .

الملك : ما هذه الأنباء الطيبة السارة تسلمنى للمرض ؟

أو حتم ألا يواتى الحظ كاملا أبداً فيأتى بالخير ملء يديه أم لابد من نقصان يشوبه

فيخط الكلمات الطيبة الجميلة بحروف مشوهة كريهة ؟

فالحظ إما أن يواتى بالشهية وينتقص الطعام

كما هى الحال مع الفقراء حين يمنحهم الصحة ويحرمهم الزاد الوفير

وإما يكثر الأرزاق ويحرم الشهية كما هى الحال مع الأغنياء

حين يعطيهم السعة فى العيش ويسلبهم نعمة الاستمتاع بها .

لقد حق لى أن أحتفى الآن وأبتهج بهذه الأنباء السعيدة ،

ولكن بصرى يضعف فلا أكاد أرى وعقلى يضرب فلا أكاد أعى .

أواه يا رباه أمسكونى واقتربوا منى . فإن العلة قد اشتدت بى .

(يغمى عليه ويسقط على الأرض فيسرع إليه الأمراء)

جلوستر : اطمئن يا مولاى صاحب الجلالة !

كلارنس : أبى يا صاحب الجلالة

وستمورلند : مولاى الملك أفق لنفسك خفف عنك وانتعش .

ورك : الصبر الصبر أيها الأمراء .
فأنتم تعرفون أن هذه النوبات معتادة على جلالته ،
وكثيراً ما تنتابه .
ابتعدوا عنه وخلوا بينه وبين الهواء يستفيق فوراً ويعد
إلى صوابه .

كلارنس : لا . . لا إنه لن يستطيع تحمل هذه الآلام طويلا ،
فقد هد كيانه وحطم بنيانه موالاة السهر والعمل وكد
الذهن
حتى خبت ذبالة حياته
ولن تلبث أن تنطفىء .

جلوستر : إن الناس تخيفنى وتدخل الرعب إلى نفسى .
فهم يتحدثون وقد تملكهم الفزع عن ظواهر خارقة
للطبيعة . وعن مواليد مرعبة مخيفة ، وعن أطفال حملت
بهم العذارى من المردة والجن
وعن تغيير الفصول واختلاط أحوالها
كأنما السنة فى مدارها مرت على شهور فوجدتها نائمة

فتخطتها وقفزت عنها إلى غيرها .

كلارنس : وقد فاض النهر ثلاث مرات متواليات دون أن يغيض
مرة واحدة .
ويقول العجائز وهم المؤرخون الحمقى
إن النهر فاض مثل هذه الفيضانات
قبل أن يمرض جدنا الأكبر إدوارد ويموت بقليل .

ورك : اخفضوا أصواتكم أيها الأمراء . لقد بدأ الملك يستفيق .

جلوستر : ستكون فى هذه النوبة آخرته المحتومة ولا ريب .

الملك : أرجو أن تقيمونى وتنقلونى من هنا إلى قاعة أخرى .
احملونى فى رفق أرجوكم .

(يحمله ورك ووستمورلند ويخرجون به ومن ورائهم الأمراء)

المنظر الخامس

قاعة أخرى فى القصر – الملك ينام على فراش وبين يده كلارنس وجلوستر ووورك وآخرون

الملك : أرجو أن تعفونى من كل ضجيج أيها الأصدقاء الكرام .
إلا أن تكون أنغاماً موسيقية هادئة
تعزفها يد حانية رقيقة لتنعش روحى المعذبة .

وورك : أعدوا الموسيقى فى قاعة أخرى .

الملك : ضعوا التاج هنا إلى جانبى على هذه الوسادة .

كلارنس : لقد غارت عيونه وتغيرت حاله تغييراً ظاهراً

(يدخل الأمير هنرى على عجل)

وورك : خفف الوطء . . خفف الوطء

(يضع التاج على الوسادة)

الأمير : من منكم رأى الدوق كلارنس ؟

كلارنس : هأنذا يا أخى تثقلنى الهموم .

الأمير : أتسح الدنيا فى الداخل ولا تمطر فى الخارج ؟
كيف حال الملك ؟

جلوستر : فى شدة المرض .

الأمير : وهل بلغت مسامعه الأنباء السارة ؟
أبلغوه إياه .

جلوستر : لقد تغير كثيراً حين سمع بها .

الأمير : إذا كان السرور قد غلب عليه فأمرضه فسيشفى دون حاجة إلى علاج .

ورك : خففوا الضجيج يا سادتى . (يرى الأمير هنرى)
خفض من صوتك يا سيدى الأمير المحبوب .
فإن الملك والدك يتداعى للنوم .

كلارنس : هيا ننسحب إلى القاعة الأخرى .

ورك : أتأذن يا صاحب السمو أن تصاحبنا إلى هناك .

الأمير : لا ، لا أجلس هنا وأسهر إلى جانب الملك
(يخرجون من الباب الأيسر) لماذا يرقد التاج هنا فوق وسادته
وهو رفيق جد متعب مؤرق لصاحبه فى الفراش ؟
إيه أيها القلق البراق . . إيه أيها الهم الذهبى .
يا من تنفى الرقاد من العيون وتسهدها
مفتحة الجفون مؤرقة ليالى طوالا ، أينام أبى وأنت جانبه ؟
ولكنه نوم على أية حال ليس فى نصف حلاوة نوم الحلى

الذى غطى رأسه
واستغرق فى نوم هنىء طوال الليل . إيه يا تاج الملك !
إنك حين تشقى وتعذب حاملك
تحل فوق رأسه كدرع سميك يلبس فى حر النهار ·
فيشوى صاحبه بلظاه وإن ضمن له الحماية والأمن
(يقترب من فراش الملك) إن بالقرب من شفتيه ومخرج أنفاسه زغب ريشة ولكنها ساكنة لا تتحرك : ترى هل يتنفس ؟ لو كان يتنفس لتحركت بالضرورة هذه الخفيفة التى لا وزن لها (يصرخ) مولاى الكريم .. أبتاه . .
هذا هو النوم العميق بحق ،
هذا هو النوم السرمدى الذى أخرج عدداً كبيراً من ملوك إنجلترا
من هذه الدائرة الذهبية .
إن حقك على أن أذرف الدموع وأن يملأ الحزن جوانحى كمداً
وهذا يا أبتاه العزيز ما سأوفيكه بسخاء
بدافع من طبيعتى وحبى وبنوتى الحنونة المخلصة لك
أما حقى عندك فهو هذا التاج العظيم

الذى ينحدر إلىّ لأنى خليفتك الطبيعى وأقرب الناس إليك مكانة ونسبا .

(يضع التاج على رأسه) انظر أين حل التاج ؟

إنه حيثما حل حرسته عناية الله ! ومهما تجمعت قوى الدنيا كلها

وتركزت فى ذراع مارد جبار فلن تستطيع

أن تغتصب هذا الشرف الموروث أباً عن جد منى .

هذا التاج الذى ورثته عنك سأورثه لخليفتى وأتركه له سليماً كما تركته لى (يركع على ركبتيه لحظة فى صلاة وخشوع ثم يغلبه الأسى فينسحب فى هدوء من الباب الأيمن . سكون)

الملك : (يتحرك) ورك . . جلوستر . . كلارنس (يعود ورك والأمراء الصغار على عجل)

كلارنس : أينادى الملك

ورك : ما هى مشيئتك يا صاحب الجلالة وكيف حالك يا مولاى

الملك : لم تركتمونى هنا وحيداً يا سادتى

كلارنس : تركنا الأمير أخى هنا يا مولاى ،

فقد أخذ على نفسه أن يجلس معك ويسهر إلى جانب فراشك .

الملك : أمير ويلز أين هو دعونى أراه
إنه ليس بينكم هنا

ورك : (مشيراً إلى الباب الأيمن) إن هذا الباب مفتوح ولابد أنه خرج منه

جلوستر : إنه لم يخرج إلى القاعة التى كنا نجلس فيها .

الملك : وأين التاج ؟ من أخذه من فوق وسادتى ؟

ورك : حين خرجنا تركناه هنا فى موضعه يا مولاى .

الملك : إذن لقد أخذه الأمير اذهب وابحث عنه .
أهو متعجل إلى هذا الحد
حتى ليظن نومى مرتى ؟
ابحث عنه يا لورد ورك وأرسله إلى هنا ، ولمه على ما فعل
(يخرج ورك) هذه العجلة من جانبه تتحالف مع دائى وتعجل بآخرتى .
تأملوا يا أبنائى أى شىء أنتم !
وانظروا كيف تسارع الطبيعة إلى الثورة والانتقاض
حين يكون الذهب هو الهدف والغاية !
ألمثل هذا أقض الآباء الحمقى الملهوفون مضاجعهم بالسهر والضنى

لصالح أبنائهم ، وكدوا أذهانهم بالهموم ،
وهدوا عظامهم فى السعى والعمل ؟
ألمثل هذا جمعوا وكدسوا أكوام الذهب التى حصلوها بشق الأنفس
وأثقلوا ضمائرهم بخطايا جمعها بشتى الأساليب ؟
وألمثل هذا تحملوا هم تثقيف أبنائهم
بالآداب وفنون الحرب ؟
إننا كالنحلة التى تشتار الرحيق من كل زهرة ،
حتى إذا امتلأت أفواهنا بالشهد
وأثقلت أفخاذنا بالشمع
عدنا إلى الخلية لنضع حملنا فيها
وجزاؤنا على هذا الكد لا يختلف عن جزاء النحل فنحن مثله نقتل كى يفوز غيرنا بالشهد ؟
إن هذا هو العلقم الذى يتجرعه الآباء على فراش الموت
(يعود ورك) هيه أين هو ذلك الذى لم يطق صبراً
حتى يقضى صفية المرض أمره فىّ ويسلمنى للموت ؟

ورك : مولاى ! لقد وجدت الأمير فى الغرفة المجاورة
يغسل خديه الرقيقين بدموع الوفاء
وقد بدا الحزن المرير على ملامحه بوضوح مؤثر

ترق له قلوب العتاة الظالمين الذين لا يروى غلتهم
إلا الدم المراق ،
حتى لا يملكون عند مشاهدته إلا أن تسيل عبراتهم
ويغسلوا بمدرارهم مداهم .
إنه قادم إلى هنا يا مولاى .

الملك : ولكن لم أخذه التاج من هنا ؟
(يدخل الأمير هنرى) انظروا ها هو ذا قادم . تعال
هنا يا هنرى اقترب منى ،
اخرجوا من هذه الغرفة ودعونا وحدنا (يخرج ورك والآخرون)

الأمير : ما ظننت قط أن أعود فأسمعك تتكلم ثانية .

الملك : هذا الظن من بنات رغباتك يا هنرى !
لقد أطلت البقاء إلى جانبك حتى أمللتك
هل أنت متعطش إلى هذا الكرسى لا تطيق صبراً
على بعده
حتى لتتعجل بإلباس نفسك أمارة ملكى وتاجى
قبل أن تحين ساعتى ؟ يا لحماقة الشباب !
أتسعى إلى العظمه التى ستهلكك ؟
تمهل قليلا فإن سحابة عظمتى
لما تزل تمسكها أنفاس ضعيفه

لن تلبث أن يتساقط ماؤها وتنقضى سريعاً إن نهارى قد أظلم ،
لقد سرقت التاج الذى سيصبح بعد ساعات معدودات
ملكاً لك دون حاجة إلى أن ترتكب إثماً
وهأنت ذا قد أثبت ساعة موتى أن ظنى فيك كان حقًّا !
فقد كانت حياتك تشهد بأنك لا تحبنى ،
وأنك أردتنى على أن أموت متيقناً من هذه الحقيقة .
لقد كنت تخفى لى العداوة والقلى وتضمر لى الشر فى أفكارك
وتشحذ خناجر بغضك على قلبك الحجرى
لتكيل لى الطعنات قبل أن أقضى بنصف ساعة . .
ألم يكن فى طوقك أن تمهلنى نصف ساعة ؟
إذن هيا عجل بى واحفر قبرى بيديك
ومر الأجراس أن تدق دقات الفرح والسرور بدلا من دقات الحزن والأسى على موتى ،
ليمتلىء سمعك بأنك توجت لا بأنى مت .
واجعل الدموع التى ستبلل شاهد قبرى
كأنها قطرات الزيت المقدس الذى تضمخ به رأسك وتبارك به تاجك .

واكتف بأن تدفن رفاتى مع رفات من سبقونى إلى
الموت بأجيال من أسلافى ،
وألق بهذا الذى نفخ فيك الحياة طعمة للديدان .
وانزع من السلطان كل رجالى ، واخرق كل أوامرى ،
فقد حان الوقت الذى تسخر فيه من كل نظام وقانون .
لقد توج هارى الخامس ، إذن فليحى الغرور !
وليسقط نظام المللك ! وليخرج كل المستشارين الحكماء
من القصر
وليحل محلهم وليجمع فى أروقة القصر
كل الحمقى المتحذلقين الذين لا يحسنون شيئاً إلا التفاهة
ولغو الكلام من كل إقليم ومكان !
والآن يا أبناء البلاد المجاورة لقد سنحت الفرصة
لتتخلصوا من كل تافه داخل حدود بلادكم .
أليس لديكم وغد أثيم يستطيع أن يلعن ، ويشرب
ويرقص ،
وأن يعربد طول الليل ، ويسرق ، ويقتل ،
ويرتكب الآثام القديمة والجديدة ؟
إن يكن لديكم مثل هذا الوغد فقروا عيناً فإنه لن يعود
إلى إقلاقكم ،

فإنجلترا ستتستر على خطاياه وتخفى معالمها مرتين ،
إنجلترا ستهيئ له العمل ، وتمنحه الشرف وتعطيه القوة ،
ولا غرو فهنرى الخامس قد انتزع كمامة القمع من فم الإباحية
وأطلق لهذه الكلبة المسعورة العنان
لترضى شهواتها وتنتاش بأسنانها الأبرياء .
واهاً لك أى مملكتى المسكينة يا من مزقتك الحروب الأهلية
حين لم تستطع رعايتى أن تجنبك الثورات
فكيف بك حين يصبح الفساد راعيك وهاديك ؟
إذن لتعودين برية قاحلة
أناسيك الذئاب الجائعة ، سكانك من قديم .

الأمير : (وهو راكع) أسألك العفو يامولاى . فلولا دموعى التى عطل تدفقها لغة الكلام
لبادرت بوقف هذه الحملة من التقريع العزيز الشديد
ولكفيتك مئونة هذا الكلام المحزون ، ولكفيت نفسى
ألم الاستماع إليه إلى هذا الحد .
هذا هو تاجك (يضمه على الوسادة مرة أخرى)
وليحرسه عليك إلى الأبد رب السموات الذى لا يموت

وإذا كنت قد أحببت تاجك
فما أحببته لذاته وإنما أحببته لأنه يمثل شرفك ومجدك ،
وإنِ كذبتك فلا وعيت أن أقوم من ركوعى
هذا الذى هو مظهر لولائى وإخلاصى القلبى لذاتك ،
هذا الولاء العميق الذى علمنى هذا الخضوع .
فأنا حين دخلت إلى هنا ، والله شهيد على ما أقول
ولم أجد فى جلالتكم حساً ولا نفساً
جمد قلبى فى صدرى .
وإذا كنت أفترى أو أتمحل كذباً فذرنى أمت وأنا على هذه الحال الشعثة ،
ولا تدعنى أعش أبداً لأُرى هذه الدنيا الكذوب ،
التغير النبيل الذى قصدت إليه ،
وحين اقتربت لأطل عليك ، وظننتك ميتاً ،
كدت أموت كمداً يا مولاى لمجرد التفكير فى أنك مت ،
وتحدثت إلى هذا التاج كأنما هو شخص يسمع ويعى ،
ووجهت له اللوم العنيف هكذا : « إن الهموم التى لا بد تصاحبك
أوهت جسم أبى وأكلته ،

ولذلك صرت يا أفضل الذهب أخس الذهب .
إن هناك ذهباً أقل منك نقاء ولكنه أنفس منك وأعظم قيمة ،
لأنه يحفظ الحياة حين يمزج فى جرعات الدواء
أما أنت الأشد نقاوة والأعظم شرفاً والأكثر شهرة
فقد أكلت حاملك » . وهكذا يا مولاى المعظم
بعد إذ اتهمته وضعته على رأسى
لأقتص منه حقك كما أقتصه من عدو
بطش بأبى أمام عينى ،
وضعته على رأسى لأقتص منه حقك بوصفى الوريث
الشرعى المخلص فى ولائه لك ،
ولكنى إذا كنت أحسست بالفرحة تسرى فى عروقى
أو بالزهو يخالج أفكارى ويدفعنى للتعالى والغطرسة ،
وإذا كانت أية خالجة من خوالج نفسى مهما تكن
متمردة أو مغرورة
قد أبدت جانب الميل إليه
أو اهترت للحفاوة بهذا السلطان الذى يخلعه عليها التاج
فادع الله أن يحرم رأسى منه إلى الأبد ،

وأن يجعلنى كأفقر تابع من عبيد الأرض
الذين يركعون له خوفاً وفرقاً .

الملك : أى ولدى !
لقد وجهك الله لتأخذ هذا التاج فوراً
لتستطيع أن تنال المزيد من أبيك
بهذا الدفاع الحسن عن أخذك التاج .
اقترب منى ياهارى واجلس إلى جانب فراشى ، واستمع
إلى نصيحتى الأخيرة فيما أظن ؛ إن الله وحده هو
الذى يعلم يا بنى
كم بذلت من جهد وكم سلكت من طرق جانبية وكم
قطعت من سبل ملتوية
لأفوز بهذا التاج ؛ وأنا أعلم حق العلم
كيف حل قلقاً على رأسى وكم أثار على من متاعب
أما أنت فسينحدر إليك أكثر استقراراً وأشد اطمئناناً
وأجلى سمعة وأوطد مركزاً أمام الناس والقانون .
ذلك أن كل الأوشاب التى صاحبت اقتناصى له
قد دفنت معى فى لحدى
لقد كان مظهر التاج على جبينى مذكراً للناس بالشرف
الذى انتزعته يد جبارة

وكان إلى جانبي كثرة تقاسمني الحياة
ولا تفتأ تمن علي بالعون الذى قدمته لى كيما أفوز بهذا التاج.
وكثيراً ما كان العتاب يتحول إلى شجار وينتهى إلى
قتال وسفك دماء
يشوه جمال السلام الذى كان يبدو فى الظاهر أنه
ناشر ظله على بلادى .
هذه المخاوف الشديدة التى تراها فزعاً قلقاً قد واجهتها
بنفسى وتغلبت عليها ،
فقد كانت أيام حكمى كلها مسرحاً
لهذا الخلاف وتلك الحروب ،
ولكن موتى قلب الصورة الآن وغير المنظر ،
فالذى كان يبدو فوق رأسى غنيمة منتزعة غير موروثة
انتقل إليك وحل على رأسك فى وضع أكثر قبولا
فى عين الناس ،
فأنت تلبس هذا الإكليل الملكى بحق الوراثة الشرعى ،
غير أنك وإن تكن أثبت قدماً وأظهر حقاً مما استطعت
أن أبلغه ،
فإن الملك لم يصف لك بعد ، فما زالت الجراح والكلوم
غضة لم تلتئم .

ولا يزال أصدقائى الذين أعانونى على أمرى والذين
لابد لك من أن تتخذهم أصدقاء ،
حديثى عهد بما فعلت فيهم من استئصال إبرهم
وانتزاع أسنانهم حتى آمن شرهم ،
هؤلاء الأصدقاء هم الذين أدين بعرشى لتدابيرهم العنيفة ،
وهم الذين أخشى بحق أن أتعرض بسعيهم لفقده .
ولكنى أردت أن آمن جانبهم
وأتجنب هذه المخاوف فقلمت أظفارهم ،
وإنه ليدور بخلدى الآن لأمر فى نفسى ، أن أوجه
عدداً منهم إلى الأراضى المقدسة
خشية أن تحملهم الدعة ويدفعهم السكون
إلى أن ينقبوا من جديد ويبحثوا وجوه الرأى فى الحق
الذى تسنمت بمقتضاه العرش .
لذلك فليكن سبيلك أى ولدى هارى أن تشغل .
هذه العقول الغادرة الماكرة عن تقليب الأمور بالحملات الخارجية
كى يمحو انتقال المغازى إلى خارج إنجلترا آثار
أيامى الماضية وينسى الناس أحداثها .

ولقد كان بودى أن أسمعك المزيد من القول ، ولكن
رئتى كلتا وأنفاسى تقطعت
حتى لقد عجزت كل العجز عن الكلام .
أما كيف لبست التاج فهذا ما أسأل الله فيه المغفرة !
كما أسأله أن يثبت عرشك وأن يحيط بالأمن والسلام دعائم ملكك .

الأمير : مولاي الكريم ،
لقد فزت بالتاج ، ولبسته ، وحافظت عليه وأعطيتنى إياه ،
فحق فيه ما من بد حق شرعى واضح
وسأحتفظ به وأمسكه بحق
ولو تألبت ضدى قوى العالم كله ، وسأبذل فى صيانته كل مرتخص وغال .

(يدخل لورد جون ولا نكستر وورك وغيرهما)

الملك : انظر ها هو ذا ابنى جون دوق لانكستر قد عاد .

جون : الصحة والسلامة والسعادة بجلالة الملك أبى !

الملك : لقد جئت لى بالسعادة والسلام يا ابنى جون ،
أما الصحة فوا أسفاه قد طارت بأجنحة شابة خفيفة
من فوق هذا الجزع المتغضن ،

والآن وقد رأيتك فقد انتهت رسالتى فى هذه الدنيا
وختمت أعمالى ،

أين لورد ورك ؟

الأمير : يا لورد ورك .

(يقدم لورد ورك)

الملك : هل هناك اسم بعينه
يطلق على القاعة التى فاجأنى بها الإغفاء أول الأمر ؟ .

ورك : أجل يا مولاى ، إنها تسمى قاعة أورشليم

الملك : الحمد لله ، فى هذه القاعة بالذات يجب أن تنتهى حياتى

فقد تنبئ لى من عدة سنوات
أننى لن أموت إلا فى أورشليم ،
وقد ظننت غروراً منى أنها الأرض المقدسة ،
فاحملونى إلى تلك القاعة حيث أرقد
إذ لامفر من أن يقضى هارى نحبه فى أورشليم

(يحملونه ويخرجون به)

الفصل الخامس

المنظر الأول

جلوستر شير . البهو فى منزل شالو . وفى الوسط باب كبير يؤدى إلى الخارج ، وأبواب آخرى تؤدى إلى الغرف الداخلية من يمين ويسار .

يدخل شالو يقود فولستاف و وراءهما باردولف والغلام

شالو : لن تسافر الليلة أبداً ، هيه يا دافى . . دافى أين أنت أقول لك ؟

٤ فولستاف : لا بد أن تعذرنى يا سيد شالو

شالو : لا لن أقبل عذرك ، الأعذار لن تقبل ، ولن تجدى المحاولات أبداً ،

لن أعذرك أبداً . . يا دافى أين أنت ؟

يقدم دافى من الداخل و يجلس فولستاف و يتحدث مع باردولف

دافى : هأنذا يا سيدى

شالو : دافى . . دافى . . دافى . . دعنى يا دافى . . دعنى . أى نعم بحق العذراء دعنى . وليم الطاهى ، مره أن يأتى إلى هنا . سيرجون لن أقبل عذرك .

دافى : بحق العذراء سأفعل يا سيدى ؛ هذه التعليمات لا يمكن تنفيذها ؛ وأسألك أخرى يا سيدى هل نزرع حوافى الحقول بالقمح ؟

شالو : ازرعوها بالقمح الأحمر[1] يا دافى ولكن فيما يختص بوليم الطاهى أليس لدينا حمام صغير ؟

دافى : أجل يا سيدى . هاك حساب الحداد يا سيدى ثمناً لحداوى الخيل وقواطع المحاريث .

شالو : فلتراجع وتجمع ثم تدفع ؛ يا سير جون لن يقبل عذرك

دافى : سيدى نحن فى حاجة إلى شراء رشاء جديد للدلو ؛ وياسيدى هل فى نيتك أن تخصم شيئاً من مرتب وليم عقاباً له على الزكيبة التى أضاعها فى سوق هنكلى فى ذلك اليوم ؟

شالو : فليلزم بقيمة الخسارة . . نريد بضعة أزواج من الحمام، وزوجين من الدجاج قصير الأجل ، وفخذة من الضأن ، وبعض أشياء أخرى صغيرة مشهية ، أبلغ ذلك إلى وليم الطاهى .

دافى : (جانبيا) هل يمضى المحارب ليلته هنا يا سيدى

(١) ويسمى أيضاً باللاما الأحمر ويزرع فى جو أغسطس الرطب فى كتسولد .

شالو : أجل يا دافى وسأبالغ فى إكرامه ، فصديق فى القصر خير من قرش فى الكيس ، احتف برجاله يا دافى وبالغ فى إكرامهم فهم أوغاد مشهورون وألسنتهم
٣٦ تلدغ وتشهر .

دافى : لن تلدغنا بأسوأ مما هم ملدوغون . فقد أكلتهم البراغيث يا سيدى لأن ملابسهم الداخلية فى منتهى القذارة .

٤ شالو : هذه نكتة بارعة يا دافى ، فهيا أسرع إلى عملك يا دافى.

دافى : أتوسل إليك يا سيدى أن تظاهر وتعين وليم فيزور من ونكوت [١] على كليمنت بركز [٢] من التل .

شالو : لدى شكايات كثيرة يا دافى ضد هذا الفيزور ،
٤٦ فهذا الفيزور وغد مشهور ، أقولها عن علم .

دافى : أنا أسلم لك يا صاحب السماحة بأنه وغد . ولكن حاشا لله ألا يلقى وغد عوناً وتأييداً فى قضيته تحت تأثير رجاء صديقه . إن الرجل الأمين الشريف يا سيدى يستطيع أن يدافع عن نفسه ولكن الوغد لا يستطيع . وأنا قد خدمت سماحتك بصدق و إخلاص طوال هذه السنوات الثمان . فإذا أنا لم أستطع مرة أو مرتين كل ثلاثة

---

(١) Visor of Woncor .

(٢) Clenent Parkes .

أشهر أن أحابى وغداً وأعينه على رجل شريف فمالى من
وزن فى حسابك يا سيدى . لذلك أتوسل إليك أن
٥٧ تمنحه عونك يا سيدى .

شالو : لا عليك ، وأقول لك إنه لن يصيبه مكروه ؛ اهتم
براحة الضيوف وأسرع بإعداد العشاء .

(يخرج داف)

أين أنت يا سير جون ، تعال يا سيدى ، اخلعوا
٦٢ نعالكم ، وهات يدك يا سيدى باردولف .

باردولف : إنى ليسرنى أن أرى سماحتك

شالو : أشكرك من كل قلبى أيها السيد الطيب باردولف ،
مرحباً بك أيها الغلام الفارع . (إلى الغلام) تعال
٦٦ يا سير جون

فولستاف : سأتبعك أيها السيد الطيب شالو ، وأنت يا باردولف
عليك بخيولنا (يخرج باردولف والغلام) لو أنى قطعت
قطعاً صغيرة لأمكن أن أصنع من هذه القطع ثمانية
وأربعين من العصى المحلاة برؤوس نساك ملتحين فى
حجم شالو. وأنه من عجب الأشياء أن يلاحظ الإنسان
التطابق الذى بين مسلك السيد ومسلك أتباعه ؛
إنهم صورة طبق الأصل من سيدهم ، فهم من كثرة

مخالطتهم له واعتمادهم عليه قد انطبعوا بطابعه ووضعوا على وجوههم سمت القضاة الحمقى ؛ وهو من كثرة حديثه معهم تحول إلى خادم فى مظهر القضاة ،وكلهم لطول الصحبة قد تماثلت طباعهم وتشابهت مشاربهم، فهم على اتفاق بالغريزة كسرب البط البرى . ولو أن لى قضية عند السيد شالو لأغويت رجاله بادعائى أنهم أقرب الناس إلى سيدهم، أو كان لى طلب عند رجاله لتملقت السيد شالو بقولى له إن أحداً لا يمكن أن يباريه فى سيطرته على خدمه . ولا جدال فى أن المرء يتأثر بمن حوله . فالحكمة والجهالة كلتاهما معدية للخلطاء كما يعدى المرض سواء بسواء . ولذلك فليحسن الناس تخير أصدقائهم ؛ لأستخرجن من قصة هذا الشالو مادة تكفى لحمل الأمير هارى على الضحك المستمر طيلة المواسم الستة للأزياء ، وهى أربعة فصول باثنى عشر شهراً ، أو المدة التى تستغرقها المحاكم للفصل فى قضيتين ، وسيضحكها هارى بلا توقف أو عطلة . أواه . . إن كذبة واحدة يؤيدها قسم خفيف، ونكتة تقال بوجه جاد ، لكافية أن تدخل السرور على رجل فتى لم تعرف أطرافه بعد آلام النقرس .

ولسوف ترونه يضحك حتى يتغضن وجهه من فرط
الضحك كعباءة مبللة لم يحسن طيها بعد غسلها .

شالو : يا سير جون

فولستاف : إنى قادم يا سيد شالو إنى قادم يا سيد شالو .

(يدخل)

المنظر الثانى

وستمنستر . حجرة فى القصر . يلتقى ورك بقاضى القضاة .

ورك : مرحى يا سيدى كبير القضاة إلى أين أنت ذاهب ؟

كبير القضاة . كيف حال الملك ؟

ورك : على أحسن حال ، لقد انتهى من متاعبه وهمومه كلها .

كبير القضاة : أرجو ألا يكون قد مات .

ورك : سلك الطريق الذى كتبته الطبيعة على كل حى ،
أما بالنسبة لنا فهو لم يعد فى عداد الأحياء .

كبير القضاة : ليت صاحب الجلالة دعانى لمرافقته
فإن الخدمات التى قدمتها مخلصاً لجلالته فى حياته
تركتنى هدفاً مكشوفاً تصوب إليه سهام الحقد والكراهية.

ورك : هذا حق فالملك الشاب فيما أعتقد لا يحبك .

كبير القضاة : أعرف أنه لا يحبنى ، ولذلك وطدت نفسى
على أن أتقبل بنفس راضية صروف الزمان
التى لن يكون عدوانها على
أبشع مما جرى به خيالى .

(يدخل جون لانكستر وجلوستر وكلارنس ووستمورلند وغيرهم)

ورك : ها هم ذرية هارى الراحل يقدمون وقد أثقلتهم الأحزان
إيه . . ليت لهارى الحى مزاجاً
ولو كمزاج أسوأ واحد من هؤلاء السادة الثلاثة النبلاء ،
إذن لاحتفظ كثرة من النبلاء بمراكزهم ،
بدلا من أن يخفضوا شراعهم ويحنوا رؤوسهم للعصبة الآثمة !

كبير القضاة : أواه يا رباه إنى لأخشى أن ينقلب الحال كله .
جون : سعدت صباحاً يا ابن العم ورك ، سعدت صباحاً
جلوستر وكلارنس : عمت صباحاً يا ابن العم

(وقفة)

جون : إننا نلتقى كما يلتقى الناس الذين نسوا القدرة على الكلام .
ورك : إننا لم ننس القدرة على الحديث ،
ولكنها الأحزان التى ننوء بها هى التى تمسك ألسنتنا عن الكلام الكثير فظروفنا لا تسمح به .
جون : حسنا فليكن السلام رفيق هذا الذى تركنا محزونين !
رئيس القضاة : بل ليكن السلام رفيقنا نحن، فنحن أحوج ما نكون إليه وإلا زادت أحزاننا ثقلا .
جلوستر : أواه يا سيدى الطيب لقد فقدت صديقاً بحق ،

وإنى لأقسم أنك لا تتصنع هذا الحزن الذى يبدو على وجهك ،
فهو حزن صادق نابع من قلبك .

جون : إنك يا سيدى أقلنا أملا فى عطف الملك
وإن كان أحد منا لا يستطيع أن يقطع بما سيلقاه من عطفه
وإنى لشديد الأسف لهذا وأوددت أن كان الأمر على خلافه .

كلارنس : إيه إن واجبك الآن يقتضيك أن تتكلم بخير عن سير جون فلستاف ؛
وهو الأمر الذى يتنافى مع طبيعتك .

كبير القضاة : سادتى الأمراء المحبوبين ، إن ما فعلته فعلته لغاية شريفة
وقد اهتديت فيه بروح العدل والإنصاف التى أملاها على ضميرى
ولن ترونى أبداً أرجو وأتوسل
من أجل غفران مذل مهين .
وإذا خذلنى الصدق ولم تشفع لى استقامتى ،
فسألحق بسيدى ومولاى الملك الراحل

لأقول له من الذى ألحقنى به .

وورك : هذا هو الأمير قادم .

(يدخل الأمير هنرى (١) وبلنت)

كبير القضاة : أسعدت صباحاً يا مولاى وحفظ الله جلالتك !

الملك : إن تلك الجلالة الجديدة الفخمة الضخمة

لم تستقر على كتفى فى يسر كما تظنون . . .

أيها الأشقياء، إنكم لتخلطون حزنكم على أبيكم بشىء من الخوف منى .

ولكننا هنا فى البلاط الإنجليزى لا فى البلاط التركى ؛

وقد خلف هارى أباه هارى .

ولم يخلف مراد أباه مراداً

ولكن أظهروا الحزن أيها الإخوة الصادقون فإنه وأيم الحق بكم جد خليق .

وتالله إنكم لتبدون آية فى الجلال الملكى فى لباس حدادكم .

وليحملنى هذا على أن أحذو حذوكم جاداً

وأحمل حزنى إلى أعماق قلبى . إذن فاحزنوا أيها الإخوة البررة .

---

(١) الملك هنرى الخامس

ولكن لا توغلوا فيه
إلا على أنه قسمة مشتركة بيننا نحمل عبئه متكاتفين .
وكونوا على ثقة أيها الإخوة الصادقون أنى سأكون لكم بحق السماء
أباً وأخاً أيضاً ،
فأولونى محبتكم أحمل عنكم همومكم
بيد أن هذا لا يمنعكم ولا يمنعنى من أن نذرف الدمع حزناً على هارى الراحل .
وإن يكن هارى قد مات فها هنا هارى حى يعيش
بينكم ليبدلكم من بعد حزنكم سعادة وأمنا
وليجزيكم عن كل دمعة ذرفتموها ساعة من هناءة .

جون وإخوته : هذا أملنا فيك يا صاحب الجلالة ولسنا نأمل سواه .

الملك : إنكم جميعاً تحدجوننى بنظرات منكرة واجفة ، وأنت
يا كبير القضاة أشدهم فى هذا
لأنك فيما أظن متأكد من أنى لا أحبك .

كبير القضاة : إنى متأكد ، لو أنى وزنت بميزان الإنصاف ،
أن جلالتكم لن تجدوا سبباً يبرر كراهيتكم لى .

الملك : لا سبب ! . .
كيف يمكن لأمير مثلى له آماله العظيمة فى وراثة العرش

أن ينسى الإساءات والإهانات التى هلتها على رأسى ؟
كيف ينسى التعنيف واللوم والخشونة فى المعاملة
وإرسال ولى عهد إنجلترا ووريث عرشها إلى السجن ؟
أكان هذا أمراً هيناً على النفس سهلا تناسيه ؟
أيمكن أن تغمر كل هذه الإساءات فى نهر النسيان
فيغسلها جميعاً وتنسى ؟

كبير القضاة : كنت حينئذ أمثل شخصية أبيك
وأصدر عن إرادته ، فقد خلع على سلطانه ،
وأنابنى فى أن أجرى أحكام القانون باسمه ،
وفيما أنا مشغول بتحرى مصالح الدولة
حلا لسموك أن تتناسى مكانتى بوصفى نائباً للملك ،
وأن تتجاهل جلال القانون وسطوته وأن تسخر من العدالة ،
ومن ظل الملك الذى أمثله ،
وأن تعتدى على بالضرب وأنا فى مجلس القضاء .
فلما اسأت بذلك إلى أبيك لم أتردد فى استخدام سلطتى ،
وأمرت بسجنك فإن يك ما فعلت إجراء غير سديد
وما أخاله ،
فهل يرضيك الآن وأنت صاحب التاج
أن يكون لك ولد يخرق قوانينك ؟

ويلغى أوامرك ؟
وينتزع العدالة من مجلس قضائك المهيب ؟
ويعترض سير القانون ؟ ويثلم سيف الحق
الذى يرعى سلامتك وأمنك ؟
بل وأكثر من ذلك أن يمتهن ويحقر ظلك القريب منك ونائبك ؟
وأن يسخر من الأحكام التى يصدرها نوابك باسمك ؟
استخر ضميرك الملكى فى كل هذا ، وأقم نفسك
مقام أبيك عندئذ ، واقض فى الأمر على أنك صاحبه .
اجعل نفسك فى مكان الأب وتخيل أن لك ولداً من عقبك ،
وأنك سمعت أنه استباح حماك وجدف فى حقك ،
ورأيت أنه استهان واستهتر بقوانينك المهيبة ،
تصور يا مولاى أن ولدك فعل كل هذا وبالغ فى الزراية بك
وتصور هذا ثم تصورنى بوصفى نائباً عنك
أستخدم سلطانك فى تأنيب ابنك فى رفق ولين ،
تدبر موقفى يا مولاى على هذا الضوء وانظر فيه فى هدوء
ثم اقض فى أمرى ما أنت قاض ،

وقل كلمتك فى شأنى كما يقولها ملك فى سلطانه ،
قل ماذا فعلت مما يشين مكانى ويحط من رفعة شأنى
ويمس سيادة مليكى وسلطانه

الملك : أنت على حق يا كبير القضاة ، وقد أحسنت وزن الأمور
فاستمر فى مكانك ممسكاً بالميزان والسيف .
وإنى لأرجو لك مزيداً من الحسنات والأمجاد ،
وأن تعيش لترى ولداً من عقبى
يذنب فى حقك ويطيعك كما أطعتك ،
وأن أعيش أنا الاخر لأردد كلمات أبى :
« ما أسعدنى أن يكون بين رجالى رجل مقدام شجاع
يقدم على أن يقيم حد القانون على ابنى ،
وما أسعدنى أن يكون لى ابن
يخضع جلاله على هذا النحو
لحكم القانون » . لقد أسلمتنى للسجن ،
ومن أجل هذا أسلمك من جديد
سيف العدالة الذى لم يدنس ، والذى اعتدت حمله ،
وأن آمرك أن تستخدمه
بنفس الشجاعة والعدل وروح الإنصاف

التى استخدمتها ضدى . . . وهذا يدى أصافحك بها .
والعهد بيننا أن تكون لشبابى أباً ،
وعهدى لك أن يرجع لسانى الكلمات التى تلقتها أذنى
وأنحنى وأخضع رغباتى
لتوجيهاتك السديدة التى حنكتها التجارب .
أما أنتم أيها الأمراء فأقول لكم ، وأرجو أن تصدقونى
جميعاً ،
إن نزواتى الجامحة قد وسدتها التراب مع جثمان أبى ،
وفارقتها منذ مات ،
وأنا اليوم أعيش متقمصاً روحه الجادة وشخصيته المتزنة ،
لأسخر من كل ما يتوقعه العالم .
وأخرس التنبؤات ، وأكذب التخرصات ،
وأمحو السمعة السيئة التى ألصقت بى وأنقصت من قدرى
وكان مردها إلى مظاهر حياتى التى تبدت للناس . ولقد
كانت فورة شبابى ودمائى
تنصب كلها حتى الآن ويا للعار فى مجال الغرور .
وتتجه إلى الأمور التافهة الهينة .
أما الآن فقد غيرت مجراها وانحسرت عن طريقها
واتجهت إلى البحر

حيث تختلط بجلال المحيط الأعظم ،
وتتسم بجلال الملك ووقاره .
والآن لقد حان الوقت لدعوة مجلس البرلمان ،
فدعونا نختر أعضاء مجلسنا الخاص من المستشارين
ذوى الرأى الحصيف
لتسير هيئة الحكم فى دولتنا سيراً منسقاً
وتخطو قدماً لتنافس أرقى الحكومات فى العالم ،
كى يكون الحرب والسلم أو كلاهما معاً
أموراً نعرفها حق المعرفة ،

(مخاطبا كبير القضاة)

وسيكون لك فى هذا كله يا أبى اليد العليا .
وحين ننتهى من التتويج فسأدعو
كما أشرت من قبل كل أهل الرأى فى البلاد
والله أسأل أن يؤيدنى بعونه ليحقق أمالى الطيبة ،
حتى لا يكون لأمير أو نبيل يوماً ما تعلة مقبولة
تدفعه إلى أن يدعو الله أن يقصر من أيام هارى يوماً
واحداً .

(يخرجون)

المنظر الثالث

جلوستر شير . بستان خلف منزل القاضى شالو . موائد وكراسى تحت خميلة من الشجر ،والوقت ليلة من ليالى الصيف الجميلة . يدخل شالو وفولستاف يتبعهما سيلنس والغلام ودافى قادمين من البيت فى مشية مترنحة

شلو : أجل لترون بستانى ، نتناول العشاء فى خميلة منه ، ولأقدمن لكم فى العشاء تفاحاً من محصول العام الماضى زرعته بيدى ومعه طبق من الحلوى وأشياء أخرى من هذا القبيل ، مهلا يا ابن العم سيلنس ،

(يسنده بيده ليمنعه من السقوط)

وبعد ذلك سآوى إلى الفراش .

فولستاف : أشهد الله أن لك سكناً عظيماً وفخماً ينطق بالغنى

شالو : لا تقل ذلك يا سير جون فالمكان أجرد قاحل لا شىء فيه فكلنا فقراء يا سير جون وبحق العذراء لا شىء عندنا إلا الهواء، الهواء الطيب . انشر الخوان يا دافى ومد الطعام يا دافى لقد أحسنت صنعاً يا دافى

(دافى يضع النبيذ وأطباق الفاكهة على الموائد)

فولستاف : إن هذا الدافى يحسن القيام على خدمتك يا سيدى؛ فهو

يعد مائدتك ويرعى شئون مزارعك وحديقتك ويوفر عليك أشياء كثيرة .

شالو : إنه خادم طيب .. خادم طيب يا سيدى .. خادم طيب جداً .. يا سير جون

(يأخذه الفواق)

تا لله لقد أسرفت فى الشراب مع العشاء . إنه خادم طيب ؛ هيا اجلسوا ، تفضلوا ، تعال يا ابن العم

(يجلس فولستاف وشالو أمام مائدة)

سيلنس : (مخمورا)

قال هيه هيه يا غلام   هنا اليوم طعام ونعيم
فاحمد المولى على عام كريم   رخيص اللحم غال فى الحريم
وانظر الفتية تغدو وتقيم   تنشد الأنغام واللحن النظيم
فى سرور وابتهاج مستديم

فولستاف : هذا قلب من خلى يا سيدى سيلنس . لأشربن فى الحال نخب صحتك شكراً لك على هذه الأغنية .

شالو : قدم للسيد باردولف بعض النبيذ يا دافى

(يجلس باردولف والغلام على مائدة أخرى)

دافى : اجلس يا سيدى العزيز سأوافيك على الفور . اجلس يا أعز الناس . اجلس أيها السيد الغلام الطيب ،

أيها الغلام اجلس ، مرحباً بك ، إن ما ينقصك من اللحم سنعوضه من الشراب ، وأرجو أن تغفروا أى تقصير أو نقص والأعمال بالنيات

(يدخل إلى البيت)

شالو : ابتهج وامرح يا سيدى باردولف ، وأنت يا جندى الصغير ، اضحك وامرح

(يغنى)

افرح افرح افرح زوجى أفنت مالى
فالنسوة هن النسوة ذات ألسنة طوال
كلهن فى ذلك سواء صغارهن والطوال
وما أكثر المرح حين تهتز اللحى فى
البهو ، مرحباً بالسكر أيام الصيام

فولستاف : ما ظننت السيد سيلنس قط له سابقة عهد بمثل هذا المرح .

سيلنس من أنا ؟ لقد كنت مرحاً مرة أو مرتين قبل ذلك .

(يدخل داف وبيده طبق من التفاح الأحمر)

داف : هذا طبق من التفاح الجاف لكما يا سادة

(يضع الطبق أمام باردولف)

شالو : اسمع يا داف .

داف : لبيك يا صاحب السماحة ، قادم على الفور

(إلى باردولف)

أتريد كأساً من النبيذ يا سيدى ؟ (يملأ كأسا)

سيلنس : (يغنى) كأس من نبيذ ، صاف ولذيذ ،
أشربه فى نخبك ، يا فتاتى الحرة . .
القلب الفرحان ، يجلى الأحزان ،
ويفيد الإنسان ، ويطيل العمر . . .

فولستاف : أجدت يا سيدى سيلنس

سيلنس : وما دمنا قد اتفقنا على أن نلهو ونمرح فهذا هو الوقت للمرح والسرور . . فقد حلا الليل وطاب السهر

فولستاف : (يشرب) الصحة والعمر المديد لك يا سيدى سيلنس

سيلنس : (يغنى) هات الكأس واملأ لى . ودرها بيمين وشمال .
ولأشربها حتى الثمالة .

شالو : مرحباً بك يا باردولف الأمين (يشرب نخبه) إذا كنت تريد شيئاً ولا تتطلبه فأنت الملوم يا سيدى . مرحباً بك أيها الخبيث الصغير (إلى الغلام) وأهلا بك . وسهلا،
سأشرب نخب السيد باردولف ونخب كل الشجعان
٦٣ والفتيان فى لندن .

داف : أرجو أن أرى لندن مرة قبل أن أموت .

باردولف : وأرجو أن ألقاك هناك يا دافى .

شالو : تا لله لنشربن عندئذ نصف زجاجة من نبيذ معاً تحية لهذا اللقاء ؛ ها ! ها ! أليس كذلك يا سيد باردولف ؟

٦٨ باردولف : بل زجاجة كاملة يا سيدى .

شالو : أنا شاكر لك والله وليمسكن بك الوغد ولا يفلتك أبداً . أؤكد لك أنه لن يتركك أبداً . إنه لن يتظاهر بالسكر ويقع على الأرض ويهرب منك فهو أصيل .

(يسمع طرق على الباب)

٦٢ باردولف : وأنا لن أتركه أبداً يا سيدى

شالو : هذا كلام ملوك ألا ينقصك شىء ؟ اشرب وامرح يا سيدى (طرق من جديد) انظر من هذا الذى يطرق الباب ، من هناك ؟ من الطارق ؟

(يدخل دافى ، سيلنس يشرب كأساً كبيرة مملوءة إلى الحافة فى صحة فولستاف)

٧٦ فولستاف : لقد بالغت فى إكرامى ، وسأرد جميلك بنخب مثله .

سيلنس : (يغنى) رد جميلى واشرب كأسك . . واجعل منى فارس طاسك ، يا سمنجو[1]. أليست القصيدة هكذا

---

(١) القديس دومنجو : Samingo

كما أرويها ؟

فولستاف : أجل هى كذلك

سيلنس : أهى كذلك ؟ . . إذن فقل إن الرجل المسن لا يزال يصلح لشىء

(يعود داڤى ووراءه بيستول)

داڤى : إن أذنت يا صاحب السماحة ، هنا رجل يدعى بيستول جاء من القصر يحمل أنباء .

فولستاف : من القصر ؟ دعه يدخل ، مرحباً يا بيستول .

بيستول : سيدى سير جون حفظك الله

٨٩ فولستاف : أى ريح طوحت بك إلى هنا يا بيستول ؟

بيستول : ليست ريح السوء التى لا توجه الإنسان إلى خير أبداً ؛ يا فارسى العزيز لقد أصبحت الآن أحد عظماء هذه المملكة

سيلنس : بحق العذراء أعتقد أنه أضخم رجل فى المملكة إذا استثنينا فتى بارسون السيد بف[1]

بيستول : ريح فى حلقك يا أشد الناس جبناً وحقارة !
يا سير جون أنا بيستول رجلك وصديقك ،

---

(١) Puff of Parson . وفى اسم الرجل تورية لأن معناها هب من ريح .

فقد ركبت إليك بشق الأنفس السهل والوعر
لأسبق بحمل الأنباء الطيبة إليك لقد حملت لك معى
أطيب الأخبار
وبشريات الأيام الذهبية والأنباء السعيدة التى تسترعى
١٠٠ الانتباه وتستأهل السماع .

فولستاف : أرجو أن تنفض جعبة أخبارك بأسلوب الرجل العادى
فى هذه الدنيا !

بيستول : تباً لهذه الدنيا وسحقاً للدنيويين الحقراء
إننى أتحدث عن أفريقيا مصدر الذهب وعن الأفراح
الذهبية .

فولستاف . ويل لك أيها الفارس الأشورى الحقير ما وراءك من
أنباء ؟

١٠٦ دع الملك كوفيتيا[1] يعلم النبأ اليقين فى هذا الأمر .

سيلنس : (يغنى) « روبن هود وسكارلت وجون »

بيستول : أتواجه الكلاب القذرة التى تلغ فى مزابل الشعراء الذين
يستلهمون الوحى من هليكون؟
أو تدنس الأنباء الطيبة على هذا . النحو ؟

---

(١) Co phetua : ملك من ملوك أفريقيا ورد ذلك فى بعض الأغانى .

إن يكن ذلك فألق بمواهبك يابيستول فى أحضان

١١٠ الشيطان .

شالو : أيها السيد الأمين لم أتشرف بعد بمعرفة من تكون ؟

بيستول : إذن فلتحزن على ما فاتك .

شالو : أسألك المعذرة يا سيدى . . ويا سيدى إن كنت تحمل أنباء من القصر فأنت مخير بين أمرين إما أن تلقى بها وإما أن تخفيها ، وأنا أحد رجال الملك وفى مركز له

١١٨ نفوذه ومكانته .

بيستول : من رجال أى ملك أنت ؟ انطق أيها الغر المجهول أو تذوق الموت .

شالو : من رجال الملك هارى

بيستول : هارى الرابع أو هارى الخامس ؟

شالو : هارى الرابع

بيستول : إذن فسلام على مركزك .

١٢٢ يا سير جون ! إن حملك الوديع أصبح الآن ملكاً
أصبح صاحبك الملك هارى الخامس ، والحق أقول
وإن يك بيستول كاذباً فافعل به هذا واغمزه بأصبعك
كما يفعل الأدعياء من الأسبان .

١٢٦ فولستاف : أمات الملك العجوز ؟

بيستول : مات واستقر فى قبره كما يستقر المسمار فى الباب .
إن الذى أقوله لكم حق لا مرية فيه .

فولستاف : أسرع يا باردولف وأسرج حصانى ، وأنت يا سيد روبرت شالو تخير ما شئت من المناصب تكن طوع بنانك ، وأما أنت يا بيستول فسأضاعف شحنتك
١٣١ من المفاخر والمكارم .

باردولف : يا لليوم السعيد البهيج !
إن رتبة فارس لن تكفينى ! بل لابد من مزيد من المكافأة

١٣٤ بيستول : ما هذا ؟ أجئت بالأنباء السارة الطيبة ؟

فولستاف : (لداف) احمل السيد سيلنس إلى فراشه ، سيدى شالو ، لورد شالو ، أو ما شئت من ألقاب السيادة ، تمن على فأنا خادم إله الحظ ، انتعل حذاءيك فإننا سنركب طول الليل . مرحباً بك أيها العزيز بيستول (يتعانقان) أسرع بالخروج يا باردولف ! (يخرج باردولف) وتعال يا بيستول زدنى من حديثك وفى أثناء ذلك فكر فيما تريد من خير سابق أسبغه عليك فى الحال .. انتعل حذاءيك .. انتعل حذاءيك يا سيد شالو ! فأنا أعرف أن الملك الشاب مشوق

لرؤيتى متطلع للقائى . استول على خيول أى إنسان
فقوانين إنجلترا كلها رهن بمشيئتى . النعمة والمجد لكل
من كانوا أصدقائى ، والنقمة والويل لكبير القضاة !

بيستول : فلتعصر العقبان الكاسرة رئتيه أيضاً وليحشر فى نار الجحيم !
سيقول الناس فى أسى وحسرة « أين أيام سعدنا الخوالى » ؟
أما نحن فالسعد وافانا وباتت الأيام الحلوة أمامنا ،
مرحباً بأيام الهنا والسرور

(يسرعون إلى الداخل وقد حمل دافى والخدم السيد سيلنس)

المنظر الرابع

شارع فى لندن . يدخل القواصون وهم يجرون كويكلى صاحبة الحانة ودول ترشيت .

صاحبة الحان : (وهى تقاوم للإفلات) : لا أيها الوغد الأثيم ، تمنيت على الله أن أموت حتى تشنق بسببى ، لقد خلعت كتفى ونزعت مفصلى

القواص الأول : لقد أسلمنى إياها رجال الحفظ ، وسأكرم وفادتها بكثير من السياط فقد قتل رجل أو رجلان مؤخراً فى صحبتها أو بسببها

دول : أيها الخطاف إنك تكذب . . تكذب أيها الخطاف (يضربها) ويحك ماذا يكفينى فى سبك ولعنك لو أنك أجهضت الطفل الذى فى بطنى أيها الوغد ذو الوجه الأصفر اللعين ؟ كان أحرى بك أن تضرب أمك

١٢ التى ولدتك أيها الخبيث الناحل الوجه .

صاحبة الحان : آه يا إلهى ! لو أن سير جون عاد لجعل هذا اليوم أسود على رؤوس بعض الناس ، ولكنى أدعو الله ألا يصيب مولودها مكروه

القواص الأول : وماذا لو أصابه ؟ لو أنه سقط لوضعت اثنتى عشرة وسادة أخرى لتتظاهرى بالحمل بدلا من إحدى عشرة وسادة تضعينها الآن .

ما علينا هيا أمامى . فأنا أتهمكما أنتما الاثنين بالقتل ، فقد مات الرجل الذى اشتركتما مع بيستول فى ضربه .

19 هيا اذهبى معى.

دول : بماذا أسبك أيها الرجل المهزول القمىء كصورة المسخ التى تحلى به علب البخور ؟ لأتسببن فى جلدك جلداً مرًّا جزاء لك على قحتك أيها الشقى ، ذا الرداء الأزرق ، يا جلاد

البغايا الهلوك القذر ، تالله لئن لم تجلد لأهجرن لبس

24 الإزار .

القواص الأول : دعك من هذا يا بنت الليل أيتها المذنبة المتجولة الخاطئة دعك من هذا .

صاحبة الخان : يا إلهى كيف تغلب القوة الحق على هذا النحو ! ومع ذلك فلا بأس فإن بعد العسر يسراً

30 دول : رويدك أيها الشقى رويدك هيا خذنى إلى القاضى .

صاحبة الخان : أجل هيا إلى القاضى أيها الكلب المتعطش إلى الدماء .

دول : أيتها الجمجمة النخرة والعظام العارية .

صاحبة الحان : هيا أيها التافه الناحل ، هيا أيها الوغد الهزيل !

القواص الأول : حسن جدا .

(يأخذهما إلى السجن)

المنظر الخامس

مكان عام بالقرب من كنيسة وستمنستر . تجمعات من الناس وحرس مصطفون على جانبي الطريق . يدخل حاملو الحصر) .

حامل الحصير(١): افرشوا مزيداً من الحصر ، مدوا مزيداً من الحصر .

حامل الحصير(٢): لقد نفخت الأبواق مرتين .

حامل الحصير(٣): لن يخرجوا من حفلة التتويج قبل الساعة الثانية ، فهيا عجلوا . .

عجلوا .

(يمرون . صوت الأبواق يرتفع . يصعد الملك وحاشيته فى موكب ويدخلون إلى الكنيسة وبعد برهة يقترب فولستاف وشالو وبيستول وباردولف والغلام ويتخذون لهم أمكنة وسط الجموع المحتشدة)

فولستاف : قف هنا إلى جانبي أيها السيد وروبرت شالو ؛ وسأجعل الملك يحييك فى عطف وبشاشة ، سأتطلع إليه فى ود ومحبة وهو يمر بنا ، وأرجو أن تلاحظ العطف الذى سيغمرنى به .

٩ بيستول : فليبارك الله رئتيك أيها الفارس الطيب !

فولستاف : تعال هنا يا بيستول وقف ورائى (الى شالو) إيه لو ،

أن الوقت فيه سعة لتفصيل أزياء رسمية جديدة محلاة بشعار الملك ، إذن لصرفت الألف جنيه التى اقترضتها منك فى حياكة هذه الحلل ، ولكن هذا لا يهم ، إن هذا المظهر الأشعث الأغبر سيكون له أحسن الوقع عنده ، فسيعلم منه كيف كنت حريصاً ومتعجلا لرؤيته .

١٦ شالو : سيكون له هذا الأثر .

فولستاف : سيكشف هذا عن صادق حبى ،

شالو : سيكون كذلك .

فولستاف : ويكشف عن ولائى وإخلاصى .

٢٠ بيستول : أجل ليكونن له هذا الأثر وليكشفن عن ولائك

فولستاف : ويكشف عن حقيقة الأمر كما وقعت ، مواصلة للسفر بالليل والنهار ؛ وسعى إليه بلا تمهل أو تفكير ، وبغير صبر ، حتى على تغيير ملابس السفر .

٢٤ شالو : هذا خير بالتأكيد .

فولستاف : ومسارعة إلى مشاهدته بوعثاء السفر ، متصبباً عرقاً من نار اللهفة للقائه ، صارفاً النظر عن التفكير فى أى شىء آخر ، ساحباً ذيل النسيان على كل الشئون

الأخرى ، كأنما ليس ورائى ما يشغلنى إلا أن أراه .

بيستول : هذا هو حالك دائماً ، ففيما عدا هذا ليس وراءك من شىء يشغلك[1] فهو شغلك الشاغل دائماً .

شالو : هذا هو الواقع .حقًّا

بيستول : سيدى الفارس سأحرق كبدك النبيل كمداً
وأثير حفيظتك وغضبك .
إن حظيتك دول ومحبوبتك التى تحل فى قلبك كما تحل
هيلين فى قلب اليونانيين
ترقد الآن فى سجن حقير ومحبس عفن ينشر العدوى
جرتها إلى هناك
يد عتل حقيرة قذرة ،
أيقظ الانتقام من مضجعه الأسود فى نار الجحيم ،
متشحاً بجلد الكتو ذى الثعابين ،
لأن دول فى السجن . وبيستول لا يقول شيئاً إلا الحق .

فولستاف : سأخلصها من محبسها . (يسمع صوت الأبواق وهتاف عال)

بيستول : لقد بدأ البحر يزخر وعلا صوت الأبواق

(يخرج الملك وحاشيته ومعهما كبير القضاة من الكنيسة) .

---

(١) باللاتينية "Tis "semperidem" "for obsque hoc nihil ert

فولستاف : حفظ الله جلالك أيها الملك هارى .. أى سيدى ومليكى هال .

بيستول : فلتحرسك عناية السماء وترعاك يا سليل المجد المعظم .

الملك : (جانبا) سيدى كبير القضاة ، تحدث إلى هذا الرجل الأحمق .

كبير القضاة : أأنت فى كامل وعيك أتدرى ما تقول ؟

فولستاف : (يندفع تاركا إياه) مليكى ، إلهى ، جوبيتر إنى أتحدث إليك يا مليكى المحبوب .

الملك : لست أعرفك أيها الرجل العجوز . اعكف على صلواتك .

فما أقبح أن يصبح العجائز حمقى ومهرجين
لقد رأيت منذ أمد بعيد فى الحلم رجلا مثل هذا ،
شديد انتفاخ البطن ، متقدماً فى السن ، بذىء اللسان ،
ولكن ما أن استيقظت حتى احتقرت هذا الحلم
ومن الآن فصاعداً خفف وزنك يا رجل وزد مكانتك .
واهجر البطنة واعلم أن القبر متفتح لالتهامك
وسع ثلاث مرات مما يتفتح لأى إنسان آخر
وكف عن إجابتى بنكت ساخرة يمليها الطيش والنزق ،
ولا تفترض أبداً أننى الشىء الذى كنته ،

فالله يعلم والعالم كله سيشهد
إننى عدلت عن مسلكى السابق فى الحياة
وهجرته كما هجرت كل صحبتى السابقة .
فإذا سمعت ولن تسمع أنى عدت سيرتى القديمة
فاقترب منى وستكون منى كما كنت ،
المعلم والمهيئ لفرص اللهو والعبث .
وإلى أن يحدث ذلك فإنى آمر بنفيك كما فعلت بكل الآخرين
الذين أضلونى سواء السبيل ، والموت جزاؤك إن عصيت أمرى
أو اقتربت منى ولو على مبعدة عشرة أميال .
ولأعينك على العيش سأرتب لك معاشاً يكفيك قوتك ،
لعل هذا الكفاف يحملك على الابتعاد عن الآثام
وحينما نسمع أنكم أصلحتم أنفسكم
سنمنحكم رضانا ونقربكم منا بقدر ما تبرهنون على أنكم أهل له

(إلى اللورد كبير القضاة)

وخذ على عاتقك يا سيدى
مراعاة تنفيذ أوامرى بدقة . .

ولنواصل السير . .

(يمر الموكب)

فولستاف : أيها السيد شالو أنا مدين لك بألف جنيه .

شالو : أجل وحق العذراء يا سير جون . وإنى لأرجوك أن
تسمح لى أن أعود بها إلى البيت .

فولستاف : هذا غير مستطاع يا سيد شالو . لا تأس يا سيدى
على ما حدث ، فسيستدعينى الملك للقائه سرا ،
إلا أن مكانته تضطره إلى أن يبدو أمام أعين العالم
على هذا النحو من التزمت الشديد
يا سيد شالو . ولا تخش بأساً على ترقيتك إلى منصب
رفيع ، فسأظل أنا الرجل الذى يجعلك فخماً ضخماً .

شالو : لست أتصور كيف أصبح ضخماً ، اللهم إلا إذا
ألبستنى حلتك ، وحشوتنى بالقش ، أتوسل إليك
يا سير جون الطيب أن تعيد إلى خمسمائة جنيه من الألف
التى أعطيتك إياها .

٩١ فولستاف : سيدى سأكون عند كلمتى ، وما هذا الذى رأيت
ألا تظاهراً وطلاء .

شالو : ولكنه طلاء أخشى أن يصبغك وتخمد أنفاسك
ياسير جون .

فولستاف . لا تخشى طالباً ولا عدوا وتعال معى نتناول العشاء .
تعال أيها الملازم بيستول وهيا يا باردولف ، ليبعثن
فى طلبي هذه الليلة فوراً .

(يعود الأمير جون ومعه اللورد كبير القضاة وبعض الضباط) .

كبير القضاة : (إلى الضباط) اذهبوا واحملوا سير جون فولستاف إلى
سجن فليت ، وخذوا كل صحابه وجماعته معه

(يقبضون على فولستاف وجماعته)

فولستاف : سيدى اللورد . . سيدى

كبير القضاة : لا أستطيع الكلام الآن ، سأسمعك فى التحقيق حالا ،
خذوهم من هنا .

بيستول : إن تخلى عنى الحظ فلن يتخلى عنى الأمل(١)

(يقود هم الضباط إلى الخارج)

الأمير : لقد سرتنى هذاه البداية الطيبة من الملك ،
فقد أبدى رغبته فى أن أوفر أسباب العيش الرغد
لكل أتباعه المقربين
ولكنه أمر بإبعادهم جميعاً
حتى يصلحوا من سلوكهم فى هذه الحياة ، ويبدو

---

(١) باللاتينية Si forluna me tormenta, spora contenta

في أعين الناس أكثر رزانة وتواضعاً .

كبير القضاة : وهذا هو ما حدث لهم

الأمير جون : لقد دعا الملك البرلمان للاجتماع يا سيدى .

كبير القضاة : نعم دعاه .

الأمير جون : أنا مستعد للرهان على أننا قبل أن ينتهى هذا العام ،
سنحمل سيوفنا التى استخدمناها فى حروبنا الأهلية
ونزاعنا الداخلى
ونتجه بها إلى فرنسا فقد سمعت طائراً يهتف فى أذنى بهذا النبأ
وأعتقد أنه استهوى الملك
هيا ألا تذهب من هنا ؟

(يخرجان)

خاتمة

أبدأ أولا بذكر مخاوفى ثم أثنى بالتحية وأخيراً أقول كلمتى . فأما مخاوفى فهى من رأيكم فى هذه المسرحية ، أما التحية فيقتضيها واجبى ، أما الكلام فأستمحيكم المغفرة فيما أقول ، فإن كنتم تتوقعون منى الآن خطبة جيدة فقد ظلمتونى ، فما يقتضى المقام أن أقوله هو من وضعى وتأليفى ؛ وما أنا ملتزم بقوله أخشى أن يبرهن على عجزى . ولكن على أن أؤدى واجبى وأتحمل المخامرة مهما تكن نتائجها . وليكن معلوماً لديكم ، وما أشك أنكم تعرفون هذا حق المعرفة ، أننى أقف موقفى هذا فى هذه الساعة المتأخرة فى أعقاب المسرحية التى شاهدتموها والتى لا نعرف رأيكم فيها ، لأسألكم الصبر عليها وأعدكم إن لم تكن راقتكم أن أقدم لكم أخرى خيراً منها . وقد قصدت بهذا حقاً . أن أستمهلكم فى الوفاء حتى تجىء هذه المسرحية ، فإن جاءت ، لسوء الحظ ، كما تجىء سفينة تجارية فيما وراء البحار ،

جانبها التوفيق فقد أفلست وخسرتم أنتم ديونكم يا دائنى الكرام . فقد وعدتكم هاهنا أنى شديد الرغبة فى الوفاء ، ولذلك أضع نفسى تحت رحمتكم ، فإن شئتم سامحتمونى فى جزء من الدين وقبلتم منى هذه الرواية على علاتها على أنها قسط أوفيه لكم . . ولكم بعد هذا أن أعدكم بالوفاء وعوداً لا تنتهى كما يفعل معظم المدينين . وتأكيداً لذلك هأنذا أركع على ركبتى لا ضراعة لكم بل إلى الله أن يحفظ الملكة .

وإذا كان لسانى قد عجز عن التوسل إليكم لتغفروا لى فهل لى أن أستأذنكم فى أن ألجأ إلى ساقى . ومع ذلك فقد يكون هذا الوفاء غير كاف لتحلونى من ديونكم . ولكنى أبذل غاية وسعى وأنا ذو ضمير حى يستنفد كل الوسائل ليحوز الرضا وهو ما أحرص عليه . لقد أرضيت السيدات النبيلات اللاتى هنا فصفحن عنى جميعهن ، فإن لم يصفح عنى الرجال النبلاء فمعنى هذا أن الرجال ليسوا على وفاق مع السيدات ، وهو ما لم نشهده قط من قبل فى مثل هذا الجمع .